وزارة التعليـــم العالـــي والبحـــث العلمـــي

جامعة الشّيخ العربي التّبسّي ـ تبسة ـ

كليّـــة الآداب واللّـــــغـــات

قسم اللغة والأدب العربي

الشّعر الدّيني في العصر الحديث بين الموضوع واللغة

أحمد شوقي ـ أنموذجا ـ

مذكّرة تخرّج لنيل شهادة الماستر (LMD) في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

إعداد الطّالبتين:

ـ برايس مريم

ـ مباركيّة تقوى

إشراف الأستاذ:

ـ ناصري علاوة

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرّتبة العلميّة	الجامعة	الصّفة
عبد الرزّاق الطاهر	أستاذ مساعد ـ أ ـ	العربي التبسّي ـ تبسة ـ	رئيسـًا
نـــاصـــري عـــلاوة	أستاذ محاضر ـ أ ـ	العربي التبسّي ـ تبسة ـ	مشـرفًا ومقرّرًا
عبد الوهـاب خالد	أستاذ مساعد ـ أ ـ	العربي التبسّي ـ تبسة ـ	منـاقشـًا

السنـــة الجامعيّـــة:

2021/2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري و احلل عقدة من لساني يفقهوا قولي.

رب أدخلني مدخل صدق و أخرجني مخرج صدق و اجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا.

رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين.

أن تكون معلما فقد اخترت أن تحترق ولو كنت تضيء اخترت أن توزع قلبك في كل شتات الأرض.

أن تكون شاعرا و معلما فقد اخترت أن تختزل كل أوجاع الأرض في صدرك.

مؤلم أن تكون شاعرا.

موجع أن تكون معلما.

مر أن تكون اثنيــن.

شكر وعرفان

يقول صلى الله عليه وسلّم:

"من أسدى إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تقدروا فادعوا له".

الحمد لله الذي علم بالقلم و أمرنا بالعلم، فعلم الإنسان ما لم يعلم و الصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم وأفهم العرب والعجم. فلكل نعمة من نعم الدنيا حد تنتهي إليه ومدى يوقف عنده وغاية من الشكر يسمو إليها الطرف، عدا نعمة العلم التي فاقت الوصف وطالت الشكر وتجاوزت كل قدر وأتت من وراء كل غاية، فكيف يشكر الشاكر و أين يبلغ جهد المجتهد؟!

نتقدم بالشكر للأساتذة الكرام: إلى من علمنا الحرف فالكلمة، فالجملة، فالدرس، فالمحاضرة إلى كل هؤلاء معلمين وأساتذة.

نتقدم بالشكر و العرفان إلى الأستاذ المشرف" ناصري علاوة" الذي ساعدنا كثيرا وهيأ لنا الجو النفسي قبل العلمي، فكان نعم الأستاذ الكريم حفظه الله وجزاه كل خير وأدام عليه الصحة والعافية وارتقى به إلى درجات أعلى وأسمى.

ولا ننسى شكر الأساتذة الذين ساعدونا في إنجاز هذا العمل وأمدونا بكل ما ينفعنا في إتمام هاته المذكرة.

كما نشكر كل عمال المكتبة الجامعية وخاصّة عمال مكتبة الشيخ العربي التبسي الذي كانوا نعم الناس ونستطيع الاعتماد عليهم .

إهداء

يقول صلى الله عليه وسلّم:

"لو أهدي إلي ذراع لقبلت و لو دعيت إلى كراع لأجبت".

يصعب على المرء لفظ آخر الأنفاس ولكنه قدر على كل الناس ولكل بداية نهاية.

أيام مضت من عمرنا بدأناها بخطوة وها نحن اليوم نقطف ثمار مسيرة أعوام كان هدفنا فيها واضحا وكنا نسعى في كل يوم لتحقيقه والوصول إليه مهما كان صعبا، وها نحن وصلنا وبيدينا شعلة العلم وسنحرص عليها كل الحرص حتى لا تنطفئ. وشكرا لله أولا وأخيرا على أن وفقنا وساعدنا على ذلك.

- ✓ أتقدم بالشكر إلى القلب الحنون من كان بجانبي بكل المراحل التي مضت من تلذذ معاناة وكان شمعة تحترق لتنير دربي، له الفضل؛ كل الفضل لوالدي رحمة الله عليه الذي علمني الصمود وعيناه تراقبني وساعدني بكل مراحل حياتي، نم قرير العين فابنتك قد تخرجت وحققت حلمك أبي الغالي: السعيد.
- ✓ إلى كل من قال فيها الرسول صلى الله عليه و سلم: أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك، إليك أمي يا من أرقت من نومك من أجل أن تحييني من صدرك، يا من كنت شجرة تقيني الضباب وتبعد عني حتى الذباب يا من احترقت لتضيئي لي شعاع الأمل فلا يكفيك الثناء مهما كان يا صاحبة العطف والفضل والإحسان أمي الغالية: سعاد.
- ✓ إلى زينة الرخاء وعدة في البلاء ومعونة على الأعداء إخوتي الأعزاء

- ✓ إلى كل من أوقدت قناديل من حولي وجعلتني أحبو على مروج العلم والمعرفة وتابعت نجاحي خطوة خطوة إليك قرة عيني ودرة كياني سندي في الحياة أختي الغالية: زينب.
- ✓ إلى حمامة الأسرة وزهرة البيت وروحه وبشاشته ورمزي في الصبر والإيمان تفاحة قلبي: أميمة.
- ✓ إلى آخر العنقود إخوتي الصغار وكتفي في هذا الوجود الغاليين على قلبي: محمد علي، أيوب.
- ✓ إلى جدتي الغاليتين وبركة العائلة العطرة الحنونتان: معيوفة، جمعة.
- ✓ الى من ساعدني في هذا العمل و سهر لراحتي لإكمال هذه المذكرة رمز الطيبة والأخوة ابن خالي :محمد الشريف.
- ✓ إلى من وضعت معنى للصداقة فكانت تسقيني من كأس الوفاء إلى رمز الإخاء ومنبع سري وحكاياتي صديقتي و شريكتي في هذا العمل برايس مريم حفظها الله ورعاها وجزاها كل خير.
- ✓ إلى الذي وهبني كل ما يملك حتى أحقق له آماله، إلى من كان يدفعني قدما نحو الأمام لنيل المبتغى، إلى الإنسان الذي امتلك الإنسانية بكل قوة إلى الذي سهر على تعليمي بتضحيات جسام مترجمة في تقديسه للعلم إلى مدرستي الأولى في الحياة أبي الغالي :جمال.
- ✓ إلى التي وهبت فلذة كبدها كل العطاء والحنان، إلى التي صبرت على كل شيء، التي رعتني حق الرعاية، وكانت سندي في الشدائد وكانت دعواها لي بالتوفيق، تتبعني خطوة بخطوة في عملي إلى كل من ارتحت كلما تذكرت ابتسامتها نبع الحنان أمي الغالية: كافية.
- ✓ إلى آخر العنقود أخي الغالي الطيب الودود وكتفي في هذا الوجود أخي العزيز أسامة.

- ✓ إلى التي كانت نعم العون ونعم الرّفيق والتي ساعدتني في هذا العمل: رشيدة.
- ✓ إلى التي قاسمتني جهد خمس سنوات فكانت نعم الزميلة والرفيقة مباركية تقوى جزاها الله كل خير وأدام عليها الصحة والسعادة والعافية.
- ✓ إلى الصديقات الغوالي العزيزات رمز الطيبة والحنان، إلى من أكن لهن أوصال المحبة و الأخوة صديقاتي: يسرى، وحيدة، دنيا، مريم، كوثر، آية، إيمان،منى، هيبة، راضية، شهرة، سندس، سارة، بيّة ، خديجة، زينب.
- ✓ إلى كل من حوتهم ذاتي و تجاوزهم حبر كتاباتي.
- ✓ إلى كل دفعة 2021.

مقدّمة

مقدّمة:

يعدّ الشّعر الدّيني أحد الموضوعات التي تناولها الشّعراء قديما وحديثا لأسباب وأغراض مختلفة، فمنه ما كان لغرض إصلاحي ودعوي، وكان بعضه الآخر لغرض فنّي.

كان المنطلق في كلّ هذا الشّعر الدّيني من معتقدات آمن بها الشّعراء ولم يتراجعوا عنها لشدّة ارتباطهم بها.

كان ذلك أقوى ما يلاحظ زمن الرّسول صلى الله عليه وسلم الذي كان لشعراء الدّعوة أثرهم فيما كتبوا تثبيتا للعقيدة وردّا على الكفّار المشركين.

لقد استمرّ هذا الشّعر في الأزمنة اللاّحقة مع انتشار تيّارات اللّهو والمجون، كما ارتبط هذا الشّعر بأحزاب سياسيّة ذات طابع ديني، ونقصد بذلك (شعر الخوارج، والشّيعة والزّبيريّين...).

وفي العصر الحديث، حظي هذا الشّعر باهتمام أغلب الشّعراء، وكان جزءا منهم يعمل ضمن الحركات الإصلاحيّة في المشرق والمغرب.

وكان لأمير الشّعراء أحمد شوقي إسهامات في هذا الباب، وله علاقة بالسّياسة التي مارستها الدّولة العثمانيّة في المنطقة العربيّة.

وجاء شعره الدّيني ردّا على الإدّعاءات الكاذبة التي مارسها سلاطين الدّولة العثمانيّة، والتي اتّضحت أكثر مع مصطفى كمال أتاتورك الذي أسقط الخلافة عام 1924م بإلغائه الدّين، واللغة العربيّة ومنعه للحجاب، وهو ما أثار حفيظة شوقي.

وجاء بحثنا الذي عنوانه:

- ❖ الشّعر الدّيني في العصر الحديث بين الموضوع واللغة ـ أحمد شوقي أنموذجا ـ

للأسباب الآتية:

سبب ذاتي: ـ رغبتنا في معرفة شعر شوقي عامة، وجانبه الدّيني خاصّة.

سبب موضوعي: ـ وهو أنّ تخصّصنا (أدب عربي حديث ومعاصر) يلزمنا البحث في موضوعات الشّعر الحديث، خاصّة أنّ شوقي هو أمير الشّعراء (1927م) يستحق ـ على الأقل ـ بحثا في شعره الدّيني.

ـ رغبتنا في التّعرف على البنى الدّاخليّة للمديح النّبوي.

وبما أنّ إشكاليّة البحث هي مجموعة أسئلة نجد الإجابة عنها في ما كتبناه، رأينا أن نطرح السّؤال الأوّل:

❖ ما الأسباب والمقاصد من توظيف أحمد شوقي للجانب الدّيني في ديوانه؟

ويندرج تحت هذا السّؤال مجموعة أسئلة فرعيّة:

- لماذا اهتمّ الشّعراء بالشّعر الدّيني عبر العصور؟
- ما الأساليب المعتمدة في الشّعر الدّيني عبر العصور، وما موضوعاته؟
- لماذا كان الشّهر الدّيني ردّا على تيّارات اللّهو والمجون؟
- ما موضوعات الشّعر الدّيني عند أحمد شوقي؟ وما لغته؟
- كيف تعامل أحمد شوقي مع قضيّة التّناص؟

وللإجابة على عن هاته الأسئلة اعتمدنا المنهج التّاريخي الفنّي الذي رأيناه صالحا لهذه الدّراسات، فالمنهج التّاريخي يتجلّى في كونه عبارة عن دراسة الأديب وأدبه أو الشّاعر وشعره، من خلال معرفة مسيرته ومعرفة البيئة التي عاش فيها ومدى تأثيرها في نتاجه الأدبي أو الشّعري.

وانطلقنا في هذا البحث من بعض المراجع التي كانت عونًا لنا، وأهمّها:

- ✓ سعاد عبد الوهاب عبد الكريم: إسلاميّات أحمد شوقي دراسة نقديّة.
- ✓ شوقي ضيف: شوقي شاعر العصر الحديث.
- ✓ أحمد الهاشمي: أسرار البلاغة.
- ✓ سامي يوسف أبو زيد: الأدب العربي الحديث(الشّعر).
- ✓ حسن حسين: ثلاثيّة البردة.

- ✓ جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام.
- ✓ أحمد الزعبي: التناص نظريًّا وتطبيقيًّا.

ومن بين الدّراسات السّابقة التي تناولت شعر شوقي نذكر:

- البناء العروضي في ديوان الشّوقيّات.
- التّناص الدّيني في شعر أحمد شوقي.
- الصّور البيانيّة في شعر أحمد شوقي.

وكما أنه لا يخلو أي بحث علمي مهما كان من بعض الصّعوبات التي تقف في وجه الباحث عند إعداد بحثه، فمن بين هذه الصعوبات:

ـ صعوبة الحصول على بعض المراجع القديمة الخاصّة بدراستنا.

ـ عدم توفّر الوقت الكافي للتّوسّع أكثر فيما يخص تحليل القصائد.

وقد أسفر بحثنا عن هيكلة متمثّلة في :

ـ مقدّمة.

ـ الفصل الأوّل: وعنوانه: تاريخ الشّعر الدّيني، وفيه تناولنا:

- الشّعر الدّيني في العصر الجاهلي.
- الشّعر الدّيني في صدر الإسلام.
- الشّعر الدّيني في العصر الأموي.
- الشّعر الدّيني في العصر العبّاسي.
- الشّعر الدّيني في العصر المملوكي.

ـ الفصل الثّاني: وعنوانه: الشّعر الدّيني عند أحمد شوقي ، وهو جانب تطبيقي حيث تطرّقنا فيه إلى:

- اللّغة الشّعرية في قصيدة: إلى عرفات، نهج البردة، الهمزيّة النبويّة.
- المعجم الدّيني في قصيدة: إلى عرفات، نهج البردة، الهمزيّة النبويّة.

- التّناص في قصيدة: إلى عرفات، نهج البردة، الهمزيّة النبويّة.
- الأساليب في قصيدة: إلى عرفات، نهج البردة، الهمزيّة النبويّة.
- الصّور البيانيّة في قصيدة: إلى عرفات، نهج البردة، الهمزيّة النبويّة.
- الموسيقى في قصيدة: إلى عرفات، نهج البردة، الهمزيّة النبويّة.

ـ وفي الخاتمة رصدنا مجموعة من النّتائج ومن بينها:

- الشّعر الدّيني أحد الموضوعات التي تناولها الشّعراء في العصر الجاهلي، والإسلامي، والأموي، والعبّاسي مع اختلاف الأسباب والمقاصد.
- المديح النّبوي موضوع آخر في شعر شوقي، وله ارتباط بأعلام المديح قبل هذا (كعب بن زهير، البوصيري).
- لغة شوقي إحيائيّة بمعجمها وصورّها وأساليبها وموسيقاها.

ـ وفي الأخير لا يسعنا إلاّ أن نتقدّم بجزيل الشّكر إلى الأستاذ المشرف "ناصري علاوة" على ما قدّمه من توجيهات طيلة فترة البحث وما بذله من جهد ومساهمة كبيرة في هذه الدّراسة.

ـ كما نشكر أعضاء اللجنة المناقشة المحترمين الذين تحملّوا عناء قراءة مذكّرتنا وتمحيصها.

ـ ونتقدّم بالشّكر إلى قسم اللغة والأدب العربي الذي شرّفنا أنّ يكون بحثنا المتواضع هذا مع بقيّة بحوث دفعتنا.

ـ ونرجو أن يكون بحثنا هذا في مستوى الموضوع الذي كنّا قد اخترناه.

ونسأل الله التّوفيق.

مدخل:

يعتبر الشّعر من الفنون الأدبيّة التي شاعت منذ القِدم لمدى تأثيره في الإنسان العربي، حيث كان المرآة التي تعكس لنا حياته وأوضاعه الثّقافيّة والعقليّة باعتبار الشّعر الوسيلة المتاحة في تعامل الشّعراء مع الواقع إبّان تلك الفترة من حياتهم رغم اختلاف أعمارهم وثقافتهم وأجناسهم، فوجدوا في المناسبات والأفراح والمآتم المنفذ لإلقاء قصائدهم الخاصّة بهم ،وكان الشّعر في الجاهليّة عند العرب ديوان عِلمهم.

وبالتّالي فإنّ الشّعراء رفعوا من قيمة الشّعر الجاهلي وجعلوه المنبع الذي يستقون منه أفكارهم، ويعبّرون به عن عواطفهم ومشاعرهم، ومن ثمّة عملوا على تطويره وتحسينه نحو الأفضل.

وكما أنّ الشّعراء يميلون بطبيعتهم إلى الشّعر، فإنّ الإنسان هو الآخر لا يمكنه العيش دون دين ولا إله، رغم اختلاف معتقداته وتوجّهاته، فالدّين «هو مجموعة المبادئ والقيم التي تتديّن بها أمّة أو جماعة اعتقادًا أو عملاً»[1].

أي أنّ الدّين ضرورة للإنسان راسخ فيه منذ العصور القديمة لأنّنا لم نسمع عن وجود أمم دون معابد، فقد كانوا يمجّدون الطّقوس الدّينيّة ويحترمون شعائرها من جهة ويطبّقون أسسه وقواعده من جهة أخرى، فالدّين بطبيعة الحال غريزة في الذّات البشريّة.

وممّا لا شكّ فيه أنّ «نزعة التّديّن أو فطرة التّديّن السّابقة تركت آثارًا واضحة جليّة في حياة الإنسان، فصار متعطّشًا إلى الدّين الصّحيح الذي يروي ظمأه، ويشفي غليله، وبدأ يتطلّع إلى السّماء لترحمه بالدّين القيّم»[2]. والمقصود بهذا القول أنّ الدّين والتّديّن جزء من كيان الإنسان ووجوده، فمثلما هو بحاجة إلى الماء والهواء والطّعام فهو بحاجة إلى التّأمل الإلهي لكي يرتقي إلى الدّين الصّحيح والمستقيم.

---

[1] محمد الزحيلي: وظيفة الدّين في الحياة وحاجة النّاس إليه، منشورات جمعيّة الدّعوة الإسلاميّة العالميّة، دمشق، سوريا، ط1، 1976م، ص،ص:18، 19.

[2] المرجع نفسه، ص53.

إضافةً إلى الدّعوة المحمديّة التي أحدثت بدورها قفزة نوعيّة في حياة العرب وأثّرت سلبًا على الشّعر العربي في تلك الفترة، فالشّعراء امتنعوا عن قول الشّعر وتخلّوا عنه، لما جاء عن قوله تعالى: ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (224) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (225) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ الشّعراء:224/226.

فالإسلام غيّر طريق الشّعر وهذّب ألفاظه ومعانيه عمّا كانت عليه في السّابق، لأنّ مواضيعه تمحورت في الغزل والهجاء والمجون وافتخار بالأنساب والخمر، فالإسلام حارب كلّ هذه الآفات وجعلهم ينشغلون بالجهاد مع الرّسول صلى الله عليه وسلم، لكي لا يتفرّغوا لقول الشّعر ومن أمثلة هؤلاء: حسّان بن ثابت، كعب بن زهير، كعب بن مالك...

حاجة النّاس إلى الدّين ووظيفته:

إنّ حاجة الإنسان إلى الدّين ثابتة لا متغيّرة، فالدّين فطرة يُفطر الإنسان عليها منذ أن ولد وهو أساسي في تغلّب الإنسان على مشاكله، وإرشاده إلى طريق الهِداية. فالدّين ليس فقط ممارسة للطّقوس بل هو منهج أساسه العقيدة والأخلاق والسّلوك، به تتحقّق راحة الإنسان النّفسيّة، إضافة إلى نشر قيم التّآخي بين الأفراد، فمهمّة الإسلام تلبية رغباتهم العقليّة والنّفسيّة والروحيّة والجِسميّة، من خلال هذه المقاصد:

أولا: النّاحية العقليّة:

كرّم الله عباده على سائر المخلوقات بالعقل فهو حجر أساس المعرفة، وقد علاّ من شأنه ورفع من قيمته، ولم يُهمّشه ولم يحمّله فوق طاقته، بل اعتنى به عناية كاملة، وحرّم عليه كلّ ما يمكن أن يُضعِفه من خمر ومُسكِرات، فالعقل أداة يتحمّل بها الإنسان مسؤولية نفسه ويدرك أخطاءه[1]، وتجلّت رِعاية الإسلام بالعقل فيما يلي:

1 ـ تنمية العقل:

يسعى العقل إلى معرفة حقيقة الوجـود والتّطلع إلـى ما وراء الغيـب والتّـعرف على

[1] ينظر: محمد الزحيلي: وظيفة الدّين في الحياة وحاجة النّاس إليه، ص،ص: 53، 54.

الأسباب والمسبّبات التي تتجاوز الحياة والموت، وهنا يظهر دور الدّين والذي يشفي غليله، ويحاول إيصاله إلى شرح وتبيان الحقيقة الواقعيّة بمعنى آخر «فإنّ الدّين يمنح العقل المعرفة الصّحيحة والأجوبة الكاملة عمّا وراء الغيب، ويكشف له الطّريق ويضع له منارات، ويأخذ بيديه ليسبر أحوال الكون التي تقع تحت حواسه ويطوله البحث والتّجارب»[1].

ومن خلال هذه الفكرة توصّلنا إلى أنّه لا يُمكننا كبح جِماح العقل، فإذا قيّدناه لا يستطيع أن يسمو إلى ما يطمح إليه، فإذا كبتنا المشاعر والأحاسيس فقد جمّدنا العقل وأوقفناه عن حيويّته.

يعدّ الدّين ذا أهميّة كبيرة في تطوير وتنمية العقل حيث يقوده إلى الطّريق المستقيم أو طرق الهداية، ويبعده عن طريق الفساد والتّيه، ومع حضور القرآن نزلت آيات كثيرة بهذا الصّدد من بينها، قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ المائدة: 16/15.

وقوله أيضا: ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ إبراهيم:1.

والعلم لا يكترث إلى هذا الجانب بل محور اهتمامه التّجربة، وهنا يأتي دور الدّين فيملأ هذا الفراغ بالعقل لأنّه غذاء لازم يحتاج إليه. يقول الدّكتور يوسف القرضاوي «إنّ الإيمان بالله ليس غريزة فطريّة فحسب بل هو ضرورة عقليّة كذلك، وبدون هذا سيظلّ هذا السّؤال الذي أثاره القرآن قلقًا حائرًا بغير جواب ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (35) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَا يُوقِنُونَ﴾ الطّور :36/35.

[1] محمد الزحيلي: وظيفة الدّين في الحياة وحاجة النّاس إليه، ص:54.

وليس لهذا السّؤال إلاّ جوابًا واحد لا يملك الإنسان ـ إذ ترك نفسه ـ إلاّ أن يُجيب به كما فعل المشركون أنفسهم ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ الزّخرف:9»[1].

ومن خلال ما سبق ذكره نرى أنّ الإيمان ضروري للعقل وأنّ الإنسان بإعماله لعقله يتحقّق مراده ويكشف خبايا الخلق.

2 ـ تكريم العقل:

إنّ «التّفسير الدّيني للإنسان والكون والحياة وما وراء الحياة فيه تكريم للعقل الإنساني، لإطلاق العنان له في العمل وإبعاده عن السّخافات والأوهام والخرافات والأساطير التي تتسرّب إليه في تفسير المغيبات، كمن يظنّ أنّ الأرض على قرن ثور ومن ينسب تنظيم الكون إلى الطّبيعة الصمّاء العاجزة عن إيجاد نفسها»[2].

لقد ميّز الله الإنسان بالعقل، وبواسطة الدّين جعله يُفرّق بين ما هو خرافي وما هو حقيقي، فالإسلام قدّس قوّة الخالق المبدع بعيدًا عن الأوهام التي تتوغّل في عقله وحاول إبعاده عنها، وأنّ كلّ ما خلق في الكون مسخّر له.

3 ـ دعوة العقل إلى التّفكير:

ميزة الإنسان العقل وقد دعا الله الإنسان إلى إعمال عقله من خلال التّدبّر والتّفكّر والتّأمّل في خلقه، والاستفادة من الخيرات التي أنعم الله بها عليه. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ لقمان:20.

وقال أيضًا: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾البقرة:164.

---

[1] محمد الزحيلي: وظيفة الدّين في الحياة وحاجة النّاس إليه، ص،ص: 55، 56.

[2] المرجع نفسه، ص:56.

يقول الأستاذ المرحوم عبّاس محمود العقّاد «وفريضة التّفكير في القرآن تشمل العقل الإنساني بكلّ ما احتواه من هذه الوظائف بجميع خصائصها ومدلولاتها، فهو يخاطب العقل الوازع والعقل المدرك والعقل الحكيم والعقل الرّشيد، ولا يذكر العقل عرضًا مقتضيًا بل مقصودًا مفصّلاً على نحو لا نظير له في كتاب من كتب الأديان»[1]. أكدّ العقّاد من خلال قوله أنّ القرآن قد أعطى للعقل مكانة، فهو يخاطبه بجميع خصائصه ووظائفه.

4 ـ الدّعوة إلى العلم:

لقد حثّ الإسلام على العلم وفرضه على كلّ مسلم حتّى أنّه أوّل ما نزل القرآن بدأ بكلمة "اقرأ"، ولهذا دعا الله إلى طلب العلم وأعلى من شأن العلماء ووضعهم في منزلة الأنبياء، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ المجادلة: 11.

وقد جاء في حديث الرّسول صلى الله عليه وسلم ذِكره لمكانة العلم وفوائده وأهمّيته، فيقول (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ بِهِ عِلْمًا سَلك الله به طَرِيْقًا من طُرق الجَنَّة، وَإِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ العِلْمِ؛ وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ و الحِيْتَان فِي جوف المَاءِ، وإنّ فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ ليلة البدر عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ، وَإِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا، وَرَثُوا العِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ)[2].

من خلال ما سبق ذكره نرى أنّ الإسلام فتح مجالاً وآفاقًا أمام العقل للتّفكير، ولم يتركه يبحث في الغيبيّات لكي لا يقع في المتاهات التي لا نهاية لها ووجّه اهتمامه إلى الكونيّات أي إلى التّدبّر في عظمة الخالق في خلقه وتركه يبحث في كلّ ما هو واقعي.

[1] ينظر: محمد الزحيلي: وظيفة الدّين في الحياة وحاجة النّاس إليه، ص ـ ص: 58 ـ 60.

[2] أبو داوود سليمان بن الأشعث السّجستاني: سنن أبي داود، دار الأفكار الدّوليّة، الرّياض، السعوديّة، (د،ط)، (د،ت)، ص:403.

5 ـ ربط التّكليف بالعقل:

لقد جمع الإسلام التّكليف بالأحكام الشّرعيّة بالعقل، واشترط البلوغ كدليل على نضج الإنسان ومقدرته على تحمّل المسؤوليّة فلا تكليف على مجنون أو ناقص عقل، وبذلك أباح للإنسان كلّ ما يُهذّب عقله وما يُرشده إلى سبل الهداية، ومنع عنه كلّ ما يُضلّله ويجعله منحرف عن الطّريق الصّحيح من مذهبات عقل كالخمر، لأنّ العقل من ضروريّات الحياة.

وهنا نستنتج أنّ القرآن الكريم رفع من منزلة المسلمين على حساب غيرهم وجعل العقل جوهر عقيدتهم، من خلال تدبّرهم وتأمّلهم في ما أنزله الله من آيات بيّنات وعظّم من مكانة العقل وأوجب الرّجوع إليه والعمل به للوصول إلى الهداية.[1]

ثانيًا: النّاحية النّفسيّة:

عمل الإسلام على العناية وصقل النّفس الإنسانيّة، من خلال إرشادها وجعلها قويّة معافاة فبصلاحها يصلح الإنسان والمجتمع، ويتجلّى هذا الاهتمام في هذه النّقاط:

1 ـ الكمال النّفسي:

يكتمل الوجدان بحضور التّديّن، فترتقي العواطف لتصل لمُبتغاها الموجود في الدّين الذي لم تجده في النّاس، كالحنين والأمل... وبالتّالي تتحقّق صورتها بالدّين، والدّليل على ذلك حضور الوجدان في العديد من الآيات، كقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿155﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿156﴾أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿157﴾﴾ البقرة:155/157.

ومن مظاهر رقي النّفس وسموّها أنّ الإسلام يدعو إلى الأخلاق الحميدة المُطهّرة من كلّ الشّوائب والمعاصي ويبعده عن كلّ ما هو خارج عن الطّريق المستقيم.

[1] ينظر: محمد الزحيلي: وظيفة الدّين في الحياة وحاجة النّاس إليه، ص،ص: 64، 65.

2 ـ تلبية الدّوافع النّفسيّة:

يسعى الدّين إلى كبح النّفس وإبعادها على كلّ المفسدات «ومن هنا كان حرص الإسلام الشّديد على تحرير البشر من شهواتهم، لا بفرض الرّهبنة عليهم، ولا بتحريم الاستمتاع بطيّبات الحياة، وإنّما بتهذيب استجابتهم إليها، وإتاحة القسط المعقول من المتاع الذي يرضي الضرورة ويطلق الطّاقة الحيويّة تعمل لإعلاء كلمة الله في الأرض، وكان الإسلام في ذلك يهدف إلى فائدة شخصيّة للفرد بتحقيق قسط من المتعة وراحة البال، وفائدة أخرى للمجتمع كلّه بتوجيه طاقته إلى الخير والتّقدّم والارتقاء»[1].

ومن هذا المنبر فإنّ الدّين يعزّز من إرادة الإنسان لمجابهة الفشل وخيبات الأمل، ويجعل حاجزًا لفرحه وحزنه بمعنى لا إفراط ولا تفريط، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾القصص:76. إضافة إلى أنّ الرّسول صلى الله عليه وسلم (ليس الشّديد بالصّرعة، إنّما الشّديد الذي يملك نفسه عند الغضب)[2].

وقد شرّع الله سبحانه وتعالى بعض العبادات لتعويد الإنسان على الصّبر وتعزيز إرادتهم من بينها: الصّيام، الصّلاة...

3 ـ معالجة الأمراض النّفسيّة:

لقد جاء الإسلام ليُلبّي احتياجات النّفس الإنسانيّة ومداواتها ويبقى المرض النّفسي أعظم من الأمراض العضويّة «كالهمّ والحزن والقلق واليأس والخوف والقنوط والتّردّد والحيرة/.../ كلّ ذلك عن طريق الإيمان بالله تعالى، وأنّه الملجأ للإنسان في كلّ الأحوال،

[1] محمد الزحيلي: وظيفة الدّين في الحياة وحاجة النّاس إليه، ص:68.

[2] أبو عبد الرحمن عبد الله بن الإرياني: حديث متّفق عليه مختارة من كتاب رياض الصّالحين، دار الآثار، صنعاء، اليمن، ط1، 2010م، ص:40.

والموكل للمرء في الخير والشّر والسّراء والضرّاء وكلّ تصرفات الكون، فإن أصابه شرٌّ صبر، وإن انتابه الخوف أمن بجانب الله»[1].

وقال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيطَٰنِ نَزغٞ فَٱستَعِذ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (200)إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُم طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبصِرُونَ﴾ الأعراف:200/201.

فالأمراض النّفسيّة ناتجة عن ارتكاب الإنسان للمعاصي والآثام والبعد عن الدّين وعدم إتّباع العقيدة، وإتّباع أهواء الشيطان يؤدّي به إلى الخروج عن الطّريق والشّقاء، وهنا يتعرّض الإنسان إلى الشّعور بالحزن وتأنيب الضّمير.

4 ـ الاستقرار النّفسي:

يمنح الدّين الإسلامي الفرد الاستقرار النّفسي والرّوحي، فيؤمن إيمانًا شديدًا بأنّ كلّ ما أتى من عند الله فيه خير له، فعلى الإنسان أن يتقبّل كلّ ما يُصيبه من عنده ويرضى به،

وهنا تكمن قوّة إيمانه. قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ الحج:11.

ويتحدّث بن عبّاس عن الرّسول صلى الله عليه وسلم عن صفات المؤمنين فيقول: (يا غلام إنّي أعلّمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أنّ الأمّة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلاّ بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضرّوك بشيء لم يضرّوك إلاّ بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفّت الصّحف)[2]، أي أنّ العبد إذا استعان بالله فإنّه لا يخيب وأنّه مهما ضاقت به السُّبل فإنّها ستتيسّر بإذن الله تعالى.

[1] محمد الزحيلي: وظيفة الدّين في الحياة وحاجة النّاس إليه، ص،ص:69، 70.

[2] أبو زكريّا يحي بن شرف النّووي: كتاب الأربعين النّوويّة، شرح: أحمد عبد الرّازق البكري، دار السّلام، القاهرة، مصر، ط4، 2007م، ص،ص: 14، 15.

ثالثًا: النّاحية الرّوحيّة:

1 ـ الدّين غذاء روحي للإنسان:

إنّ الإنسان يقوم على ثنائيّة الجسد والرّوح، فكما أنّ الجسد مصدر غذاءه الطّعام والشّراب، فالرّوح تتغذّى على العقيدة والإيمان فتلجأ الرّوح إلى مناجاة الذّات الإلهيّة لكي تسودها الطّمأنينة، ويتأتّى ذلك بقيام الإنسان بواجباته تجاه الله لتقوية الرّابط بينهما، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ الأنفال:4/2. فهذا الغذاء هو الذي يوثّق الصّلة مع الله ويحفظ نفسه ويضعه في الطّريق الصّحيح.[1]

2 ـ الدّين قوّة دافعة للتّقدّم:

إنّ الغذاء الرّوحي الصّحيح يؤدّي بالإنسان إلى كسر قيوده وتجاوز مخاوفه ويسمو بالفرد إلى مراتب الرّقي، فتقوى عزيمته لمجابهة الصّعاب ابتغاءًا لمرضاة الله وإيمانًا بقضاءه وقدره، فالدّين يزرع فيه الشّجاعة كقوّة تدفع به للتّقدّم، فالرّوح جوهر الإنسان وسلاحه الذي يواجه به المشاكل.

3 ـ الدّين سلاح في الحياة:

تكمن قوّة التّديّن لدى الإنسان بمدى قدرته على تحمّل مصاعب الحياة فهو صراع دائم بين الخير والشّر، وهنا تتوثّق صلة الإنسان بربّه من دون وسائط، فيتذلّل ويطلب المساعدة ويستنجد بالله، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ البقرة:186.

4 ـ الدّين تهذيب للرّوح:

[1] ينظر: محمد الزحيلي: وظيفة الدّين في الحياة وحاجة النّاس إليه، ص،ص:73، 74.

فبغذاء الدّين للرّوح تصبح النّفس خاشعة لله وراهبة لعقابه، ومن هنا يبدأ الإنسان بالتّودّد لله بترك معاصيه واستيقاظ ضميره فيرجعُ لله عن طريق التّوبة والطّاعة من خلال الإكثار من الصّدقات لنيل مرضاة الله وتوثيق الصّلة به.

5 ـ التّوازن بين الجسم والرّوح والعقل:

إنّ الدّين يحقّق التّماثل بين الجسد والوجدان والعقل، فإن تحكّمت غرائز وشهوة الإنسان به أصبح مماثلاً للحيوان الهائج، وإذا تعمّق بالتّفكير والتّدبّر وصل إلى الخيال، وإذا سعى وراء وجدانه وجسده أصبح وحيدًا، فالدّين يضبط ذلك التّوازن من كافّة الجوانب،قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ القصص:77. [1]

رابعًا: النّاحيّة الجسديّة:

لقد أولى الإسلام عناية كبيرة بالجسم وبالأخصّ النّظافة، واعتبر أنّ القوّة الجسمانيّة ميزة له، فقال الرّسول صلى الله عليه وسلم: (المؤمن القويّ خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضّعيف. وفي كلّ خير. أحرص على ما ينفعك واستعن بالله. ولا تعجز. وإن أصابك شيء فلا تقبل: لو أنّي فعلت كان كذا وكذا. ولكن قل: قدر الله. وما شاء فعل. فإنّ لو تفتح عمل الشيطان)[2].

ونرى أنّ الرّسول صلّى الله عليه وسلم قد ربط بين القوّة الجسديّة أو العضويّة والقوّة الروحيّة والمعنويّة، بالإيمان بالقضاء والقدر «وطلب الإسلام البعد عن كلّ ما فيه هلاك محقّ للجسم، أو خطر منتظر وحرّم كلّ ما يضرّ الجسم، أو يوهنه أو يضعفه، واتّخذ جميع الوسائل بحفظ الحياة، وبذل الطّاقة في صيانتها وسلامتها، وحذّر من الأمراض وشرّع التّداوي/.../ وأقام الإسلام منهجًا سديدًا لتنظيم الغرائز المختلفة /.../ وحرص على التّوازن

[1] ينظر: محمد الزحيلي: وظيفة الدّين في الحياة وحاجة النّاس إليه، ص ـ ص:76 ـ 79.

[2] أبو الحسين مسلم بن الحجّاج القشيري النيسابوري: صحيح مسلم، شرح: محمد فؤاد عبد الباقي، ج1، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1991م، ص:2052.

بينها، دون أن تطغى غريزة على أخرى، فيقع الإنسان في المهالك وينتابه الشّذوذ، أو تتحكّم فيه الغرائز والشّهوات وتصرفه عن الجوانب العقليّة والنفسيّة والرّوحيّة»[1].

نهى الإسلام عن كلّ ما يسبّب الضّرر للجسم، وكرّس كلّ ما يمكنه الحفاظ على الطّاقة الجسمانيّة، وحرص على إقامة التّوازن العقلي والرّوحي لكي لا يجعل الإنسان شهواته تسيّره وتؤدّي به إلى الهاوية.

[1] محمد الزحيلي: وظيفة الدّين في الحياة وحاجة النّاس إليه، ص،ص: 80، 81.

الفصل الأوّل

الفصل الأوّل: تاريخ الشّعر الدّيني.

أوّلا: الحياة الدّينيّة في العصر الجاهلي.

- الأغراض الشّعريّة في العصر الجاهلي.

ثانيا: العصر الإسلامي.

1 ـ الشّعر في صدر الإسلام.

2 ـ الشّعر في عصر الرّسول صلى الله عليه وسلم.

3 ـ الأغراض الشعريّة في العصر الإسلامي.

ثالثا: العصر الأموي:

1 ـ شعر الشّيعة.

2 ـ شعر الخوارج.

3 ـ شعر الزّبيريّين.

رابعا: العصر العبّاسي.

خامسا: العصر المملوكي.

1 ـ همزيّة البوصيري.

2 ـ قصيدة البردة.

يُعدّ الشّعر المصدر الرّئيسي الذّي يصوّر الواقع المعيشي للمجتمع الجاهلي في تلك الفترة، فهو بمثابة وسيلة للتّعبير عن أديانهم وعباداتهم وأفراحهم وغيرها، فالشّعر بمنزلة وثيقة تاريخيّة لهذا المجتمع قبل الإسلام.

أوّلاً: الحياة الدّينيّة في العصر الجاهلي:

قامت حياة النّاس في العصر الجاهلي على عبادة الأصنام والأوثان اعتقادًا منهم أنّها تقرّبهم إلى الله عزّ وجلّ، حيث كانوا يصنعون بعضها من الحجارة، ومن الذّهب، ومن الفضّة، وهذا راجع لقيمتها الكبيرة عندهم، إذ كانوا يتّخذون صنمًا في كلّ دار من أجل العبادة ويحضِرون القرابين لها على أمل تقوية صلتهم بالله.

يقول ابن الكلبي بهذا الصّدد «واشتهرت العرب في عبادة الأصنام فمنهم من اتّخذ بيتًا ومنهم من اتّخذ صنمًا، ومن لم يقدر عليه ولا على بناء بيت، نصب حجرًا أمام الحرم وأمام غيره ممّا استحسن، ثمّ طاف به كطوافٍ بالبيت /.../ فكانوا ينحرون ويذبحون عند كلّها ويتقرّبون إليها»[1]، والمعنى المراد هنا أنّهم كانوا يصنعون الأصنام من أيّ شيء، ولا يهمّهم حجمها، المهمّ في اعتقادهم أنّهم يعبدونها ويتقرّبون إلى الأرواح الكامنة داخلها للوصول إلى الله تعالى.

اختلف العلماء حول ما إذا كانت الأصنام والأوثان مترادفتين أو هناك فرق بينهما. فهناك من يرى «المعمول من الخشب أو الذّهب والفضّة أو غيرها من جواهر الأرض صنم، وإذا كان من الحجارة فهو وثن /.../ وقال آخرون: ما كان له جسم أو صورة صنم، فإن لم يكن له جسم أو صورة فهو وثن»[2] نلاحظ من خلال القول أنّ هناك تباينا في آراء المفكّرين، وهذا راجع لاستعمال القبائل لهذه المفردات.

اشتهرت العرب قديما بتسمية الأصنام التي هي بمثابة الآلهة بالنّسبة عندهم فلكلّ قبيلة صنم (اله) خاص بها، فنرى الشّعراء يقبلون على تمجّيد آلهتهم ويتغنّون بها ويذكرونها

[1] ابن الكلبي: كتاب الأصنام، تح: أحمد زكي باشا، دار الكتب المصريّة، القاهرة، مصر، ط2، 1925م، ص:33.

[2] جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام،ج6، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1993م،ص74.

في قصائدهم و دواوينهم.

ومن أمثلة ذلك: قبيلة هذيل بن مدركة التي اتّخذت "سُواعًا" صنما خاصا بها، وهناك بنو كلب اتّخذوا "وداً"، وأهل جُرس لديهم "يغوث" و ذكرهم الشّعراء في قولهم:

حياك ود! فإنا لا يحل لنـــــا لهو النساء إن الدين قد عزمـا

وقال أحد عبّاد يغوث:

وسار بنا يغوث إلى مـــــرادٍ فناجزنــاهمُ قبل الصبـــــاح

ومن خلال ما سبق نرى أنّ الشّعراء يعتمدون على آلهتهم في كلّ أمورهم، و قد ذكر الله عزّ وجــلّ أسماء الأصنام في قرآنه الكريم فقال فيهم تعالى:﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُم وَلَا تَذَرُنَّ وَدّا وَلَا سُوَاعا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسرا﴾ نوح:23

وهكذا فإنّه هناك الكثير من الأصنام و أقدسها كلّها "مناة" يقول فيها عبد العزى بن وديعة:

إني حلفت يمين صدق بـــــرة بمناة عند محل آل الخـــــزرج

ثمّ اتّخذوا "اللّات" بالطّائف و قال فيها عمرو بن الجعيد:

فإني وتركي وصل كأس كالــذي تبرأ من لاتٍ وكان يدينـــهـا

وهناك من الشّعراء من يحلفون بهم من أمثال أوس بن جعفر فيقول:

وباللات والعزى ومن دان دينها وبـــــالله إن الله منهـن أكـبر

ثمّ اتّخذوا بعد "اللّات" "العزّى" وهي أحدث وأعظم الأصنام في قريش فأصبحوا يطوفون بالكعبة ويذكرونها:

واللات والعـزى! ومناة الثالثة الأخـرى! فإنهن الغرانيق العلــى! وإن شفاعتهن لتُرتجـــى! [1]

وهنا نرى أنّ النّاس كلّما يمرّ زمن يتّخذون آلهة أخرى أي أنّهم يجدّدون في ألهتهم ويعبدونها من جديد والملاحظ أنّ القرآن تناول معظم أسماء الأصنام، فنرى قوله تعالى يتحدّث عن "اللّات" و"العزّى"فيقول:﴿ أَفَرَءَيتُمُ ٱللَّتَ وَٱلعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلأُخرَىٰ ٢٠ أَلَكُمُ

[1] ينظر: محمد لطفي جمعة: الشّهاب الرّاصد، مطبعة المقتطف والمقطم، مصر، ط1، 1926م، ص،ص:85،86.

ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ٢١ تِلكَ إِذا قِسمَة ضِيزَىٰ ٢٢ إِن هِيَ إِلَّا أَسماء سَمَّيتُمُوهَا أَنتُم وَءَابَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلطَٰنٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَد جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلهُدَىٰ ﴾النّجم: 23/19.

إضافة إلى ذلك يوجد "هُبَل" وهو أعظم الأصنام الموجودة في الكعبة وحولها حتّى أنّه يقال أنّ عمر بن لحيّ هو الذي نصبها حول مكّة فقال في ذلك شحنة بن خلف:

يا عمرو إنك أحدثت آلهـــة شتى بمكة حول البيت أنصـــابا

وكان للبيت رب واحد أبــداً فقد جعـلت له في الناس أربـابا[1]

يعني هنا أنّ الأصنام هي الآلهة حيث جعل لكلّ واحد إلها خاصا به يعبده ويقدّسه، وقيـل أنّ عمر بن لحيّ كان سببا في انتشار الأصنام ومخالفة دين التّوحيد وكان أكثر من أدخل الشّرك في العرب.

وكان هناك من العرب من عبد الكواكب وهم في اعتقادهم يعيدونها إلى ثالوث سماوي: الشّمس، والقمر، الزّهرة، كما رأوا أنّ أسماء الآلهة تعود لهذا الثّالوث وأنّ الأسماء ما هي إلاّ صفات لها.فنظر لها الإنّسان نظرة خاصّة وثبت في عقله أنّه إذا عبدها فإنّها ستنعم عليه بالسّعادة والبركة من هنا أصبح يقدّسها، وبيّن القرآن ذلك في قوله تعالى:﴿ وَمِن ءَايَٰتِهِ ٱلَّيلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمسُ وَٱلقَمَرُ لَا تَسجُدُواْ لِلشَّمسِ وَلَا لِلقَمَرِ وَٱسجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُم إِيَّاهُ تَعبُدُونَ﴾ فصّلت:37، والآية تأكيد على ما قلناه سابقا، فمن هذا المنطلق أصبح العرب يعبدون كلّ شيء يحمل صفة من صفات هؤلاء الثّلاثة، فظهرت هنا عبادة الحيوانات مثل: الثّور، البقر.....وعبدوا حتّى الشّجر والنّجوم.[2]

وهناك من المفكّرين من قال بأنّ الشعراء الأوائل كامـرئ القيس وطـرفة وعنتـرة خلت أشعارهم من تصوير الحياة الدينيّة وهذا الكلام غير صحيح، وسـنرى أبياتـا من شعر امرئ القيس يعبّر فيها عن الحياة الدّينيّة ،فيقول امرئ القيس، (بحر البسيط):

تلك السحابُ إذا الرّحمـــانُ أرسلـــها روّى بها من مُحـول الأرضِ أيْبَاسَـا

[1] أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي: مروج الذّهب ومعادن الجوهر، راجعه: كمال حسن مرعي، ج2، المكتبة العصريّة، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، ص:44.

[2] ينظر: جواد علي: المفّصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،ص ـ ص:50 ـ 52 .

تِلكَ النّجُومُ إذا حانَـتْ مَطالِعُـــهَا شَبّهتُهـــا في سَـوَادِ اللّيلِ أقبَـاسَـــا
تِلكَ الموَازِيـــنُ وَالرّحْمَـــانُ أنْزَلهَـا رَبُّ البَرِيّـــةِ بَيـنَ النّـــاسِ مِقيَـاسَـا[1]

وفي الأبيات دليل على أنّ امرأ القيس كتب عن الجانب الديني حيث نرى من خلال استخدامه لألفاظ كالرّحمن، الله هذه كلّها تدلّ على الدّين و هذا دليل كاف على أنّ الشّعراء القدامى أيضا تحدّثوا عن الجانب العقائدي في العصر الجاهلي.

وهناك أيضا عنترة الذي نلمس في شعره ما يدلّ على العاطفة الدّينيّة من خلال قوله، (بحر البسيط):

تجللتني إذْ أهوى العصـــا قبـلي كأنهـــا صـنمٌ يعتـادُ معكـوفُ
المـــالُ مالكـم والعبـدُ عبـدكـم فَهلْ عَذابُكَ عني اليومَ مَصْـروفُ[2]

نلاحظ هنا أنّ عنترة حاول أن ينقل لنا الحياة الدّينيّة التي كانت عند العرب الجاهليّين، فالنّاس يعبدون الأصنام ويعكفون عليها ويذكرونها في أشعارهم، وهذا لقيمتها الكبيرة عندهم.

وهنا نستنتج أنّ الشعراء جميعا كانت لهم تجربة شعريّة في مجال الدّين، فهو الذي يقرّب النّاس من الله لذلك فإنّنا نجد كلّ شخص يعبد الله بالطّريقة التي يراها مناسبة له وهذا راجع لعدم توفّـر دين شامل لجميع النّاس.

زيادةً على ما قلناه فإنّ هناك فئة من العرب اتّبعوا سيّدنا إبراهيم عليه السّلام وسمّوا بالحنفاء وهي صفة تابعة له ، والحنفيّة هي«اعتقاد بوجود اله واحد أحد، دون أن يكون هناك

[1] امرؤ القيس: ديوان امرئ القيس، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، (د، ب)، ط5، 1984م، ص،ص:461، 462.

[2] عنترة بن شدّاد الخطيب التبريزي: ديوان عنترة: تح: محمد سعيد مولوي، المكتبة الإسلاميّة، القاهرة، مصر،(د، ط)، 1963م، ص:110.

وصايا أو تعاليم أو طقوس، ما عدا الحجّ إلى الكعبة»[1]، وهنا وجدنا أنّه هناك من النّاس من ترك عبادة الأصنام واتّبع إبراهيم عليه السّلام في عبادته لله تعالى وتجلّى ذلك في قوله تعالى:﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾النّساء:125، والحنفيّة كانت تجسيدا لموقف واحد وهو عبادة اله واحد وترك عبادة الأوثان والأصنام.

إتماما لما قلناه سابقا فإنّه توجد الدّيانة اليهوديّة وهي مشتقّة من يهوذا وهو رابع أبناء يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وحاولت اليهوديّة ضبط التقاليد الدّينيّة وتطبيق الأحكام بصرامة من بينها: الرّجم للزّاني، الابتعاد عن النّساء في الحيض وغيرها. ونجد الله حذّر النّاس من اليهود فقل تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾المائدة:51.

وهذا دليل على أنّ النّاس يحاولون التّقرّب من الله بشتّى الوسائل حتّى وإن كانت طرقهم خاطئة، لذلك فإنّ الله يحاول هدايتهم إلى الطريق الصّحيح.

وإضافة لذلك توجد النّصرانيّة وهي تعود إلى يسوع ابن مريم العذراء الذي عرف بالمسيح، لذا فإنّ«جوهر الدّيانة المسيحيّة هو الإيمان بالله وبابنه يسوع المسيح، وإذا كان الإسلام يرى في المسيح كلمة الله، فإنّ المسيحيّين يعتبرونه ابن الله»[2]، والمقصود هنا أنّ النّصرانيّين كانوا يتقرّبون للمسيح على اعتبار أنّهم في طريق مرضاة الله فهو بمثابة ولد لله تعالى.

- **الأغراض الشّعريّة في العصر الجاهلي:**

على الرّغم من أنّه لم يكن هناك دين شامل في العصر الجاهلي إلاّ أنّنا وجدنا أنّ الشّعراء تطرّقوا إلى مواضيع لها علاقة بالدّين من بينها: المدح، الرّثاء، الفخر والحماسة،

[1] سميح دغيم: أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام،موسوعات الوافي،دار الفكر اللّبناني، بيروت،لبنان،ط1، 1990م،ص:48.

[2] المرجع نفسه، ص:65.

وغيرها فرأينا كثيرا من الشّعراء كتبوا في هذه المواضيع من بينهم: الأعشى، الخنساء، عمرو بن كلثوم، وغيرهم.

ومن أهمّ الشّعراء الجاهليّين الوثنيّين الذين تأثّروا بأهل الكتاب الشّاعر أميّة ابن أبي الصّلت الثّقفي و« هو من الطّائف ويقال أنّه اتّصل بالأحبار وتحنّف وتنسّك، وكان يزور مكّة قبل البعثة»[1]، حيث نجد أنّ أشعاره ارتبطت بالجانب الدّينيّ كثيرا، مثله كمثل عامّة الشّعراء الجاهليّين الذين تطرّقوا لهذا الجانب خاصّة «أولئك الشّعراء الذّين عرفوا بالتّحنّف وطلب الدّين، فإنّ أميّة قد تميّز بالإكثار من هذا الشّعر، /.../ ثمّ أضفى على هذا اللّون من الشّعر شيئا من ذاتيّته ونمط حياته، فأصبح لشعره الدّيني طابع خاص يميّزه من غيره في بعض الأحيان» [2] ومن بين الموضوعات التي تناولها في شعره: الموت حيث يقول فيها، (بحر الخفيف):

كُلُ عَيــشٍ وَإِن تَطــاوَلَ دَهــراً مُنتَهى أَمــرُهُ إِلى أَن يَــزولا
فَاِجعَلِ المَوتَ نُصبَ عَينِكَ وَاِحذَر غولَةَ الدَهرِ إِنَ لِلــدَهرِ غــولا
إِنَ يــومَ الحِــسابِ عَــظيــمٌ شابَ فيهِ الصَغيرُ شَيباً طَويــلاً[3]

نلاحظ من خلال الأبيات أنّه تحدّث عن الموت وأنّها نقطة نهاية وبعدها سنحاسب جميعا، وهنا نرى أنّ أمــيّة يوظّف في أشعــاره عبــارات بسيطة وراقية كي يفهمها جميع النّاس إضافة إلى أسلوبه المميّز في كتابته.

وهناك أيضا في أشعاره موضوعات متعلّقة بوجود الله عزّ وجلّ، حيث تناول كيفيّة خلق السّماوات والأرض وعن الفناء والعذاب من خلال أبياته التي تقول، (بحر الوافر):

إلــــهُ العالمــــينَ وكُــلِّ أرضٍ, وربُ الراسيــاتِ من الجبــالِ
بَنَــاهــــا وابتــنى سَبــعــاً شِــــدادا بِلا عمــدٍ, يُريــنَ ولا رجــالِ

[1] شوقي ضيف: العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط11، (د، ت)، ص:394.
[2] أميّة بن أبي الصّلت: الديوان، جمع وتح ودراسة: عبد الحفيظ السّلطي، المطبعة التّعاونيّة، دمشق، سوريا، (د، ط)، 1974م، ص:241.
[3] المرجع نفسه، ص:243.

وسواهـــا وزينـــهـــا بِنـــــــورٍ, من الشمس المضيئـة والهلالِ
وشَق الأرض فانبـجست عيُونـــــاً وأنهـــاراً مـن العَـذبِ الزلالِ
لهـم مـا يشـــتهـــون ومـا تمنـوا من الأفراح فيهـــا والكـمالِ [1]

نرى من خلال قصيدته أنّه فصّل بشكل دقيق كيفيّة خلق الكون وأنّه لا إله غير الله القادر على فعل هذا وأنّه في نهاية الطّريق كلّ سيجزى ما عمل وكلّ سيذهب في جهة، هناك من سينال الرّاحة وهناك من سيبقى في العذاب. وصوّر لنا الحياة والموت والعذاب والهناء في أبهى الصوّر وهذه من بين الأشعار التي تناولت الجانب الدّينيّ في العصر الجاهلي.

ومن بين الشّاعرات اللواتي تميّزن في شعر الرّثاء خاصّة في العصر الجاهلي الخنساء حيث أنّ معظم قصائدها تضمّنت رثاء عن أخيها صخر، حيث قالت فيه، (بحر البسيط):

ضاقَت بِيَ الأَرضُ وَانفَضَّت مَخارِمُها حَتّى تَخاشَعَـــتِ الأَعلامُ وَالبيـدُ
وَقائِـــلـــينَ تَعَـــزّي عَـــن تَذَكُّـــرِهِ فَالصَبرَ لَيـسَ لِأَمـــرِ اللَهِ مَـــردودُ
يا صَخرُ قَد كُـنتَ بَدراً يُستَضـــاءُ بِـهِ فَقَد ثَوى يَومَ مُتَّ المَجـــدُ وَالجـــودُ
فَاليَومَ أَمسَـــيتَ لا يَرجـــوكَ ذو أَمَـــلٍ لَمّا هَلَكتَ وَحَوضُ المَوتِ مَوردُ
وَرُبَّ ثَغـــرٍ مَهـولٍ خُضـــتَ غَمـرَتَـهُ بِالمُقرَباتِ عَلَيـهـا الفِتـيَةُ الصيـدُ
نَصَبتَ لِلقَومِ فيـــهِ فَصـــلَ أَعيُنِهِـــــم مِثلَ الشِهابِ وَهى مِنـــهُم عَباديـدُ [2]

نلاحظ من خلال الأبيات أنّ الخنساء تتمتّع بدقّة وصف و أسلوب مميّز حيث تحدّثت عن موت أخيها وأنّ الصّبر هو الحلّ، وأنّ الموت كالحوض الذي يُرتوى منه جميع النّاس. وهذه من بين الجوانب الدّينيّة التي تحدّثت عنها الخنساء.

نستخلص في الأخير أن العصر الجاهلي هو أول العصور التي ظهر فيها الشّعر و وضعت له مبادئه العامّة، وفيما يخصّ الجانب الدّينيّ فقد مرّ بكثير من الأديان كالحنفيّة

[1] أميّة بن أبي الصّلت: الدّيوان، ص:49.
[2] الخنساء: الديوان، شرح: حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2004م، ص،ص:38،39.

واليهوديّة والنّصرانيّة وغيرها، إضافة إلى عبادة الأصنام والأوثان والكواكب التي كانت متفشّية بشكل كبير، وهذا ما صعّب ارتباط الدّين بالشّعر لأنّه لم يكن هناك دين واحد يجمع كافّة النّاس وهذا ما أدى إلى تفشّي آفات لا أخلاقيّة كالخمر، القمار، حبّ النّساء وغيرها. رغم كلّ هذا فإنّنا نجد من الشّعراء من كتب في الجانب الدّينيّ وتناول موضوعات كثيرة كالمدح والهجاء وغيرها، ومع تتابع العصور ومجيء الإسلام والنّبي محمد عليه الصّلاة والسّلام سنلاحظ تغيير جذري وفي جميع المجالات خاصّة المجال الدّيني الذي سيكون الحاكم الجديد في جميع الأمور، لأنّ نور الدّين ونور القرآن سيصلح كلّ شيء.

ثانيًا: العصر الإسلامي:

ارتبط الدين في عصر صدر الإسلام بمجيء النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته المحمدية وغايته الأساسيّة عبادة الله وحده فلا مكان للأوثان و الأصنام هنا لأن الله واحد أحد و هو رب كل شيء، فعلى الإنسان طاعته و عبادته لنيل رضاه و الفوز بجنته.

1 ـ الشعر في صدر الإسلام:

إن مسألة الشعر وعلاقته بالدعوة الإسلامية أو عصر النبوة ليست مسألة محسوم فيها لأن هناك آراء مختلفة ولا نستطيع الإجماع على فكرة واحدة حيث هناك من الباحثين من يقول أن الشعر الإسلامي قد تراجع وضعف في هذا العصر خلافا لما كان فيه في العصر الجاهلي وهناك من يرى أن الشعر قد ازدهر و نما على الأشعار السابقة.

يرى بعض المفكرين أن هناك الكثير من الأشعار نظمت في صدر الإسلام، لأن الشعراء قد وجدوا في الدعوة المحمدية ما يكتبون من حروب وصراعات وجهاد وعن النبي وغيرها من المواضيع التي سادت في ذلك العصر. فالشعر هنا «لم يتوقف ولم يتخلف في هذا العصر، وهذا طبيعي لأن من عاشوا فيه كانوا يعيشون من قبله في الجاهلية وكانوا قد انحلت عقدة لسانهم وعبروا بالشعر عن عواطفهم ومشاعرهم فلما أتم الله عليهم نعمة الإسلام ظلوا يصطنعونه وينظمونه»[1]، من خلال القول نرى أن الشعر ظل مزدهرا ولم يضعف إذ

[1] شوقي ضيف:العصر الإسلامي،دار المعارف،القاهرة،مصر،ط7،(د، ت)،ص:42.

وجدنا كثيرا من الكتب الزاخرة بالأشعار الجيدة من أمثال: الأغاني، تاريخ الطبري، الأصمعيات .... وهذا دليل على نمو الشّعر.

ليس كما قال ابن خلدون في مقدمته انصرف العرب عن الشعر الأول و الإسلام بما شغلهم من أمر الدين والنبوة والوحي ما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه. فاخرسوا عن ذلك و سكتوا عن الخوض في النظم والنثر زمانا، ثم استقر ذلك وأونس الرشد عن الملمة، ولم ينزل الوحي في تحريم الشعر وحظره وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم و أثاب عليه. فرجعوا حينئذ إلى دينهم منه[1].

وهنا يبين لنا أن الشعراء اهتموا بالدعوة والدين وتناسوا الشعر لكن هذا ليس بالدليل القطعي، فليس كل الشعراء بداية الدعوة دخلوا في الإسلام لأن الدعوة استغرقت زمنا حتى تفشت في كامل مكة.

لعل ما جعل ابن خلدون يقول ما قاله استناده على قول ابن سلام الجمحي « فجاء الإسلام وتشاغلت النّاس عن الشعر العربُ وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ولهت (العرب) عن الشعر وروايته»[2]، من خلال هذا نرى أن العرب كانوا يجاهدون مع الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يجدوا وقتا للشعر ومن الدلائل التي قالت أيضا أن الشعر ضعف في العصر الإسلامي قوله تعالى:﴿ وَٱلشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ (224) أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ (225) وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ (226)﴾ الشعراء:226/224

لكن القرآن هنا لم يهاجم الشعر من حيث هو شعر وإنما هاجم شعرا كان يؤذي الرسول صلى الله عليه وسلم لأن الآيات تنزل لسبب معين فلا يجب أن نستخدمها في غير موضعها لأن هذا سيؤدي بنا إلى اختلال في المعنى.

[1] ينظر: ولي الدين عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، تح: عبد الله محمد درويش، ج1، دار يعرب ، دمشق، سوريا، ط1، 2004م، ص،ص:314، 315.

[2] ابن سلام الجمحي:طبقات فحول الشعراء، تح: محمود محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د،ط)، 1974م، ص:22.

مما سبق نستخلص أن قضية جودة الشعر في العصر الإسلامي لم تحسم بعد لكن نستطيع القول أنّ لكل عصر ما يميزه، وأن كل عصر لا يجب أن يقارن بالعصور الأخرى إذ أن العصر الإسلامي تميز في شعره بموضوعات مختلفة عن العصر الجاهلي خاصة وأنه تميز بمدح الرسول صلى الله عليه وسلم الذي لم يكن موجودا من قبل، إضافة إلى أن الدين الإسلامي هو الذي ضبط لنا الشعر ورفع من قيمته خاصة في العصر الإسلامي.

2ـ الشعر في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم:

يبدو أن موقف الرسول عليه الصلاة والسلام من الشعر ليس بواحد، فقد ورد أنه عليه السلام كان ينهى عن قوله تارة، ويطلب روايته ويستمع له تارة أخرى. لكن الشيء الأكيد أن له أقوال نقدية فيما يخص بعض الأشعار، أما فيما يخص الموقف الأول فقد قيل أنه قال عليه السلام:«لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا حتى يريه خير له من أن يمتلئ شعرا»[1].

وهنا دليل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يريد أن يقول شعراؤه الشعر لأنه في أول الإسلام اتخذوا الإسلام لعبا وأداة للمجون وإثارة الفتن والمشاكل وأكل أعراض الناس. لذا نرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يشجعه في بادئ الأمر، لكن موقفه الثاني من الشعر هو أنه يراه «فن من الفنون الجميلة، فيه تهذيب ودعوة إلى فضيلة ومكرمة وفيه حكمة وموعظة وتدعيم لمبادئ الإسلام، وتبشير بها. فقد كان رسول الله مشجعا لكل ذلك، موجها تارة، ومتخذا الشعر سلاحا من أسلحة الحرب تارة أخرى»[2].

من خلال ما سبق نستطيع القول أنّ الرسول عليه الصلاة والسلام كان على علم أن أهل الجاهلية كانوا أهل شعر، لذلك فهو جزء منهم لذا في نظره الشعر ملكة فنية لدى العرب و أيضا وسيلة لمواجهة قريش.

فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا الصدد «لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين»[3]، وهذا دليل على أن العرب لا تستطيع التخلي عن الشعر فكان موقف

---

[1] أبوعلي الحسن بن رشيق القيرواني:العمدة في صناعة الشعرونقده،ج1،دارالسعادة،مصر،ط2، 463هـ،ص،ص:31،32.

[2] يحي الجبوري:الإسلام والشعر،تق: يوسف عز الدين،مكتبة النهضة، بغداد،العراق،(د،ط)،1964م ،ص:51.

[3] المرجع نفسه، ص:29.

الرسول عليه الصلاة والسلام تهذيبه و جعله يتحدث عن الأمور الدينية وتمثيل لدعوته الشريفة، حيث كان ينقد الأشعار و يجعلها تخدم الدين. فقد روى أن عبد الله بن رواحة قال في عمرة الرسول عليه الصلاة والسلام شعرا ينشد به الرسول صلى الله عليه وسلم: (بحر مشطور الرجز)

خَلّوا بَني الكُفّارِ عَن سَبيلِهِ

خَلّوا فَكُلُّ الخَيرِ في رَسولِهِ

يا رَبُّ إِنّـــي مُؤمِنٌ بِقيلِهِ

أَعرِفُ حَــقَّ اللَهِ في قَبولِهِ

نَحنُ ضَرَبناكُم عَلى تَأويلِهِ

كَما ضَرَبناكُم عَلى تَنزيلِهِ[1]

والمروي عن عمر بن الخطاب أنه غضب كيف أن عبد الله بن رواحة يقول الشعر في حرم مكة لكن الرسول عليه الصلاة والسلام هدأه، وهذا إن دلّ فإنه يدل على كرم الرسول عليه الصلاة و السلام وحسن أخلاقه التي جعلت من الشعراء يمدحونه كثيرا ويتّبعونه في طريق الهدى ويقولون فيه الشعر ويمجّدون دعوته ويدعون إليها و إلى عبادة الله عزّ وجلّ.

3ـ الأغراض الشعرية في العصر الإسلامي:

يعتبر الشعر الديني من أبرز ما يميز العصر الإسلامي حيث وجد الشعراء في الدين الموضوع الجديد الذي لم يكن في السابق، فسارعوا في الكتابة فيه فتحدثوا عن عبادة الله وحده، وعن الحياة والموت و عن الحلال والحرام ....و غيرها. فمثلما الإسلام يدعو إلى الإيمان بالأنبياء والرسل فنجد حسّان بن ثابت الملقب بشاعر الرسول عليه أفضل الصلاة و أزكى تسليم يقول بهذا الصدد، (بحر الطويل):

[1] وليد قصاب:ديوان عبد الله بن رواحة ودراسة في سيرته وشعره،دار العلوم،الرياض،السعودية،ط1 ،1981م ،ص،ص: 144، 145.

شَـهِـــدتُ بِإذنِ اللَهِ أَنَّ مُحَـمَّـــداً رسولُ الَّذي فَوقَ السَماواتِ مِـن عَـــلُ

وَأَنَّ أَبا يَحيى وَيَحـــيى كِلَيــهِـما لَـــــهُ عَـــمَـــلٌ في دينـِهِ مُتَـــقَبَّــلُ

وَأَنَّ الَّتي بِالسُدِّ مِن بَطـنِ نَخلَـــةٍ وَمَن دانَهـا فِـــلٌ مِنَ الخَيـــرِ مَعــزِلُ

وَأَنَّ الَّذي عادى اليَهودَ اِبنَ مَريَـمَ رسولٌ أَتى مِن عِـــندِ ذي العَرشِ مُرسَلُ

وَأَنَّ أَخا الأَحقافِ إِذ يَعذِلونَـــــهُ يجاهِـــدُ فـــي ذاتِ الإِلَـــهِ وَيَـــعدِلُ[1]

وهنا تأكيد على ما جاء في الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلمُؤمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَينَ أَحَد مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعنَا وَأَطَعنَا غُفرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيكَ ٱلمَصِيرُ﴾ البقرة:285. وهنا نرى أن حسّان أراد إيصال فكرة الأنبياء والرسل من خلال شعره فهو من أكثر الشعراء الذين ساندوا الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوته.

أـ شعر الفتوحات:

بمجيء النبي الكريم ودعوته الفاضلة فإنه حاول إيصالها إلى أبعد الحدود وهذا عن طريق الجهاد في سبيل الله فشارك معه كثير من المؤمنين وهذا إتباعا لما جاء في الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ فَليُقَٰتِل فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشرُونَ ٱلحَيَوٰةَ ٱلدُّنيَا بِٱلأَٓخِرَةِ وَمَن يُقَتِل فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقتَل أَو يَغلِب فَسَوفَ نُؤتِيهِ أَجرًا عَظِيما﴾النساء:74. ومن هذا المنطلق كتب الكثير من الشعراء يدعون إلى مساندة الرسول صلى الله عليه وسلم من أمثال ذلك عبد الله بن رواحة الذي اتجه إلى الروم فودّعوه أصحابه فأجابهم بقول ما يلي،(بحر البسيط):

لكنني أسأل الرحمـنَ مغفـــرةً وضربةً ذات فَزعٍ تَقذفُ الزّبــدا

أو طعنةً بيدَي حرّان مُجـــــهِزَة بحربةٍ تُنفِذُ الأحشاءَ والكبـــدا

[1] حسّان بن ثابت الأنصاري:ديوان،تح:عبد الله سنده،دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1 ،2006م، ص:201.

حتى يُقالَ إذا مرُّوا على جَدَثي: أرشده الله من غازٍ، وقد رشـدا[1]

وهنا نرى أن الشعراء وقفوا بجانب الرسول عليه الصلاة والسلام في جهاده ضد الكفار ودعوته المشرفة، ومن خلال الأبيات نرى أن الشعراء مستعدون للتضحية بأرواحهم من أجل الرسول العظيم، فهم يرون أن الخير في فدائهم للرسول صلى الله عليه وسلم والوقوف بجانبه ومساندته في الأوقات الصعبة وهذا ما فتح لهم آفاق جيدة لقول الشعر من خلال أغراض جديدة كشعر الحنين والرثاء واحتساب جهادهم في سبيل الله، وهذا ما وسّع آفاق الشعر وأدى إلى ازدهاره.

ب ـ شعر الفخر والحماسة:

كان لشعر الحماسة مكانة في صدر الإسلام لأن الشعراء أصبحوا في جهاد مع الرسول عليه الصلاة و السلام وهذا ما بثّ فيهم الافتخار لقول الشعر الحماسي خاصة عند فوزهم في معاركهم ونيلهم الشهادة في سبيل الله « فلم يعد الشاعر يفخر بإعلاء كلمة القبيلة أو رفع شأنها، ولا بكسب المغنم أو سبيّ الأعداء. بل صار يفخر بنيل الشهادة في سبيل الله، وبتأييد الملائكة لجند الله، و لانتصار المؤمنين الصادقين »[2]. وهنا تأكيد على ما قلناه سابقا، ومن أمثال الشعراء الذين كتبوا و أبدعوا في الفخر قول حسّان ثابت،(بحر الكامل):

اللَهُ أَكرَمَنـا بِنَصـــــرِ نَبِـــيِّهِ وَبِنا أَقامَ دَعـائِمَ الإِســـــــلامِ
وَبِنا أَعَزَّ نَبِيَّـــهُ وَكِتـــابَـــهُ وَأَعَزَّنا بِالضَـربِ وَالإِقـــــدامِ
يَتلو عَلَينا النورَ فيهـا مُحكَمـاً قِسماً لَعَمرُكَ لَـيسَ كَالأَقســـامِ
فَنَكونُ أَوَّلَ مُستَحِلِّ حَلالِـــــهِ وَمُحَـــرِّمٍ لِلَّهِ كُـــلَّ حَـــــرام
نَحنُ الخِيارُ مِنَ البَرِيَّةِ كُـلِّهـا وَنظامُها وَزِمـامُ كُـلِّ زِمـــامِ[3]

[1] وليد قصاب:ديوان عبد الله بن رواحة ودراسة في سيرته وشعره،ص:147.
[2] سامي مكي العاني:الإسلام والشعر،دار المعرفة،الكويت،(د،ط) ،1996م،ص104.
[3] حسّان بن ثابت الأنصاري:الديوان، ص:253.

وهنا نرى أن الشاعر لم يعد يفتخر بقومه كما كان الحال سابقا بل صار يفتخر بقوم النبي صلى الله عليه وسلم أي أنصار الإسلام الذين ساعدوه في دعوته فهم أخيار الناس وهم الذين سيمدون يد المساعدة للرسول عليه الصلاة والسلام لإخراج الناس من الظلمات إلى النور.

وهناك النعمان بن العجلان الذي نظم قصيدة عدّت سجلا للفخر في قوله،(بحر الطويل):

فَقُلْ لِقُرَيشٍ نَحْنُ أَصْحَاب مَكَّـةٍ ... وَيوَمِ حُنَينٍ وَالفَوَارِسُ فِـــي بَـــدْرِ
وَأَصْحَابُ أُحْدٍ وَالنّضِير وَخَيْبَـــرٍ ... وَنَحْنُ رَجَعْنا مِنْ قُرَيْظَـــةَ بِالذِّكْـــرِ
نَصرْنَا وَآوَيْنَا النَّبِيَّ وَلَمْ نَخَـــفْ ... صرُوفَ اللَّيَالِيَ والعَظِيمَ مِنَ الأَمْرِ
وَقُلْنَا لِقَوْمٍ هَاجَرُوا مَرحَبـــًا بِكُـــمْ ... وَأَهْـلًا وَسَهْلًا قَدْ أَمِنْتُـــمْ مِنَ الفَقْـرِ
نُقَاسِمُكُـــمْ أَمْـوَالَنَـــا وَدِيـــارَنَـــا ... كَقِسْمَةِ أَيسَارِ الجَزُورِ عَلَى الشَّطْـرِ
وَنَكْفِيكُمُ الأَمْرَ الَّذِي تَكـــرَهُونَـــهُ ... وَكُنّا أُنَاسًا نُذْهِبُ العُسْـرَ بِاليُســـرِ[1]

والملاحظ هنا من خلال الأبيات أن الشعراء لا يخافون في جهادهم مع النبي صلى الله عليه وسلم، بل يرون في ذلك فخرا واعتزازا، وأنهم ويعرضون على الناس المهاجرين الأمان وهذه من كرم المسلمين ومن الأخلاق التي أوصانا عليها رسولنا الكريم وأتانا بها القرآن العظيم.

ج ـ شعر المديح:

تجلت نظرة المسلمين إلى المديح في الأول إلى أنه مظهر من مظاهر الكبرياء وهذه الصفة نهى عنها الدين لكن مع بروز الدعوة الإسلامية و تغير الحياة عمّا كانت فيه في الجاهلية فقد اعتنى الشعراء بشعر المديح بل و خصّصوه لقائد الدولة الإسلامية النبي الكريم عليه أفضل الصلاة و أزكي التسليم و أصبحوا يخصّصون له شعرهم و المبادئ التي أتى

[1] أبو عمريوسف بن عبد البّر القرطبي النمري:الإستيعاب في معرفة الأصحاب،صحّحه وخرجّه:عادل مرشد،دار الإعلام،عمان،الأردن،ط1، 2002م، ص:722.

بها من عند الله عزّ و جلّ وعن الأسس الإسلامية التي أراد إرساء قواعدها لدى المسلمين. ومن هنا رأينا أن الشعراء أصبحوا يكتبون حوله، وعن دعوته و من أمثال ذلك نجد قول كعب بن مالك في مدح الرسول عليه الصلاة و السلام،(بحر البسيط):

فِينـــا الرسُولُ شِهـــابٌ ثُمَّ يَتْبـــعُهُ نُورٌ مُضيءٌ لَهُ فَضْلٌ علـــى الشُّهُبِ
الحَقُّ مَنْطِقُهُ والعَـــدْل سِيرَتُـــــهُ فَمَنْ يُجبْهُ إليهِ يَنْـــــجُ مِـــنْ تَبَـــبِ
يَمْضي ويذْمرُنَا عَنْ غيرِ مَعْصِيةٍ كأَنَّه البَدْرُ لم يُطْبَعْ علـــى الكَـــذِبِ
بَدَا لنـــا فاتَّبَـــعْنـــاهُ نُصَدِّقُـــــهُ وَكَذَّبـــه فكُنَّـــــا أسْعَـــدَ الـــعَربِ[1]

وهنا يتحدث عن النبي عليه الصلاة والسلام و أنه أفضل خلق الله وعلينا الاقتداء به وتصديقه واتباعه لكي يرشدنا سبل النجاة.

ويؤكد أصيد بن سلمة أن الله هو الذي بعث نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم ليبلغ رسالته للناس أجمعين فيقول في ذلك،(بحر الكامل):

إنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَـــاءَ بِقُـــدْرَةٍ حَتَّى عَلَا فـــــي مُلْكِـــهِ فَتَوَحَّدَا
بَعَثَ الَّذِي لَا مِثْلَهُ فِيمَا مَضَـــى يَدْعَوْ لِرَحْمتِهِ النَّبِيَّ مُحَمَّـــــــدَا
ضَخْمَ الدَّسِيعَةِ كَالغَزَالَةِ وَجْـهُـــهُ قَرْنًا تَأَزَّرَ بِالمَكَـــارِمِ وَارْتَـــــدَى
فَدَعَا العِبَادَ لِدِينِـــهِ فَتَتَابَـــــعُـــوا طَوْعًا وَكَرْهًا مُقْبِلِينَ عَلَـــى الهُدَى
وَتَخوَّفُوا النَّارَ الَّتي مِنْ أَجْلِـــهَا كانَ الشَّقِيُّ الخَـاسِـرَ المُتَـــلَدِّدَا[2]

وفي الأبيات دليل على ما قلناه سابقا أي أن الدعوة المحمدية رسالة الله التي بعثها إلى الناس كافة لكي يهتدوا إلى دين الحق وهو دين الإسلام.

د ـ شعر الهجاء:

كان موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الهجاء أنه لم ينه عنه بل أمرهم بقوله و حثهم على الرد بمثله خاصة على قريش حيث قال:«قولوا لهم مثلما يقولوا لكم»[3]؛ لأنها

[1] كعب بن مالك الأنصاري: الديوان،تح:سامي مكي العاني،دار المعارف،بغداد،العراق،ط1، 1966م ،ص،ص: 174،175.

[2] ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة،دار ابن حزم،بيروت ،لبنان،ط1، 2012م ،ص:55.

[3] سامي مكي العاني،الإسلام والشعر ،ص:118.

الوسلية التي كان يبدع فيها الشعراء،خاصة حسّان بن ثابت وكعب بن مالك إذ كانوا يؤذون قريشا من خلال الأشعار،من بين ذلك قول كعب بن مالك يهجوا قريشا،(بحر الطويل):

فكُبَّ أَبو جَهْـــلٍ صَريعـــاً لِوَجْهِـــهِ وعتبةُ قَدْ غادَرْنَـــهُ وَهْـوَ عَائـرُ
وشَيبةَ والتيميَّ غـــــادرْنَ فـي الوَغـــى وما مِنْهُمُ إلاّ بذي العَـرْشِ كافـرُ
فأمْسُوا وَقُود النّارَ في مستَـــــقَرّهَـــا وكلّ كفورٍ في جهنَّـم صَـــائـرُ
تَلَظَّى عليهِمْ وَهْـــيَ قَدْ شُبَّ حَمْيُهـــا بِزُبْرِ الحَدِيـدِ والحـــجارةِ سَاجـرُ
وكانَ رَسُولُ اللهِ قد قَـــــالَ أَقبِـــــلُوا فولّـوا إنّمـــا أنـــتَ سَـــاحـــرُ
لأمـــرٍ أَرادَ اللهُ أَنْ يـهـــلَكُـــوا بِـــهِ وَلَيْسَ لأَمرٍ حَمَّـــةُ اللهُ زاجِـــرُ[1]

وهنا نلمس في الأبيات أن الكفار خاصة قريش سيكونون حطب جهنم يوم القيامة و أن الكفار لا مفر لهم من العقاب و أن الرسول صلى الله عليه وسلم حاول معهم لهدايتهم إلى الطريق السوي لكنّهم كذّبوه واتّهموه أنه ساحر ولم يصدقونه فهم في نهاية الأمر هم الخاسرون وأن مصيرهم العقاب والعذاب الأبدي.

وأضاف كعب بن مالك في هجائه لليهود الذين يكذّبون النّبي صلى الله عليه وسلم و نكروا دعوته قائلا،(بحر الوافر):

لقد خَزِيَتْ بِغَدْرَتِها الحُـبـــورُ كذاكَ الدّهْرُ ذو صَـــرفٍ يَـــدُورُ
وَذلِكَ أَنّهُمْ كَـــفَـــروا بِـــرَبٍّ عزيزٍ أَمْـــرُهُ أَمْـــــرٌ كَبِـــــيرٌ
نَذِيرٌ صَـــادِقٌ أَدَّى كِتَـــابـــا وآيـــــاتٍ مبـــيَّنـــــةً تُثـــيرُ
فَمَن يَتْبَعْهُ يُهْدَ لِكُـــلِّ رُشـــدٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بهِ يُجـــزَ الكـــفـورُ
فَلمّا أَشْربوا غَـــدْراً وَكـفـــــراً وَحَادَ بِهِمْ عَنِ الحـــــقِّ النُّفُـــورُ[2]

من خلال الأبيات نري أن اليهود كذّبوا الرّسول صلى الله عليه وسلم و كفروا بالله حتّى بعد الأدلّة التي أنزلها الله لذلك جزاؤهم سيكون جهّنم يصلونها يوم الدّين لأنّهم اتبعوا الأصنام والأوثان وأطاعوا الشيطان وتركوا من بيده القّوة لكل شيء.

هـ ـ شعر الرّثاء:

[1] كعب بن مالك الأنصاري: الديوان،ص،ص:200،201.

[2] المرجع نفسه ،ص:203.

إنّ الرّثاء معروف منذ القديم وله طرق معينة في تأديته وهي: النّدب والتّأبين والعزاء لكنّ الإسلام نقّح رثائهم من السّلوكات التي لا تليق بالدّين وعلمهم أنّ الدّنيا دار الفناء وأنّ الموت حقّ للجميع وأنّ الإنسان لا يستطيع تغيير سنّة الله في كونه فما على الإنسان إلاّ الصّبر على الشّدائد واحتساب الأجر لله كما جاء في الآية الكريمة في قوله: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ١٥٧ ﴾البقرة:175/155.

ومن هنا كانت المآتم بعد الإسلام خاضعة لمقاييس جديدة فيها الصّبر والرّحمة....و غيرها وأكبر مثال على الرّثاء رثاء حسّان بن ثابت الرّسول صلى الله عليه وسلم بعد رحيله فقال فيه، (بحر البسيط):

آليْتُ ما في جميعِ النّاسِ مجْتهِداً، منِي أليةَ برٍّ، غيرِ إفنادِ
تاللهِ ما حملتْ أنثى ، ولا وضعتْ مِثْلَ النّبيّ، رسولِ الرّحمةِ الهادي
ولا برا اللهُ خلقاً منْ بريتهِ أوْفَى بِذِمّةِ جَارٍ، أو بمِيعَادِ
منَ الذي كان نوراً يستضاءُ بهِ، مُبَارَكَ الأمْرِ ذا عَدْلٍ وإرشادِ
مُصَدِّقاً للنَّبيّينَ الأُلى سَلَفُوا، وأبذلَ الناسِ للمعروفِ للجادي[1]

وهنا كان الشّعر يفيض من حسّان بشكل تلقائي فبقدر محبّته للرّسول العظيم رثاه أحسن رثاء فقال عنه أنّه خير الأنام وأنّه لا يوجد مثله لا في كرمه ولا في عطائه ولا في رحمته. وتتالت على حسّان الأخبار السيّئة فمن بعد الرّسول الكريم صلى الله عليه وسلم ينتقل أبو بكر الصدّيق إلى جوار ربّه فيسيل الشّعر من حسّان ذاكرا خصاله الكريمة فيقول،(بحر البسيط):

إذا تذكرتَ شجواً من أخي ثقةٍ ، فاذكرْ أخاكَ أبا بكرٍ بما فعلا
التاليَ الثانيَ المحمودَ مشهدهُ، وأولَ الناسِ طراً صدقَ الرسلا
والثانيَ اثنينِ في الغارِ المنيفِ، وقدْ طافَ العَدُوُّ بهِ إذْ صَعَّدَ الجَبَلا

[1] حسّان بن ثابت الأنصاري: الديوان،ص،ص:66،67.

خَيْرُ البَرِيّةِ أبْـقـــاهـــا وأرْأفُـــها، بَعْدَ النبيّ، وأوْفاهـا بمـا حَمَـــــلا
عاش حَمِيداً، لأمـــرِ اللَّهِ مُتَّبِـــــعاً، بهَدي صاحبِه الماضي، وما انْتقلا[1]

بيّن لنا حسّان بن ثابت أنّ الخليفة الأوّل للرّسول صلى الله عليه وسلم هو أبو بكر الصدّيق وهو أوّل من صدّق الرّسول صلى الله عليه وسلم وآمن بدعوته وسانده، لذا فإنّ فقدانه ثاني أكبر مأساة تتلقّاها البشريّة من بعد خير الأنام رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وظهر في هذا العصر نوع آخر للرّثاء وهو رثاء الشّهداء فسارع الشّعراء و كتبوا فيه و قد برز هذا النّوع في العصر الإسلامي خاصة ومن أمثال الشّعراء الذّين كتبوا في هذا النّوع نجد حسّان بن ثابت في رثائه لحمزة بن عبد المطّلب الذي استشهد في معركة أحد يقول،(بحر الطويل):

تسائلُ عن قرمٍ هجـانٍ سميـــذعٍ، لدى البأسِ، مغوارِ الصباحِ ، جســـورِ
أخي ثقةٍ يهتزُّ للعرفِ والنـــدى ، بَعِيدِ المَدَى ، في النّائِبـــاتِ صَبـــُورِ
فَقُلْتُ لَهَا إنّ الشّـهـادَةَ رَاحـــةٌ ، ورضـــوانُ ربٍّ، يأمـــــامَ، غفـــورِ
فإنّ أباكِ الخَيْرَ حمْزَةَ ، فاعْلمـي، وَزِيرُ رَسُـــولِ اللَّهِ خَـــــيْرُ وَزِيـــــرِ
دَعاهُ إلهُ الخلْقِ ذو العَرش دعـوَةً إلى جنّـــةٍ يَرْضَـــى بهـا وَســـرُورِ
فذلكَ ما كنا نرجـي ونرتجـــــي، لحمزةَ يومَ الحشـرِ، خـــيرَ مصيـــرِ
فواللهِ لا أنساكَ ما هبتِ الصـــبا، ولأبْكِيَـــنْ فـــي مَحْضَـــرِي ومَسـيـرِي
عَلى أسَدَ الله الّذي كـان مِدْرَهـــاً، يذودُ عـنِ الإســـلامِ كـــــلَّ كـفـور[2]

من خلال الأبيات صوّر لنا حسّان أنّ الشّهادة أعظم هدية للإنسان وأنّ الله سيجزي الشّهداء الجنّة وأنّ حمزة كان شجاعا وكان عظيما وأنّه خير وزير للرّسول و أثنى عليه بكلام كثير.وقال أيضا أنّ الله منحه الشّهادة لينال الجنّة في النّهاية.

[1] كعب بن مالك الأنصاري: الديوان، ص،ص:188،189.
[2] المرجع نفسه، ص،ص:114،115.

نستخلص في نهاية العصر الإسلامي أن هذا العصر هو ثاني العصور بعد العصر الجاهلي وأنّ الإسلام جاءنا من الله عزّ وجلّ خالق كلّ شيء، عن طريق نبيّه صلى الله عليه وسلم.وقد عمل على تهذيب الشّعر وصقله وجعله خادما للدّين والدّعوة بالدّرجة الأولى، فتهافت الشّعراء عليه ولم يتركوا موضوعا إلاّ وكتبوا فيه من مدح وهجاء وفخر ورثاء وغيرها، ولاحظنا أنّ معظم الشّعراء الذّين كانوا يكتبون في الجاهلية أبدعوا أيضا بمجيء الإسلام حيث أنّهم اعتنقوا الدّعوة ودافعوا عنها بل وساندوا النّبي صلى الله عليه وسلم على نشرها من أمثال الشّعراء نجد: كعب بن زهير صاحب البردة، وحسّان بن ثابت، وكعب بن مالك.... وغيرهم وهذا لكي يعلم جميع النّاس أنّ الإسلام دين يسر لا عسر أو تشديد أو تعصيب على العكس تماما فهو سند للشّعراء بل وينظّم حياتهم وشعرهم. وفيما تتتابع العصور كالأموي والعبّاسي سنرى أنّ الدّين الإسلامي رفع من شأن الإنسان وحياته وشعره .... وغيرها من مجالات الحياة، لأنّه أعظم و أشمل دين بعث به الله إلى أمّته أجمع مع نبيّه العظيم محمد عليه أفضل الصّلاة وأزكى تسليم.

ثالثًا: العصر الأموي:

مع قيام الدّولة الإسلاميّة وظهور الإسلام، حدث تغيير كبير وجذري في حياة العرب، فقد أصبحت هناك دولة تدين بالإسلام ودستورها القرآن، وبالتّالي ظهر أدب جديد وهو الأدب الإسلامي المقيّد بالدّين والعقيدة والتي تعتبر الرّكيزة الأساسيّة التي يقوم عليها المجتمع.

«وبظهور الإسلام بدأ المفهوم السّياسي يشيع شيئا فشيئا في الشّعر العربي حيث استطاعت العقيدة أن تعلو على صوت الانتماء القبلي وأن تجمع طائفة كبيرة من أبناء قبائل ومواطن مختلفة حول مبدأ واحد من الإيمان تمتزج فيه العقيدة بنظام الحكم والاقتصاد وبناء المجتمع وعلاقة المسلمين بغيرهم من المجتمعات، وهي كلّها أمور تدخل في صميم السياسة»[1].

[1] عبد القادر القط:في الشّعر الإسلامي والأموي،دار النّهضة العربيّة، بيروت، لبنان،(د، ط)، 1987م، ص:275.

وبالتّالي فالسّياسة تغلغلت وسط المجتمعات عن طريق الشّعر وأنّ العقيدة وحّدت العرب بغيرهم فأصبحت لاعصبيّة ولاقبليّة. كلّهم إخوة ائتلفوا تحت راية واحدة وهي راية الإسلام.

وقد ظهر مصطلح السّياسة في حديث الرّسول صلى الله عليه وسلم (كانت بنو اسرائيل تسوسهم

الأنبياء كلّما هلك نبيّ خلفه نبيّ)[1]، والمقصود بقوله صلى الله عليه وسلم أنّه كلّما توفّي نبيّ خلفه الذي بعده أو قام بعده وتولّى الحكم وراءه.

ولقد لاقى مصطلح السّياسة استعمالا كبيرا في العصر الأموي وخاصة في إحدى خطب معاوية بن أبي سفيان حيث قال:«لا ينبغي أن نسوسكم سياسة واحدة»[2]، وقد استعملها أيضا الكميت للتّعبير عن مدلولها الاصطلاحي بقوله، (بحر الوافر):

فَقُلْ لبَني أُمَيَّةَ حَيْثُ حَلّوا وَإِنْ خِفْتَ المُهَنَّدَ والقَطيعا

أَجاعَ اللهُ مَنْ أَشْبَعْتموهُ وَأَشْبَعَ مَنْ بِجَوْرِكمُ أُجيعا

بِمَرْضِيّ السِّياسَةِ هاشِمِيٍّ يَكونُ حَيّاً لِأُمَّتِهِ رَبيعا [3]

لقد ارتبط الشّعر بالسّياسة ارتباطا واضحا وذلك من خلال ما يوثّقه الشّاعر من أحاسيسه ومشاعره وأفكاره وانتماءاته السّياسية فيعرّفه أحمد الشّايب «هو ذلك الفنّ من

[1] أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري،صحيح مسلم، تح:زائد بن صبري ابن أبي علفة، دار طويق، الرياض، السعودية،ط1، 2008م، ص:611.

[2] الطّبري:تاريخ الطّبري، تح: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1971م، ص:29.

[3] أبو رياش أحمد بن إبراهيم القيسي: شرح هاشميّات الكميت ابن زيد الاسدي، تح: داوود سلّوم ونوري حمّودي القيسي، مكتبة النّهضة العربيّة، بيروت، لبنان، ط2، 1986م، ص،ص:197، 198.

الكلام الذي يتّصل بنظام الدّولة الدّاخلي أو نفوذها الخارجي ومكانته بين الدوّل»[1]، أي أنّه يربط بين أنظمة الدّولة ويتحكّم في مكانتها.

وتعود نشأة الشّعر السّياسي إلى العصر الجاهلي فكلّ الأشعار التي نظمت في شأن القبائل وفي حدود سياسية، وبمجيئ العصر الأموي والذي اصطبغ بصبغة سياسية فقد تعرّضت فيه الدولة الأموية منذ بدايات تأسيسها لمضايقات شديدة وما زاد من حدّتها هو تغيير معاوية بن أبي سفيان لنظام الحكم الإسلامي إلى نظام وراثي أسري، بعد أن كانت تقوم على الشورى، وهنا انقسمت إلى أحزاب اثر مقتل عثمان بن عفّان رضي الله عنه منها:حزب الشّيعة والخوارج والزّبيريّن.

وقد اشتهر عدد قليل من شعراء الشّيعة وأهمهم: أبو الأسود الدؤلي و الكميت بن زيد الأسدي، وكثير عزّة .... وغيرهم وهم الأبرز في العصر الأموي.

1 ـ شعر الشّيعة:

أ ـ حب آل البيت:

ويعتبر ديوان الهاشميّات للكميت بن زيد الأسدي مثالا استثنائيا للشّعر السّياسي في ذلك العصر، وصورة تجسّد الفكر الشّيعي إبّان تلك الفترة،فقد خطّ الكميت قصائده والتي يصل عددها إلى ستّين وأربعمائة (460)، ليعبّر فيها عن محبّته وولائه للهاشميّين، ويبيّن فيها مدى استحقاق بني هاشم الخلافة. يقول أحد الدّارسين في جداله السّياسي المنطقي دفاعا عن الهاشميّين في الحكم،(بحر الطّويل):

وقالوا ورثناها أبانا وأمنا ... وما ورثتهم ذاك أم ولا أبُ
يرون لهم حقاً على الناس واجبا ... سفاها وحق الهاشميين أوجبُ
ولا نتشلت عضوين منها يُحابرُ ... وكان لعبد القيس عضو مؤربُ

[1] أحمد الشّايب:تاريخ الشّعر السياسي، دار القلم، بيروت، لبنان، ط5، 1976م، ص:2.

هُم شهِدُوا بدراً وخيــبرَ بعدها ويوم حُنينٍ والدمـــاءُ تَصــيبُ
فإن هي لم تصلح لقوم سواهم فإن ذوي القُربى أحـــقُ وأقربُ[1]

ويؤكد الكميت من خلال هذه الأبيات أنّ لقريش وحدها الحقّ في التّراث من بين قبائل العرب جميعا. فهو يتغنّى بحب آل البيت ويهاجم من سلب حقّهم من الأمويّين.

وقد كتب أيضا أبو الأسود الدّؤلي: (بحر الوافر):

يقول الأرذلون بنو قشـــــير طوال الدهر لا تنسى عليّـاً
فقلت لهم وكيف يكون تركي من الأعمال ما يقضي عليّا
أحبُّ محمّداً حبّـــاً شديـــــداً وعباســـــاً وحمزة والوصيّـــا
وجعفر إنَّ جعفر خير سبـــط شهيداً في الجنانِ مهاجريـــّا
بَنُو عَـــمّ النَـــبي وأقـــربـــوه أحَبّ الناس كُلّهـــم إليّـــــا
فأن يكُ حُبّهم رشداً أصـــبـــهُ وفيهِم أسوةُ إن كـــان غَيّـــا [2]

لقد كان قشير من مناصري عثمان بن عفان «وكان أبو الأسود نازلا فيهم، فكانوا يرمونه باللّيل، فإذا أصبح شكا ذلك، فشكاه مرّة، فقالوا له: ما نحن نرميك، ولكن الله يرميك ! فقال: كذبتم والله، لو كان الله يرميني لما أخطأني»[3]، و هنا نرى أنّ أبو الأسود كان يعاني جرّاء وقوفه مع عثمان ولكّنه لم يتخّل عنه رغم ما كان و هذا دليل على وفائه وإخلاصه وحبّه له.

والكميت عالج بشكل خاص قضيّة الخلافة والتي تعتبر منصب ديني وجد بعد الإسلام، لذلك نجد الدّين حاضرا في كلّ موضوعاته الشّعريّة والتي يعبّر لنا من خلالها عن مبادئه السياسيّة، ومديحه لم يأخذ جزءا كبيرا من ديوانه لأنّه يعمد إلى إضفاء بصمة دينيّة

[1] مأمون بن محي الدّين الجنّان: الكميت بن زيد الأسدي الشّاعر السّياسي، دار الكتب العلميّة،بيروت، لبنان، ط1، 1994م، ص:15.

[2] أبو العبّاس محمد بن يزيد المبرّد: الكامل في اللغة والأدب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم،ج3، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط3، 1998م، ص:151.

[3] المرجع نفسه، ص:152.

وذلك ليس لكون بني هـاشم ذوي قـربى مـن الرّسول صلى الله عليه وسلم بل لتغنيهم بالأخلاق الإسلامية والتي تجعل لهم الأحقّيـة بالإمـامة، ومـن أبرز صفـاتهـم: العدل، الزّهد، الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، والبعد عن الفحشـاء[1] يقول الكميـت: (بحر الخفيف)

بَلْ هَـوايَ الّذي أُجِـنُّ وَأُبْـــدي لِبَنـي هاشِمٍ فُروعِ الأَنَـــامِ

وَالغُيوثِ الّذِينَ إِنْ أَمْحَلَ النّـاس فَمَأوى حَواضِنِ الأَيْتَـــامِ

ساسَةٌ لا كَمَنْ يَرى رِعْيَةَ النَّـاس سَواءً وَرِعْيَةَ الأَنْعـــــامِ

لا كَعَبْدِ المَليكِ أَوْ كَـوَليـــــدٍ أَوْ سُلَيْمانَ بَعْدُ أَوْ كَهِـشـامِ

مَنْ يَمُتْ لا يَمت فَقيدًا وَمَنْ يَحْيى فَلا ذو إِلٍّ وَلا ذو ذِمـــامِ [2]

فالكميت في آخر البيتين وضّح لنا كيف أنّ المسلمين يعاملوا كالأغنام من طرف بني هاشم وبني أمية، فعند هجائه لهم فهو يعيبهـم بكلّ الصّفـات ويجرّدهـم مـن الأخـلاق الفاضـلة الموجـودة في المسلمين.

يضيف لنا الكميت فيتّهم بني أمية بزرع البدع، ونهب حقوق المسلمين فيقول بهذا الصدد، (بحر الطويل):

لَهُم كُلَّ عَامٍ بِدعَةٌ يُحدِثُـونَهـــا أَزَلَّوا بها أتبَاعَهم ثم أوحَلُـــوا

وَعَيبٌ لأهلِ الدِين بَعـدَ ثَبَاتِـــه الى مُحدَثَاتٍ ليس عنها التَنَقُّلُ

كَمَا ابتَدَعَ الرُّهبَان ما لَم يَجِيء بِهِ كِتَابٌ ولا وَحيٌ من الله مُنـزَلُ

[1] ينظر: عبد الله بن محمد العضيبى: أثر الإسلام في موضوعات الشّعر الأموي،(رسالة ماجستير)، الدّراسات العليا العربيّة عبد الله بن سليمان الجربوع، جامعة أمّ القرى، السّعوديّة، 1985م، ص:122.

[2] مأمون بن محي الدّين الجنّان: الكميت بن زيد الأسدي الشّاعر السّياسي، ص ـ ص: 194 ـ 197.

تَحِلُّ دِماءُ المسلمينَ لَدَيهُـــــم وَيَحرُمُ طَلَعُ النَّخلةَ المُتَهَـــدِّلُ

وأظمَاؤنا الأَعشَارُ فيهـا لَدِيهُـــم وَمَرتَعُنا فيهم أَلاءٌ وحَرمَـــــلُ [1]

فالشّاعر هنا يجسّد الصّورة السوداء للدّولة الأمويّة والتي اتّخـذ حكّامهـا الجور مبدأ في معـاملـــة المسلمـين، وبالتّالي فالكميت يدعو إلى الثّورة على الأمويّيـن لأنّهم ليـسوا أهلا للخـلافة أبـدا. وأنّ الأحقّية لبني هاشم كما أنّه يستشهد بقوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٞ﴾ الشّورى:23. وقال عزّ وجلّ:﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ الرّوم:38. وبالتّالي فالكميت يقول بأنّ صاحب الحقّ بالوراثة من بعد الرّسول صلى الله عليه وسلم هم آل بيته.

ونرى أنّ الشّاعر مدح النبيّ صلى الله عليه وسلم في هاشميّاته مستمدّا ذلك من التّصوير القرآني للرّسول صلى الله عليه وسلم فيـقول فيه، (بحر المنسرح):

فاعتَتَبَ الشوقُ في فـؤادي والشـ ـعرُ إلى منْ إليه مُعتَتَـــــــبُ

إلى السِراج المنيرِ أحمـــــد لا يَعْدلني رغبـة، و لا رَهَـــــــبُ

حياتُكَ كانت مَجدَنـا وسنـــاءَنا وموتُكَ جَدعٌ للعَرانين موعـــــبُ

وأنت أمينُ اللّهِ في النّاسِ كلِّهم ونُعتبُ لوكُنَّا على الحقِّ نُعتـــبُ

فبوركت مولوداً وبُورِكت ناشئـاً وبوركت عِند الشَّيب إذ أنت أشيبُ

وبوركَ قبرٌ أنت فيه وبورِكـــت بِهِ ولَهُ أهـلٌ لِذلكَ يَثْـــــــربُ

لقد غيَّبوا بِرّاً وصدقـاً ونائـــلاً عشيَّةَ واراكَ الصَّفيحُ المُنَصّـــبُ [2]

[1] أبو رياش أحمد بن إبراهيم القيسي: شرح هاشميّات الكميت ابن زيد الأسدي، ص ـ ص: 161 ـ 164.

[2] مأمون بن محي الدّين الجنّان: الكميت بن زيد الأسدي الشّاعر السّياسي، ص ـ ص: 110 ـ 115.

فالشّاعر يصدّر الرّســـول صلى الله عليه وسلم بالمكــانة التي يستحقّهــا، أي أنّه هو خاتم الأنبياء، والذي سيحشر أمّته معه يوم القيامة، وهو الذي يخرجهم من الظّلمات إلى النّور.

ولقد لاحظنا أن نفسيّة الكميت تغلي بالثّورة على الأمويّين وإن اقتـضى الحال فإنّه سيضــحي بنفسه دفاعا عن بني هاشم وردّا على بني أميّة، وقد جسّد غضبه في هاشميّاتـــه لذلك تعــد قصــائده سياسيّة بالدرجة الأولى.

ب ـ الاحتجاج لعقيدة الشيعة وهجاء خصومهم:

باعتبار أنّ للحزب الأموي شعراء يدافعون عنه، فلآل البيت (الهاشميّون) أيضا من يضحّي من أجلهم، فالكميت من شعراء الكوفة، مهد التّشييع لآل البيت في حربهــم ضــدّ الأمويّين، وقد ظهر في ثورة زيد بن علي ليعبّر ويدافع عن مبادئه و معتقداته من خلال هذه الثورة السّياسيّة. ولقد مرّ شعره بمرحلتين، الأولى عدم مناصرته لزيد وعدم الخروج معه، والثّانية أنّه لم يكتف عن نظم الشّعر لمناصرة الهاشميّين، رغم اكتفاء بقيّة الشّعـراء بالصّمت، لكنّه ندم لعدم وقوفه بجانب زيد بن علي والذي تعرّض للقتل[1] فيقول فيه، (بحر الوافر):

دَعَانِي ابنُ النَّبِيّ فَلَم أُجِبهُ ألَهفِي لَهفَ لِلرَأي الغَبِينِ

فَيا نَدَمَاً غَداةَ تَرَكتُ زَيدَاً وَرائي لابنِ آمِنَةَ الأَمـينِ [2]

عبّر الكميت من خلال أبياته عن مدى حزنه وألمه وندمه على عدم مساندة زيد بن علي وعلى أسفه الشّديد لجبنه و خوفه من الموت.

[1] ينظر: يوسف خليف: حياة الشّعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثّاني للهجرة، المكتبة العربيّة، مصر، ط2،(د،ت)، ص: 420.

[2] مأمون بن محي الدّين الجنّان: الكميت بن زيد الأسدي الشّاعر السّياسي، ص،ص:204، 205.

اتّسم الكميت في شعره بمجموعة من السّمـــات الفكرية،تطرّق لهـــا شوقي ضيـف فقــال عنه:

- أن الكميت يصدر عن ذوق جديد غير معروف قبله، وهو ذوق عقلي، فهو لا يعــبّر فقط عن الشّعور والعواطف، وإنّما يعبّر عن الفكر.
- تصويره للتّطوّر الذي أصاب العقل العربي فهاشميّته حجاج وجدال في مسألة الهاشميّين.
- هاشميّات الكميت مناضرات في حقوق الهاشميّين، وهي لا تعتمد على الإقناع العاطفي.
- الهاشميّات جديدة في اللغة العربيّة، فالشّعر فيها يتّصل بمنابيع عقليّة جديدة.
- وكما أنّها تؤرّخ إلى نزعة عقليّة جديدة، وهي ليست مقالة شيعيّة عامّة، وإنّما هي مقالة زيديّة.
- لم يأتي الشّعرالعربي بمثل ما جاءت به الهاشميّات من حب آل البيت والدّعوة إليهم.[1]

ج ـ الخصائص الفنّيّة والموضوعاتيّة التي ميّزت شعر الشيعة:

يتميّز شعر الشّيعة بمجموعة من الخصائص منها:

ـ الالتزام بفكرة الحزب: والمقصود هنا أنّ الشّعر الشّيعي جاء دفاعا على مبادئ الحزب وعقيدته السّياسيّة، إضافة إلى التّعبير عن حبّه لآل البيت.

ـ القوّة والحماس: ويقصد بذلك أنّ الشّعراء يدافعون بقوّة وحماسة عن مبادئ الحزب الشّيعي.

[1] ينظر: شوقي ضيف:التّطور والتّجديد في الشّعر الأموي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط8، (د، ت)، ص:276.

ـ الجدل والاحتجاج: أي أنّ الشّعراء هنا يعمدون على المحاججة بالفكر بعيدا عن العواطف.

ـ معارضة الحكم القائم والنقمة على خصومه: أي عدم انصياع الحزب الشّيعي للحكم، والحقد على أعدائهم.

ـ التّأثر بالجانب الدّيني: وذلك من خلال تناص شعراء الشّيعة من القرآن الكريم بكثرة.

ـ طُغيان نبرة الحزن والأسى على زعمائهم.

ـ جزالة الأسلوب ووضوحه مع صدق العاطفة التي اجتاحت أشعار الشّيعة لآل البيت.[1]

2 ـ شعر الخوارج:

يعتبر الدّين عنصرا مهمّا خاصّة في شعر الخوارج فالشّعراء يتّخذونه مرجعا في مضامينهم، فقد تأثّروا بالقرآن واقتبسوا من ألفاضه ومعانيه. كما أنّ شعرهم عبارة عن تصوير لحياتهم وتضحية من أجل مبادئهم في مجتمعهم الإسلامي، فهم رفضوا كلّ الأشكال القبليّة والعصبيّة، وأزالوا الفوارق المادّية كما في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ الحجرات:13، وذلك ما يهدف إليه الإسلام، وقد عبّر عن ذلك الشّاعر عمران بن حطّان قائلا، (بحر الطويل):

نزلنا بحمد اللّه في خير منـــزلٍ ... نسرّ بما فيه من الأنس والخـــفر
نزلنا بقوم يجمع اللّه شملهـــم ... وليس لهم أصلٌ سوى المجد يعتصر
فنحن بنو الإسلام واللّه واحدٌ ... وأولى عباد اللّه باللّه من شكـــر[2]

[1] ينظر: فريد أمعضشو: أوجه التّعالق بين الشّعري والسّياسي على عهد بني أميّة، مجلّة رسائل الشّعر، ع8 تشرين الأوّل 2016 م، مؤسّسة رسائل، 11:27،

www.poetryletters.com

[2] سهير القلماوي: أدب الخوارج في العصر الأموي: مطبعة لجنة التأليف والتّرجمة، القاهرة، مصر، 1645م، ص: 87.

فالإسلام مصدر للفخر حسب قوله، وأنّه لا فرق بين النّاس فكلّهم إخوة، ومن هنا فالشّعراء أصبحوا يجسّدون لنا ذلك الإنّسان المثالي الذي يستمدّ تعاليمه من الدّين الحنيف فهم حرصون شديد الحرص على القيّام بكافّة الواجبات التي فرضها الإسلام، فيقول عيسى بن عاتك الخطّي في رثاءه للإسلام، (بحر الوافر):

إذَا مَا اللَّيلُ أظلَمَ كَابَدُوه فيسفرُ عنهمُ وهمُ ركوعُ

أطَارَ الخَوفُ نومَهُم فَقَامُوا وَأهلُ الأمنِ فِي الدُنَيا هُجُوعُ

لَهُم تَحتَ الظَّلامِ وَهُمْ سُجُودٌ أنِينٌ مِنهُ تَنفَرجُ الضُّلُوعُ

وَخُرسٌ بالنَّهارِ لِطُولِ صمتٍ عليهِم منْ سكينتهمْ خشوع[1]

فالشّاعر يبيّن لنا الفئة التي تجاهد في سبيل مبادئ الإسلام دون الكفّ عن عبادة الله والتّضرّع له، وذلك للفوز بالآخرة ونيل مرضاة الله.

إنّ ديوان شعر الخوارج حافل بالنّماذج الشّعريّة فهم يعبّرون عن عواطفهم و أحاسيسهم إزاء المناضلين في سبيل الله، والتعبير عن حزنهم تجاه المفقودين، لذلك هم يدعون إلى النّهوض من أجل تحقيق العدالة. لذا نلمس في شعرهم الحماسة والإثارة التي تنبع من تعمّقهم في الدّين، فرغبتهم في الموت والجهاد من أجل رفع راية الحقّ ناجم عن قوّة إيمانهم بالإسلام.

ومثال ذلك نجد قطري بن الفجاءة الذي يحاول الصّمود في أحد المواقف القتاليّة وهو مدرك أنّ الموت حتميّ لكلّ النّاس يقول بهذا الصدد، (بحر الوافر):

أَقولُ لَها وَقَد طارَت شَعاعاً مِنَ الأَبطالِ وَيحَكَ لَن تُراعي

فَإِنَّكِ لَو سَأَلتِ بَقاءَ يَومٍ عَلى الأَجَلِ الَّذي لَكِ لَم تُطاعي

[1] إحسان عبّاس: شعر الخوارج، دار الثّقافة، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت)، ص،ص: 12، 13.

فَصَبراً في مَجالِ المَوتِ صَـبراً فَما نَيلُ الخُلودِ بِمُستَـــطـــاعِ

سَبيلُ المَوتِ غايَةُ كُـلِّ حَـــيٍّ فَداعِيَهُ لِأَهلِ الأَرضِ داعـــــي [1]

ويقول معبّرًا أيضًا عن زهده في الحياة، ورغبته في نيل الشّهادة التي ينتظرها،(بحر الرجز):

حَتّى مَتّى تُخطِئُني الشَهادَه

وَالمَـوتُ فـي أَعناقِنا قِـلادَه

لَيسَ الفِرارُ في الوَغى بِعادَه

لَيسَ الفِرارُ في الوَغى بِعادَه

وَفي الحَيـاةِ بَعدَهـــا زَهادَه[2]

فالجنّة هي النّعيم بالنّسبة للشّعراء وهي حلمٌ يراود الخوارج، وهي ما يدفعهم إلى الزّهد في الدّنيا لنيل الآخرة.

كما نلاحظ أنّ قصائد الخوارج اتّسمت بهجاء الأمويّين الذين لم يتّبعوا ما جاء به القرآن فهم يحاولون وعظهم وتذكيرهم بمصير الإنّسان في الآخرة وأنّ دار الدّنيا دار الفنـاء، ونرى ذلك في قصيدة الفجاءة والتي كتبها إلى أحد أصحابه وهو سمير بن جعد، حين أصبح جليسا للحجّاج يقول فيهـا، (بحر الطويل):

لَشَتّانِ ما بَينَ اِبنِ جَعـدٍ وَبَينَـــــنا إِذا نَحنُ رُحنا في الحَديدِ المُظـاهَـرِ

أَلَم تَرَ أَنَّ المَوتَ لا شَكَّ نـــــازِلٌ وَلا بَعثَ إِلّا لِلأُلى فـــي المَقابِـــــرِ

[1] إحسان عبّاس: شعر الخوارج، ص،ص: 42، 43.

[2] المرجع نفسه، ص،ص:115، 116.

وَتُب تَوبَةً تُهدي إِلَيكَ شَـــهـــادَةً فَإِنَّـــكَ ذو ذَنـــبٍ وَلَســتَ بِكافِـــرِ

وَسِر نَحوَنا تَلقَ الجِهادَ غَنيمـــــةً تُفِدكَ اِبتِياعاً رابِحـــاً غَيرَ خاسِـــرِ

هِيَ الغايَةُ القُصوى الرَغيبُ ثَوابُهـا إِذا نالَ في الدُنيا الغِنى كُـلُّ تاجِـرِ[1]

ومن هنا نستنتج أنّ القصيدة السّياسيّة في العصر الأموي تحركت ضمن أفكار إسلاميّة وعالجت كلّ ما له علاقة بالدّين خاصّة موضوع الخلافة، والذي كان السّبب الرئيسي في بروزها. فالأمويّين كان هدفهم الأسمى الحصول على مكانة راقية ومنزلة عالية، فقد كانوا يبالغون في مدحهم بإضفاء صفات دينيّة منافية للواقع تماما، عكس الخوارج الذين اتّسم شعرهم بالواقعيّة.

أ ـ الخصائص الفنيّة التي ميّزت شعر الخوارج:

ويمتاز شعر الخوارج بخصائص شكليّة وموضوعيّة، فشكليًّا نرى أنّ أغلب عباراته مكوّنة من مقاطع قصيرة، وأنّ أغلبه منظوم على بحر الرّجز، كما أنّه يتّسم بالوحدة الموضوعيّة وذلك لسيطرت مضامين السيّاسة عليه.

أمّا خصائصه الموضوعيّة فهو يلتزم بعقيدة ومبادئ الخوارج، كما أنّه يتحلّى بالصّدق والإخلاص، ويدعو إلى الزّهد في كافّة ملذّات الدّنيا إلى جانب بروز نبرة الحزن بقوّة فيه، فهم يرسم صورة الإنسان الخوارجي المثالي، إضافة إلى عدم تأثّره بالثّقافات الجديدة.[2]

3 ـ شعر الزّبيريّين:

من المعلوم أنّ خلافة عبد الله بن الزّبير على مكة والمدينة لم تدم إلا تسع سنوات قضاها في صراع وحروب مع بني أميّة، مشكلا ما عرف بحزب الزّبيريّين الذي« بدأ

[1] إحسان عبّاس: شعر الخوارج، ص،ص: 47، 48.

[2] ينظر: فريد أمعضشو: أوجه التّعالق بين الشّعري والسّياسي على عهد بني أميّة،

بالظّهور في زمن معاوية، وكان هذا الحزب يعارض معاوية في أخذ البيعة لابنه يزيد، غير أنّ معاوية استطاع –بدهائه الكبير– أخذ البيعة لابنه يزيد من عدد كبير من الصّحابة، ولم يبق منهم إلاّ عبد الله بن الزّبير، فإنّه رفض أن يقدّم البيعة، وعارض هذا بشدّة، ودعا بالخلافة لنفسه، واستتب الأمر له بعد وفاة معاوية، وابنه يزيد فاستولى على الحجاز بكامله وعلى العراق واليمن ومصرا»[1]، لقد عرف عبيد الله بن قيس ابن الزّبير بمعاداته للحزب الأموي، وقد هجاهم بقوله، (بحر الخفيف):

كَيفَ نَومي عَلى الفِراشِ وَلَمّا
يَشمَلِ الشامَ غارَةٌ شَعــواءُ

تُذهِلُ الشَيخَ عَن بَنيهِ وَتُبدي
عَن بُراها العَقيلَةُ العَــذراءُ

أَنا عَنكُم بَني أُمَيَّةَ مُــــزوَرٌ
وَأَنتُم في نَفسِيَ الأَعــداءُ

إِنَّ قَتلى بِالطَفِّ قَد أَوجَعَتني
كانَ مِنكُم لَئِن قُتِلتُم شِفــاءُ[2]

لقد تناول الزّبيريوّن عدّة مواضيع في شعرهم منها:

أ ـ الإشادة والتّأييد:

لقد لاقت حركة عبد الله بن الزّبير ترحيبا من طرف الشّاعر عبيد الله بن الرّقيات الذي كان يشيد بآله ويبرز نسبه وحسبه ومؤيّدا لهم لحركة الخلافة فيقول في ذلك، (بحر الخفيف):

لَو بَكَت هَذِهِ السَماءُ عَلــى قَو ... مٍ كِرامٍ بَكَــت عَلينا السَمــاءُ
نَحنُ مِنّا النَبيُّ الأُمِّيُّ وَالصِــد ... ديقُ مِنّا التَقِــيُّ وَالخُلَفــــاءُ
وَقَتيلُ الأَحزابِ حَمزَةُ مِنّــــا ... أَسَدُ اللَهِ وَالسَـناءُ سَنــــاءُ

[1] مأمون الجنان: الكميت بن زيد الأسدي الشّاعر السّياسي، ص:23.

[2] عبيد الله بن قيس الرّقيات: الدّيوان، تح: محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، لبنان، (د،ط)، 2009م، ص،ص:95، 96.

وَالزُبَيرُ الَّذي أَجابَ رَسولَ ال لَهِ في الكَربِ وَالبَلاءُ بَــلاءُ[1]

وهنا نرى أنّ الشّاعر يمدح آل زبير ويقول أنّ الكفاءة تجعلهم من خيرة من يستحقّ الخلافة كما أنّ ذلك الافتخار يعود إلى وجود بيت الله الحرام وتموضعه بقريش والذي يأتيه الحجّاج من كلّ فجّ وأنّ أهلها هم الذين يعتنون بالكعبة المشرفة.

كما نراه يهاجم الأمويّين الذين لم يراعوا حرمة هذا البيت وحرقوه، ويمدح الزّبيريّين الذين أعادوا بناءه فيقول فيهم، (بحر الخفيف):

لَيسَ لِلَّهِ حُرمَةٌ مِثلُ بَيتٍ نَحنُ حُجّابُهُ عَلَيهِ المُــــلاءُ

خَصَّهُ اللَهُ بِالكَرامَةِ فَالبــا دونَ وَالعاكِفونَ فيهِ سَــــواءُ

حَرَّقَتهُ رِجالُ لَخمٍ وَعَــكٍّ وَجُذامٌ وَحِمــيَرٌ وَصُــــداءُ

فَبَنَيناهُ مِن بَعدِ ما حَــرَّقوهُ فَاِستَوى السَمكُ وَاِستَقَلَّ البِنــاءُ[2]

وبالتّالي فإنّ ابن الرّقيات يركّز على توظيف بعض الخصائص والعناصر التي تخصّ الدّين، ولكي يثبت لهم أحقيّة قريش وآل زبير بالحكم، وليجعل بني أميّة منفذا للهجوم، لأن الزّبيريّين يرون أنّ الأمويّين قد اغتصبوا الخلافة ونهبوا خيرات المسلمين لذلك فهم غاضبون منهم وحاقدون عليهم.

ب ـ رثاء القتلى:

لقد ظهر هذا الفنّ لكثرة الحروب التي دارت بين الزّبيريّين و بين بني أمية، وأنصار الشّيعة وهنا ظهر شعر يرثي القتلى، فيقول عبيد الله بن قيس الرّقيات، (بحر الطويل):

لقد أورث المصرين خزيا وذلة قتيل بدير الجاثليــق مقيـــم

[1] عبيد الله بن قيس الرّقيات: الدّيوان، ص،ص:89،90.

[2] المرجع نفسه، ص:95.

فما نصحت لله بكر بـن وائـل ولا صدقت يوم اللقـاء تمـيم

جزى الله كوفيا هناك ملامـة وبصريهم إن المليـم ملـيم

وإن بني العلات أخلوا ظهورنا ونحن صريح بينهم وصـميم

فإن نفْنَ لا يبقى أولئك بعدنـا لذي حرمة في المسلمين حـريم[1]

فالشّاعر هنا يجسّد حزنه الشّديد وألمه على مصعب بن الزّبير الذي زهقت روحه على يد بني أميّة والذي تعرض الخذلان من طرف العراقيّون.

لم يكن الرّقيات الوحيد الذي أشاد بني زبير، فهناك أيضا شعراء من أمثال: النابغة الجعدي والذي بدروه مدح عبد الله بن الزّبير والذي رأى فيه إعادة لسيرة الخلفاء الرّاشدين من خلال اهتمامهم بشؤون المسلمين كافّة، والذي جعل العدل مبدأ له فيقول النابغة على ابن الزّبير،(بحر الطّويل):

حَكَيتَ لَنا الصِدّيقَ لَمّـا وَلِيتَـنا وَعُثمانَ وَالفارُوقَ فارِتاحَ مُعـدِمُ

وَسَوَّيتَ بينَ النَّاسِ في الحَقِّ فَاستَوَوا فَعادَ صَباحاً حالِكُ الليلِ مُظـلِمُ

أَتَاكَ أَبُو لَيلَى يَجُوبُ بِـهِ الدُّجَـى دُجى الليلِ جَوّابُ الفَلاةِ عَثَمـثَمُ

لِتَجبُرَ مِنهُ جَانباً ذَعذَعَـت بِـهِ صُرُوفُ اللَيالي وَالزَمانُ المُصَمِّمُ[2]

والشّاعر هنا مهتمّ فقط بالمال ولا يهمّه تشابه الشّعر للبلاد الأموية ومن كلّ هذا فإنّ الإسلام قد كان له بالغ الأثر في شعر آل زبير، وذلك من خلال توظيف الصّفات الدّينيّة

[1] عبيد الله بن قيس الرّقيات: الديوان، ص،ص: 196، 197.

[2] أبو العبّاس بن محمد يزيد المبرّد: الكامل في اللغة والأدب، تح: أبو الفضل إبراهيم، ج4، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط3، 1997م، ص:4.

على رجال العرب، والقول بأنّهم لم يُهملو القيم الإسلاميّة والأخلاقيّة وذلك من أجل تأييد الحزب والدّعوة إليه.

ج ـ الخصائص الفنيّة في شعر الزّبيريّين:

والحديث عن خصائص الشّعر الزّبيري لا يعني إلاّ الحديث عن خصائص الشّاعر ابن قيس الرّقيات، وذلك راجع لقلّة شعر الزّبيريّين، وبالتّالي فقد جعل من شعره وقفًا على الزّبيريّين طوال عمر حزبهم. ومن خصائص شعره:

ـ يمتاز أسلوبه بالخطابة والمباشرة مع إشادته لابن الزّبير.

ـ يمتاز شعره بالتّعصّب للقريشيّين ويتحمّس لهم مع الإشفاق عليهم.

ـ تغلب على شعره نبرة الحزن خاصّة عند رثاءه وتصويره ما حدث مع قريش على يدّ بني أميّة.

ـ تطغى على أشعاره النّزعة الدّينيّة، إذ نجده يتناصّ و القرآن الكريم بكثرة.

ـ يتّصف أسلوبه بالرّقة والجزالة ويميل إلى استخدام البحور الخفيفة والمجزوءة.[1]

رابعًا: العصر العباسي:

لقد قامت الدّولة العبّاسيّة سنة 750م على يد عمّ الرّسول صلّى الله عليه وسلم العبّاس بن عبد المطّلب، وذلك بعد ضعف وسقوط الدّولة الأمويّة بعد وفاة خليفتها هشام بن عبد الملك، فقد تدهور اقتصادها وذلك راجع لنشوب نيران الفتن والثّورات، وظهور أحزاب

[1] ينظر: فريد أمعضشو: أوجه التّعالق بين الشّعري والسّياسي على عهد بني أميّة، www.poetryletters.com

وجماعات دينيّة وحركات سياسيّة معارضة لحكم بني أميّة كالشّيعة والخوارج والزّبيريّين وبالتّالي فإنّ الثّورات العبّاسيّة تعتبر الخاتمة للثّورات التي سبقت.

كما أنّ العصر العبّاسي يعتبر من أكثر العصور التي شهدت ازدهارا في تاريخ الأمة الإسلاميّة، وذلك بانتقال العرب من حياة البداوة التي كانت سائدة لدى الأمويّين إلى الحضارة، من الانطواء إلى الانفتاح، من الفقر والبؤس إلى الثّراء والبذخ. فالمجتمع العبّاسي مجتمع تسيّره وتحكمه التّناقضات منقسم إلى تيّارين، متحرّر يسعى إلى استحداث الشّعر بما يناسب العصر، وتيّار يقدّس التّراث القديم. وهكذا فالشّاعر أصبح إمّا مقيّدا بتراث أسلافه وأن يتّبع طريقهم في نظم الشّعر أو متحرّرا من قيود السّابقين ليعبّر عن مشاعره ومثال ذلك أبو نوّاس.

يقول أنيس المقدسي بهذا الصّدد « في كلّ عصر وفي كلّ قطر، إذا كثرت أسباب الغنى والتّرف نشأ في المجتمع البشري مجريان متطرّفان: الأوّل مجرى العبث والخلاعة والثّاني مجرى الحرص والتّقشف»[1].

إنّ ظاهرة اللّهو والمجون مرآة عاكسة لتجرّد المجتمعات من الأخلاق السّاعية لإرضاء ميولاتها وغرائزها، ضاربة عرض الحائط كافّة القيم والأخلاق. وباتّساع الدّولة الإسلاميّة طغت ظاهرة المجون، وقد تبنّاها العديد من الشّعراء في العصر العبّاسي حيث «ظلّ كثيرون من الشّعراء ينغمسون في اللّهو والمجون كما انغمس أسلافهم في العصر الماضي، وكان بعض هذا الانغماس يرجع إلى تحلّل في الأخلاق، وبعضه يرجع إلى الهروب من الحياة والتخفّف من أعبائها الثّقيلة، وساعد على ذلك اختلال في الموازين وفساد في القيم شاعا في حياة الدّولة وفي حياة النّاس»[2].

والمقصود من هذا القول أنّ هذا الانحلال راجع للظّروف التي مرّ بها الشّعراء فمنهم من توارث مجونه من أسلافه، ومنهم من فرّ من واقعه إليه للتّنفيس عن هموم الدّنيا. ومن

[1] بتول حسين حمود مباركي: الشّعر العبّاسي، ع23 أفريل2020، جامعة جازان، السّعوديّة، arishiaa@hotmail.com

[2] شوقي ضيف: العصر العبّاسي الثّاني، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، (د، ت)، ص،ص:458،459.

الأسباب التي ساعدت على انتشار كلّ هذا المجون «التّرف وإسراف الخلفاء والحكّام والولاّة أموالا طائلة على أنفسهم وحاشيتهم، فقد سادت الخلافة مظاهر الرّفاهية من مال وحبّ الظّهور والاستمتاع بجميع ملذّات الحياة، مستفيدين من خزينة الدّولة التي كانت تضمّ أموالا كثيرة، إضافة إلى دخول الأجناس المختلفة من فرس و روم وأتراك »[1]، كلّ هذا كان له دور في تفشي هذه الظّاهرة.

لقد كان للحياة المدنيّة والانفتاح والحريّة الأثر السلبي على المجتمع إبّان تلك الفترة، فقد اصطبغ بظاهرة الزّندقة والمجون والإباحيّة، وذلك لراجع للتّرف والثّراء، ومجالس اللّهو والخمور إلى جانب ما ورثه المجتمع العبّاسي من المجتمع السّاساني الفارسي، حيث كانوا يحتسون الخمر حتّى الثّمالة بالرّغم من أنّ القرآن الكريم حرّمها وحثّ على اجتنابها فيقول عزّ شأنه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾المائدة:90-91.

والقرآن حرّمها وحاربها بكافّة أصنافها وأنواعها، إلاّ أنّ سبب انتشارها يعود إلى «اجتهاد بعض فقهاء العراق إلى تحليل بعض الأنبذة كنبيذ التّمر والزّبيب المطبوخ أدنى طبخ ونبيذ العسل والبرّ والتّين»[2]، ومن هذا المنطلق تهافت النّاس عليها، و تجاوزوا المحلّلة إلى المحرّمة وبذلك اتّخذها الشّعراء كموضوعات شعريّة جديدة، فأصبحوا يتغزّلون بها و يتمتّعون بلذّتها من أمثال ذلك أبو نواس، بشّار بن برد، وغيرهم حيث أنّ أشعارهم عبارة عن دعوة للتّحرر من القيود الدّينيّة الاجتماعيّة.

لقد انتشر اللهو والمجون والانحلال الخلقي بسبب الحريّة في العصر العبّاسي، فلم يعد مسكنهم الخيمة بل أصبحت قصورا«فقد تغيّرت الحياة العربيّة في هذا العصر الذّهبي تغييرا ملموسا يوشك أن يجعلها جديدة كل الجدّة في جميع مظاهر العيش والاجتماع. فقد

[1] بتول حسين حمود مباركي: الشّعر العبّاسي،

arishiaa@hotmail.com

[2] شوقي ضيف: العصر العبّاسي الأوّل، دار المعارف، القاهرة ، مصر، ط8، (د، ت)، ص:65.

أظلّت الحضارة النّاس بظلّها، وألوانها، وغمرتهم المدينة بزخارفها وزينتها.حتّى رأيناهم يتأنّقون في اللّباس، ويفتنون في الطّعام، ويزخرفون في المسكن ويتصنّعون في كلّ مظهر»[1].

ومن هذا نستنتج أنّ الشّعراء وجدوا في هذه المجالس ما يمدّ الشّعر ويغذّيه ويثيره ويجعله يحلق في أرحب الأفق من خلال العيش الكريم الذي وجدوه والاستمتاع بملذّات الدنيا دون قيود.

ومن بين الشّعراء الذين تميّزوا بمجونهم أبو نواس حيث يتّفق الدّارسون على أنّ شعره يحمل هذه الظّاهرة إلاّ أنّ هناك اختلافا بينهم حول الأسباب التي أدّت به إلى هذا «وربّما كان من دوافع رحلته في المجون أنّه كانت تؤذيه سيرة أمّه في البصرة، فارتحل وأخذ يعبّ من الخمر كي ينسى أمّه، وكان كالمستجير من الرمضاء بالنّار، فقد وقع في حبائل شيطان كبير، غمسه في كلّ ما كان يقع فيه من خطايا وآثام هو ورفاقه مجّان الكوفة من أمثال مطيع بن إياس وحمّاد عجرد، وكأنّما كتب القدر عليه أن يصبح ضريبة الفسق والمجون لعصره»[2]، من خلال ما ذكر نرى أنّ الشّاعر التجأ إلى المجون والخمر للتّنفيس عن مشكلاته. ومن بين ما قاله في هذا الصّدد، (بحر البسيط):

دَع عَنكَ لَومي فَإِنَّ اللَومَ إِغــراءُ ... وَداوِني بِالَّتي كانَــت هِيَ الــداءُ

صَفراءُ لا تَنزَلُ الأَحزانُ ساحَتَـها ... لَو مَسَّها حَجَرٌ مَسَّتــهُ سَــرّاءُ

قامَت بِإِبريقِها وَاللَـيلُ مُعتَــكِرٌ ... فَلاحَ مِن وَجهِها في البَيـتِ لَألاء

لِتِلكَ أَبكي وَلا أَبكــي لِمَنــزِلَةٍ ... كانَت تَحُلُّ بِها هِنــدٌ وَأَسمــاءُ

[1] محمد عبد المنعم خفاجي: الآداب العربيّة في العصر العبّاسي الأوّل، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1992م، ص:106.

[2] شوقي ضيف: العصر العبّاسي الأوّل، ص:222.

حاشا لِدُرَّةَ أَن تُبنى الخِيـــامُ لَها وَأَن تَروحَ عَلَيها الإِبــلُ وَالشـــاء[1]

ويضيف قائلا، (بحر مجزوء الرّمل):

يا اِبنَةَ الشَيخِ اِصبَحينـــــا ما الَّذي تَنتَظِـــرينـــا

قَد جَرى في عودِكِ المـــا ءُ فَأَجري الخَمرَ فينـــا

كُلَّ ما كـــــانَ خِـــلافـــاً لِشَرابِ الصـــالِحينـــا

وَاِصرِفيهـــا عَن بَخيـــلٍ دانَ بِالإِمســـاكِ دينـــا

قِف بِرَبعِ الظـــــاعِنينـــا وَابكِ إِن كُنتَ حَزينـــا[2]

نرى من خلال الأبيات أنّ الشّاعر يعبّر عن حبّه للخمر و يدعو الشّعراء إلى التّخلي عن الأطلال لأنّها لا تعبّر عن العصر الجديد، ومن خلال أبياته نراه يسخر من الواقفين على الأطلال ويدعوهم إلى التخلي عن التّراث والتّماشي مع العصر الحالي، كما يحاول من خلال ما قال إسقاط القيم الدّينيّة والأخلاقيّة والدّعوة إلى اتّخاذ الخمر كرمز للحياة الجديدة حيث انغمس في المجون وبالنّسبة له لا مثيل للخمر، ولذلك نجد أنّ لأبي نوّاس ديوانا كاملا في الخمريّات لأنّه غاص في هذا المجال كثيرا وبالغ فيه.

إنّ الحديث عن الزّندقة والمجون لا يجعل من المجتمع العبّاسي مجتمعا منحلا مستسلما للشّهوات وملذّات الدّنيا، بل على العكس فالمجون والإلحاد عرفا في طبقة معيّنة من النّاس، فقد خصّت هذه الموجة الأثرياء والمغنّيّين من الشّعراء، أمّا عامة الشّعب فإنّها لم تكن معادية للإسلام، بل كانت تمشي في سننه، وبالنّسبة للشّعراء الماجنين، وعلى قلّتهم فلقد

[1] أبو نواس: ديوان أبي نواس برواية الصّولي، تح: بهجت عبد الغفور الحديثي، دار الكتب الوطنيّة، أبوظبي ، الإمارات العربية المتّحدة، ط1، 2010م، ص،ص: 53،54.

[2] المرجع نفسه، ص: 152.

كانوا يعيشون في ترف و نعيم، أمّا باقي الشّعراء فقلوبهم تتقطّع من البؤس والإحساس بالحسرة لما تعيشه الطّبقة الرّاقية من نعيم.[1]

في الوقت الذي شاع فيه التّرف و الخمر في قصور الحكام والشّعراء ذوي الطّبقة الراقية والمغنّين، كان هناك من عامّة النّاس من يمشي على صراط مستقيم، أي بمعنى أنّ العصر العبّاسي لم يتضمّن المجون والزّندقة فحسب بل كان المجتمع مجتمعا مسلما فالنّاس كانت تتمتّع بأخلاق حسنة، ومن هنا ظهر لنا تيّارّان كما سبق وذكرناهما تيّار المجون وتيّار الزّهد وهما التيّاران اللذان استحوذا على العصر العبّاسي.

فالزّهد «تفريغ القلب من حبّ الدّنيا ، وامتلاؤه بحبّ الله ومعرفته، وعلى قدر تخلص القلب من تعلّقه بزخارف الدّنيا يزداد لله تعالى حبّا، وله توجها ومراقبة ومعرفة، ولهذا اعتبر العارفون الزّهد وسيلة للوصول إلى الله تعالى، وشرطا لنيل حبّه ورضاه، وليس غاية مقصودة لذاتها»[2]، والمقصود هنا أنّ الزّهد أو شعر الزّهد هو شعر يدعو صاحبه إلى ترك ملذّات الدّنيا وهي فانية ، والتوّجه إلى الدّار الآخرة وهي دار القرار.

ظهر في العصر العبّاسي كثير من الشّعراء من اتّبعوا الجانب الدّينيّ حيث زهدوا عن الدّنيا وظهروا كردّ فعل على الزّندقة والمجون التي حاولت تدمير الأخلاق. ومن بين الشّعراء الذّين ارتكبوا في حقّ أنفسهم ومجتمعاتهم معصية وانحرافا، أو بتعبير آخر الذين انغمسوا في المحرّمات والشّهوات ثمّ تابوا بعد ذلك وزهدوا عن الحياة. نجد أبا نواس، وأبا العتاهية، .... وغيرهم كثير حيث نجد أنّ أشعارهم تناولت الحديث عن ترك الدنيا والتفرغ للآخرة.

فقال أبو نوّاس في الزّهد بعد أن خانته صحّته وبعد احساسه بمرارة النّدم بعدما سمع بعض الأصحاب يتحدّثون عن الجنّة والثّواب والنّار والعقاب، فغضب منه أصحابه وأرادوا تركه فقال لهم: ويحكم والله إنّي لأعلم ما تقولون ولكنّ المجون يفرط عليّ وأرجو أن أتوب ويرحمني الله، فقال بهذا الصّدد، (بحر السّريع):

---

[1] ينظر:شوقي ضيف: العصر العبّاسي الأوّل، ص،ص: 83،84.

[2] ميلود عبيد منقور:<القيم الأخلاقيّة في شعر الزّهد عند أبي العتاهية>، مجلّة حوليّات التّراث، العدد1، 2004م، جامعة مستغانم، الجزائر، ص:115.

أَيَّـةُ نـــارٍ قَـدَحَ القـــادِحُ وَأَيُّ جِدٍّ بَلَـــغَ المــازِحُ
لِلَّهِ دَرُّ الشَيـبِ مِـن واعِـظٍ وَناصِحٍ لَو سُمِعَ الناصِحُ
يَأبى الفَـتى إِلّا اتِّباعَ الهَوى وَمَنهَجُ الحَقِّ لَـهُ واضِـحُ
فَاسمُ بِعَينَيـكَ إِلى نِســـوَةٍ مُهورُهُنَّ العَمَـلُ الصالِـحُ
لا يَجتَلي الحَوراءَ مِن خِدرِها إِلّا امرُؤٌ ميزانِـهِ راجِـــحُ
مَنِ اتَّقى اللَهَ فَـذاكَ الَّـــذي سيقَ إِلَيهِ المَتجَرُ الرابِـحُ
شَمِّر فَما في الدينِ أُغلـوطَةٌ وَرُح لِما أَنـتَ لَـهُ رائِـحُ[1]

نلاحظ أنّ أبا نوّاس قال أبياته هاته وهو غارق في الذّنوب، راجيا بذلك الغفران والتّوبة، فيلجأ إلى الله سبحانه وتعالى ويتضرّع له معترفا بأخطائه، وصادقا بإسلامه. ويضيف في آخر أشعاره الأبيات التّالية، (بحر الكامل):

يا رَبِّ إِن عَظُمَت ذُنوبي كَثـرَةً فَلَقَد عَلِمتُ بِأَنَّ عَفوَكَ أَعـظَمُ
إِن كانَ لا يَرجوكَ إِلّا مُحسِـــنٌ فَبِمَن يَلوذُ وَيَستَجـيرُ المُجـرِمُ
أَدعوكَ رَبِّ كَما أَمَرتَ تَضَرُّعـاً فَإِذا رَدَدتَ يَدي فَمَن ذا يَرحَـمُ
ما لي إِلَيكَ وَسيلَةٌ إِلا الرَجـــا وَجَميلُ عَفوِكَ ثُمَّ أَنّي مُسلِـــمُ[2]

من خلال الأبيات نرى أنّ الشّاعر عاد إلى الله بتوبة وندم من خطاياه حيث صوّر لنا هذه المشاعر الصّادقة من خلال ما قاله.

ومن الشّعراء أيضا نجد أبا العتاهيّة الذي التزم الزّهد بعدما اتّخذ المجون مذهبا له وبعد أن أشبع شهواته من ملذّات الدّنيا، وبعد فشله في الحبّ، «وصف منهج حياته زاهدا يخشى ربّه ويحرص على التّقوى وإقامة الفرائض، وينشغل بقضيّة المصير والاستعداد ليوم الرّحيل بالعمل الصّالح، وتجنّب الآثام، والانقطاع إلى العبادة، وتأمّل درجات العقاب»[3]،

[1] أبو نواس: ديوان أبي نوّاس برواية الصّولي، ص:710.
[2] المرجع نفسه، ص،ص: 716،717.
[3] ميلود عبيد منقور:<القيم الأخلاقيّة في شعر الزّهد عند أبي العتاهية>،ص:114.

ومن هنا نرى أنّ أبا العتاهيّة يدعو إلى ترك ملذّات الدّنيا، ويذكّر بالآخرة بالثّواب والعقاب، فهو بدوره يرجو الثّواب ويطمع بالغفران، فيقول في ذلك، (بحر الطّويل):

تَصَبَّر عَنِ الدُنيـا وَدَع كُلَّ تائِـهِ مُطيعِ هَواً يَهوي بِهِ في المَهـامِهِ

دَعِ الناسَ وَالدُنيا فَبَـينَ مُكالِـبٍ عَلَيها بِأَنيـــابٍ وَبَينَ مُشــافِهِ

وَمَن لَم يُحاسِب نَفسَهُ في أُمـورِهِ يَقَع في عَظيمٍ مُشكِلٍ مُتَشــابِهِ

وَما فازَ أَهلُ الفَضلِ إِلّا بِصَبرِهِم عَنِ الشَهَواتِ وَاحتِمالِ المَكــارِهِ[1]

فالشّاعر يعمد لوعظ النّاس بالاعتماد على أسلوبي التّرغيب والتّرهيب، لأنّ هذا الأسلوب يصل إلى قلب العالم والجاهل على حدّ سواء، و يضيف أشعاره فيقول، (بحر الكامل):

اِذكُر مَعادَكَ أَفضَلَ الذِكرِ لا تَنسَ يَومَ صَبيحَةِ الحَشرِ

يَومَ الكَرامَةِ لِلأُلى صَبَروا وَالخَيرُ عِندَ عَواقِـبِ الصَبرِ

في كُلِّ ما تَلتَذُّ أَنفُسُــهُم أَنهارُهُم مِــن تَحــتِهِم تَجري[2]

نرى من الأبيات أنّ الشّاعر يذكّر النّاس بأنّ الموت هو نهايتنا جميعا و أنّنا سنمرّ بيوم الحشر وأنّ كلّ سيجزى بحسب أعماله، وأنّه من صبر في الدّنيا سينال الكثير في الآخرة، فعلى الإنسان العمل للوصول إلى النّهاية السّعيدة.

يتميّز أبو العتاهيّة في أشعاره بأسلوبه الجيّد في النظم حيث يضمّن شعره آيات قرآنيّة بهدف إيصال أفكاره إلى كافة النّاس، فيقول (بحر السّريع):

أَلا إِلى اللَهِ تَصيرُ الأُمــــور ما أَنتِ يا دُنيــايَ إِلّا غُرور

[1] أبو العتاهيّة: الديوان، دار بيروت، بيروت، لبنان، (د، ط)، 1986م، ص: 463.

[2] المرجع نفسه، ص: 197.

إنَّ امرَأً يَصفو لَــهُ عَيشُـــهُ لَغافِلٌ عَـمّا تَجِـــنُّ القُبــور

لا وَالَّذي أَمسَيتُ عَبـــداً لَـهُ ما دامَ في الدُنيا لِعَبدٍ سُـرور

إذا عَرَفتَ اللَهَ فَاقنَــع بِـــــهِ فَعِندَكَ الحَظُّ الجَزيـلُ الكَثـير

تَبـــــارَكَ اللَهُ وَسُبـحـــانَـهُ مَن جَهـلَ اللَهَ فَذاكَ الفَقـــير[1]

وهكذا وبعد هذه القصيدة فإنّ أبا العتاهيّة يبلغ أجله فيناجي ربّه ويطلب غفرانه ويستغفر عن ذنوبه فيقول في آخر أبيات له أثناء مرضه وموته بعد ذلك، (بحر الوافر):

إلهي لا تـــــــعذبني، فـــإني مُقِرٌ بالــذي قـــــد كـان مــني

و ما لي حيلــة، إلا رجائـــــي لعفوك إن عفوت و حسـن ظـني

فكم من زلة لــي في البرايـــــا، وأنت علي ذو فضــل و مَـــنِّ

إذا فكرت في ندمـــي عليهـــا، عضَضت أناملي و قَرَعْـت سِنِّي

يظن الناس بي خيـــــرا،و إني لشر الناس، إن لم تعف عـــني

أُجن بزهرة الدنـــيـــا جنـــونـــا، وأفنى العمر فيهـــا بالتمـــــني

و بين يـدي مُحتَبـــس ثقيــل، كأني قد دُعيت لـــــه، كـــأني

و لو أنـــي صدقت الزهد فيها، قَلَبْتُ لأهلها ظهـــــر المِجَـــنّ[2]

لقد كان أبو العتاهيّة ذكيا من ناحية استعماله للآيات القرآنيّة، فنرى أنّه صوّر لنا الموت والحياة والقبور وذلك من أجل الوعظ، وهذه من بين الأسباب التي جعلت قصائده ذائعة بين جميع النّاس.

خامسًا: العصر المملوكي:

[1] أبو العتاهيّة: الديوان، ص:198.

[2] المرجع نفسه، ص:425.

لم يلقى الشعر في عصر المماليك رواجا واسعا وإقبالا من طرف الشعراء وذلك لأنهم تأثروا بالواقع فأصبحوا يعبرون عن قضاياهم ويشكون همومهم من خلاله.

ومن المتعارف عليه أن الشعر في هذه الفترة أو هذا العصر لم يدخل ضمن الصراعات الحزبية أو القبائلية، ومثال ذلك ما حدث في العصر العباسي والعصر الأموي لأن الشعراء إبان تلك الفترة لم يعارضوا السياسة المملوكية والتي بدورها كانت ضد أعداء الدين الإسلامي، فقد كان الشعراء يكتبون الشعر للردّ على الكفّار وبالتالي فشعرهم يتّسم بالمصداقية والتّعبير والتّصوير الفنّي الصادق.

لقد كان للسّلطة التّأثير الكبير في الشّعراء والكتّاب وذلك لاهتمام البلاط بهذا القطاع من خلال منحهم هبات و اقتراح الموضوعات التي ينظم فيها الشعر. فكانت علاقة الحكّام بالشّعراء مميّزة و وطيدة حتّى أنّهم منحوا الخيرة من الشّعراء مراتب و مناصب عالية في دولة المماليك.

ويمكننا القول:«إنّ هنالك نقلة نوعيّة حدثت لشعراء هذا العصر وكتّابه، بحيث لا نكاد نجد واحدا منهم لم يكن في أعلى الوظائف، وملقّبا بأحسن الألقاب، كالأمير، والرّئيس، والشيخ، والصّاحب، وغيرها ممّا لم نعهده مع معظم شعراء بني أميّة، على عظمة هؤلاء وطول بالهم الشّعري والسّياسي، وكله يؤكد على المكانة التّي عرفها الشّعراء المماليك، وتقدير السّلاطين و الأمراء لعلمهم وأدبهم »[1]، وهذا ما سبقت ذكره فالشّعراء أصبحوا يعيشون حياة الأمراء بعيدا عن الحروب والنّزاعات في كنف المماليك.

فالطّبقة المالكة وهبت الشّعراء الألقاب والمراكز العليا، وهم بدورهم رفعوا من قيمة السّلطة العادلة و عظّموها أمام الأعداء، وحاولوا تطوير و تنمية العمران ، وقد عبّروا في قصائدهم عن كل معاني التّقدير والتّمجيد.[2] فلكل فعل مقابل وكذلك يجب المبادرة بتقديم كلّ شيء لإرضائهم و إعلامهم بمكانتهم: «فالعطاء بالعطاء و التّضحية والصّمود بالإشادة و

[1] ياسين الأيّوبي:آفاق الشّعر العربي في العصر المملوكي، دار جروس برس، طرابلس،ليبيا،ط1 ، 1995م ، ص،ص: 263، 264.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص:268.

التّقدير»[1]، وهنا دليل على ما قلناه سابقا أي أنه على الشّعراء إرضاء السلطة لكي تكون سندا لهم بدورها.

لقد امتاز الشّعر في عصر المماليك بالفخر والمدح خاصة في الفتوحات الإسلاميّة و الانتصارات، وذلك لأنّ الشّعراء كانوا بمستويات اجتماعيّة متساوية، كما أنّهم لا يعتبرون الأنساب هم بالمقام الأوّل على عكس الشيعة الذين كان شعرهم يقوم على الفخر خاصة في المدائح النّبويّة[2]. ومن أبرز من يمثّل ذلك صفي الدّين الحّلي الذي كتب بابا من ديوانه سمّاه: في الفخر والحماسة والتّحريض على الرّياسة فيقول،(بحر الطّويل):

وما ليَ لا أغشَى الجِبالَ بمِثلـــــِها من العزمِ، والأنضاءَ في وَعرِها أُنضــي

على أنّ لي عَزماً، إذا رُمتُ مَطلَباً رأيتُ السّما أدنّى إليّ مِـــــنَ الأرضِ

أبَتْ هِمّتي لي أنْ أذُلّ لناكِـــــثٍ عرى العهد أو أرضَى من الوِرد بالبرضِ[3]

فالشّاعر هنا يبيّن محبّته لأهله ووطنه ويفخر بهم ولقد بيّن انفعاله من خلال ما قاله في الأبيات السابقة وأوصل لنا صدق مشاعره.

ولقد كتب الكثير من الشّعراء في السّيرة النّبويّة ونظموا فيها القصائد الطّوال والتي لاقت اهتمام شعراء العصر المملوكي ومثال ذلك الشّاعر شرف الدّين البوصيري و الذي كتب في الجانب السّردي القصصي وخاصة المديح النّبوي ولديه قصيدته الشّهيرة البردة إضافة إلى همزيّته الطّويلة والتي فيها أربعمائة وسبعة وخمسين(457) بيتا من بينها قوله، (بحر الخفيف):

كَيْفَ تَرْقَى رُقِيَّكَ الأَنْبِيَـــــاءُ يَا سَمَاءً مَا طَاوَلَتْهَا سمَـــاءُ

[1] ياسين الأيّوبي:آفاق الشّعر العربي في العصر المملوكي،ص268.

[2] ينظر:صفي الدّين الحلي:قطب شعراء عصري المغول والمماليك،دار الكتاب اللّبناني،لبنان،(د، ط)،1971م،ص:400.

[3] صفي الدّين الحلي: الديوان،دار صادر، بيروت، لبنان،(د، ط)،(د، ت)، ص:31.

إِنَّمَا مَثَّلُوا صِفَاتِكَ لِلنَّـــــا سِ كَمَا مَثَّلَ النُّجُومَ الْمَــاءُ[1]

1 ـ همزيّة البوصيري:

إنّ أكثر ما يميّز هذه القصيدة هو طولها وقيامها على السّرد كما أنّها تتضمّن كافّة الأحداث «تتالي الأوصاف التّاريخيّة وأحداث التّغيير الكوني والاجتماعي، تتخلّلها وقفات قصيرة، يلتفت فيها الشّاعر إلى ذاته أو إلى مشاعر التّمجيد والإكبار يزجيها إلى واحد من الشّخصيّات التي شرفت برؤية الرّسول صلى الله عليه وسلم ونالها منه علاقة ما،/.../ وهكذا و على مدى عشرين صفحة ومئات الأبيات يؤلف كلّ واحد منها حدثا، أو حقيقة، أو معلما من معالم الحياة العربيّة الإسلاميّة الجديدة....»[2].

والمقصود بهذا القول أنّ همزيّة البوصيري الجامعة والكافية لكلّ التّغيّرات الحياتيّة، وأنّها تعبير عمّا يختلج نفسيّته، كما أنّه اتخذ شخصيّة نبويّة وهي شخصيّة الرّسول صلى الله عليه وسلم وحاول التّعظيم منها والإكبار به فالشّاعر حاول أن يرسم في كلّ جزء منها حادثة إسلاميّة.

واقترن اسم البوصيري بفنّ المدائح النبويّة ولقد استهلّ قصيدته بمشهد سردي ذكر فيه صفات سيّد الخلق النبيّ صلى الله عليه وسلم، ويذكر له مكارم أخلاقه ومواقفه الإنسانيّة والاجتماعيّة فيقول في ليلة مولده،(بحر الخفيف):

وَمُحَيّاً كَالشَّمْسِ مِنْكَ مُضيءٌ أَسْفَرَتْ عَنْهُ لَيْلَةٌ غَـــــرَّاءُ
لَيْلَةُ الْمَوْلِدِ الذِي كَانَ لِلـــــدِّي نِ سُرُورٌ بِيَوْمِهِ وَازْدِهَـــــــاءُ
وَتَوَالَتْ بُشْرَى الْهَوَاتِفِ أَنْ قَــدْ وُلِدَالْمُصْطَفَى وَحَقَّ الْهَنَـــاء[3]

أما في المشهد السّردي الأوّل فإنّ الشّاعر يبيّن الأثر الذي خلّفه مولده صلّى الله

[1] شرف الدّين أبي عبد الله محمد بن سعيد البوصيري: ديوان البوصيري، تح: محمد سيد كيلاني، دار مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر، ط1، 1955م، ص:1.

[2] ياسين الأيّوبي: آفاق الشّعر العربي في العصر المملوكي، ص:437.

[3] البوصيري: الديوان،ص2.

عليه وسلم في عالم القصور والفرس ثمّ يصف المرأة التي ولدته ويمجّد حوّاء على العموم فقال،(بحر الخفيف):

فَهَنِيئاً بِهِ لآمِنَـــةَ الْفَـــــضْ لُ الذِي شُرِّفَتْ بِهِ حَـوَّاءُ
مَنْ لِحَوَّاءَ أَنَّهَا حَمَلَـــتْ أَحْ مَدَ أَوْ أَنَّهَا بِهِ نُفَسَـــــاءُ
يَوْمَ نَالَتْ بِوَضْعِهِ ابْنَةُ وَهْبٍ مِنْ فَخَارٍ مَالَمْ تَنَلْهُ النِّسَاءُ[1]

وجاء في المشهد الثّاني والذي يتكوّن من (13) بيتا، فيعظّم آمنة وكيف أنّ الله سبحانه وتعالى قد منّ على امرأة واحدة وخيّرها عن نساء العالمين لإرضاعه فيقول،(بحر الخفيف):

يَا لَهَامِنَّةٌ لَقَدْ ضُوعِفَ الأَجْ رُعَلَيْهَامِنْ جِنْسَهَاوَالْجَـــــزَاءُ
وَإِذَا سَخَّرَ الإِلَهُ أُنَاســـــاً لَسَعِيدٍ فَإِنَّهُمْ سُعَـــــــــدَاءُ
حَبَّةٌ أَنْبَتَتْ سَنَابِلَ وَالْعَـصْ فُ لَدَيْهِ يَسْتَشْرِفُ الضُّعَفَــاءُ[2]

وكرّم سبحانه و تعالى حليمة السعديّة التي أرضعت أعظم خلق الله، ومن هنا انتقل إلى زوجته خديجة بنت خويلد فوصفها في أبياته فقال،(بحر الخفيف):

وَإِذَا حَلَّتِ الْهِدَايَةُ قَلْبـــــاً نَشِطَتْ لِلْعِبَادَةِ الأَعْضَـــــــاءُ
بَعَثَ اللهُ عِنْدَ مَبْعَثِهِ الشُّـــهْ بَ حِرَاساً وَضَاقَ عَنْهَاالْفَضَـاءُ[3]

ونرى أنّ البوصيري هاهنا قد تحدّث عن الذّين حاولوا أذيّة الرّسول صلى الله عليه وسلم، إضافة إلى تطرّقه للمعاهدة التي نقضها الكفّار مع الهاشميّين،(بحر الخفيف):

نَقَضُوا مُبْرَمَ الصَّحِيفَةِ إِذْ شَ دَّتْ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعِدَا الأَنْـدَاءُ

---

[1] البوصيري: الديوان، ص،ص: 2،3.
[2] المرجع نفسه، ص:3.
[3] المرجع نفسه، ص:4.

أَذْكَرَتْنَا بِأَكْلِهَــا أَكْلَ مِنْسَــا ةِ سُلَيْمَانَ الأَرْضَةُ الْخَرْسَــاءُ[1]

وفي هذا المقطع تحدّث شوقي على موقف الكفّار من المعاهدة وهي مركز قصيدته وهم قلب الحدث، وهم السبب في قيام المسلمين بالجهاد منذ الدّعوة الإسلاميّة. ففي البداية تجاهلوا الرّسول صلى الله عليه وسلم وأخرجوه من الدّيار فعوّضهم بالحيوانات وآلفها.

ثمّ عرج الشّاعر على حادثة الإسراء والمعراج التي حدثت مع الرّسول صلى الله عليه وسلم فيقول فيها، (بحر الخفيف):

فَطَوَى الأَرْضَ سَائِراً والسَّمَوَا تُ العُلاَ فَوْقَهَا لَــهُ إِسْــرَاءُ
فَصِفِ اللَّيْلَةَ التِي كَانَ لِلْمُخْ تَارِ فِيهَا عَلَى البُرَاقِ اسْتِوَاءُ
وَتَرَقَّى بِهِ إِلَى قَابِ قَوْسَــيْ نِ وَتِلْكَ السِّيَّــادَةُ الْقَعْسَــاءُ
وَتَلَقَّــى مِــنْ رَبِّهِ كَلِمَــاتٍ كُلَّ شَمْسٍ مِنْ دُونِهِنَّ هَبَاءُ[2]

فالشّاعر هنا ضمّن هذه الحادثة في أربع أبيات فقط، لكنّها ذات شروح متوسّعة وذلك لينصرف إلى الجهاد والدّعوة.

وهكذا فإنّ همزيّة البوصيري لا تخلو من المقاطع السّرديّة والوقفات التّأمليّة والمنسوجة عضويّا، وهذا الذي لم يحدث في أيّ قصيدة نبويّة.

تعتبر «همزيّة البوصيري أثرا شعريّا متفرّدا بنهجه وأسلوبه ولغته ومنحاه السّردي الإخباري الذي يلامس حدود الملحمة فضلا عن وفرة الشّعر الذي عزّز واستطال متخطّيا الحدود»[3]، فالقصيدة التي سردها الشّاعر ذات طبع خاصّ متميّزة من ناحية المنهج واللغة والإخبار وغيرها من الأمور التي تؤثّر في نفسيّة المتلقّي، كما تجعله مطّلعا على كافّة الأحداث بتسلسل ودون المبالغة وتخطّي حدود الوصف.

---

[1] البوصيري: الديوان، ص5.

[2] المرجع نفسه، ص:6.

[3] ياسين الأيّوبي: آفاق الشّعر العربي في العصر المملوكي، ص442.

2 ـ قصيدة البردة:

تعتبر قصيدة البردة أو ما يسمّى البرأة للبوصيري من أشهر وأبرز القصائد وذلك للجودة الفنيّة، ولتضمّنها على عدّة حكايات وقصص، فإنّها تبلغ مائة وسبعة وخمسين بيتا(157بيت) ولقد وصلت لدرجات التّقديس.

فالبعض «يضع لقراءتها شروطا لم توضع لغيرها من كلام البشر من ذلك: الوضوء، واستقبال القبلة، والدقّة في تصحيح ألفاظها وإعرابها، وأن يكون القارئ عالما بمعانيها/.../ وبعض أبياتها يُشفي النّاس من العلل والأمراض التي ألمّت بهم، وبحفظ أبياتها وإنشادها صباحا ومساءا يتقرّب النّاس من المصطفى صلى الله عليه وسلم ويرونه في المنام، إلى غير ذلك من اعتقاد النّاس لهذه القصيدة»[1].

ونستنتج من هذا القول أنّ هذه القصيدة شُبّهت بالقرآن الكريم إلى حدّ ما، فلقراءتها يجب التّقيّد ببعض القواعد، ويجب التّمعّن في معانيها.

يستهل البوصيري قصيدته بمقدّمة غزليّة يعبّر فيها عن اشتياقه الشّديد لها«فأطلال المحبوبة، هي من قبل ديار الممدوح، والرّيح التي تحمل شذا المحبوبة هي التي تعطّرت بشذا الممدوح، و وميض البرق الذي هدى الشّاعر لديار المحبوبة هو الوميض الذي كشف الغمّة وأنار طريق الهداية للبشر أجمعين، لأنّه ينبعث من الموطن الذي شهد ميلاد الممدوح»[2].

ونستنتج من قول الشّاعر أنّه يتغزّل بحبيبته التي اشتاق إليها ويتغزّل بالمكان الذي ولدت فيه، وأنّه كلّ ما يراه تتأجّج لوعة الحنين لها فتختلط مشاعره بالجديّة وهيامها بالأماكن التي ولد فيها الممدوح، فيقول،(بحر البسيط):

أمنْ تذكر جيـــرانٍ بـــذى ســـلمٍ مزجْتَ دمعا جَرَى من مقـلةٍ بـــــدمِ
أَمْ هبَّتِ الريحُ مِنْ تلقـاءِ كاظمـــةٍ وأَومض البرق في الظَّلْماءِ من إضمِ

[1] نبيل خالد أبو علي: البوصيري شاهد على العصر المملوكي، دار المقداد، غزّة، فلسطين، ط4، 2005م، ص16.
[2] البوصيري: الديوان، ص17.

فما لعينيك إن قلت اكْفُفــا هَمَتــا وما لقلبك إن قلـــت استــفق يهــمِ
أيحسب الصبُ أنّ الحب منكتــمٌ ما بين منسجم منـــه ومضْطَّـــرِمِ
لولا الهوى لم ترق دمعاً على طللٍ ولا أرقْتَ لذكـــر البـــانِ والعَلـــمِ[1]

فالشّاعر في هذه الأبيات ينقل لنا تجربته ويعبّر عن مشاعره وأحاسيسه وما أحدثه الحبّ بحياته.

وانتهى الشّاعر من كلامه عن العشق والهوى فذهب بنا مباشرة إلى ما يداوي النّفس، ويلوم نفسه التي هي الأمّارة بالسّوء فالبوصيري ها هنا كتب قصيدته هاته وهو في سنّ متأخّرة، وهذا جليّ بوصفِهِ شَوقَهُ لديار النّبي صلى الله عليه وسلم ومدحه لأخلاقه وصفاته ويمثّل ذلك بقوله، (بحر البسيط):

ظلمتُ سنَّةَ منْ أحيا الظلام إلــى إنِ اشتكتْ قدماه الضرَ مـــن ورمِ
وشدَّ من سغبٍ أحشـــاءه وطــوى تحت الحجارة كشْحاً مترف الأدمِ
وراودتْه الجبالُ الشــمُ مــن ذهــبٍ عن نفســـه فأراهـــا أيمـــا شـــممِ
وأكــدتْ زهـــده فيهـــا ضرورتُـــه إنَّ الضرورة لا تعدو على العِصَمِ
وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورةُ منْ لولاه لم تُخْرجِ الدنيــا مـــن العــدمِ[2]

لقد خصّص البوصيري فصلا في مدحه صلى الله عليه وسلم، وذكر صفاته وتكلّم عن زهده وكيف أنّ الله اصطفاه على النّاس أجمعين.

لقد أثنى الشّاعر على شيم وفضائل الرّسول صلى الله عليه وسلم التي ليس لها نهاية حيث وقف عندها ووصفها وبيّنها، فالرّسول صلى الله عليه وسلم خير خلق الله، كما تحدّث شوقي عن معجزاته التي سايرت مولده عليه الصّلاة والسّلام، ومثالها«انصداع إيوان كسرى، وخمود نار الفرس، وجفاف ماء بحيرة ساوة، وانقضاض الشّهب من السّماء على الأصنام وتدميرها، وغير ذلك»[3]، فيقول بهذا الصّدد، (بحر البسيط):

---

[1] البوصيري: الديوان، ص،ص:190، 191.

[2] المرجع نفسه، ص:192.

[3] نبيل خالد أبو علي: البوصيري شاهد العصر المملوكي، ص23.

أبان مولدُه عن طيب عنصره يا طيبَ مبتدأٍ منه ومختتمِ
يومٌ تفرَّس فيه الفرس أنهمُ قد أُنْذِروا بحلول البؤْس والنقمِ
وبات إيوان كسرى وهو منصدعٌ كشملِ أصحاب كسرى غير ملتئمِ
والنار خامدةُ الأنفاسِ من أسفٍ عليه والنهرُ ساهي العينِ من سدمِ
وبعد ما عاينوا في الأفق من شُهُب منقضّةٍ وفق ما في الأرض من صنمِ
حتى غدا عن طريق الوحي منهزمٌ من الشياطين يقفو إثر مُنهزمِ[1]

ثمّ يختم قصيدته بالقرآن ويذكر سبب نظمه لبردته وذلك للتّقرّب من الرّسول بغرض أن يشفع له، فيقول، (بحر البسيط):

خَدَمْتُهُ بمديحٍ أستَقِيلِ بِهِ ذُنوبَ عُمْر مَضَى في الشِّعرِ والخِدَمِ
إذ قَلَّدَانِيَ ما تُخشَى عواقِبُهُ كأنني بِهِمَا هَدْيٌ مِنَ النَّعَمِ
إنْ آتِ ذَنْبَاً فما عَهدِي بمُنتَقِضٍ مِنَ النَّبِيِّ ولا حَبلِي بمُنصَرِمِ
فإنَّ لي ذِمَّةً منه بتَسمِيَتِي مُحمَّدَاً وهُوَ أوفَى الخلقِ بالذِّمَمِ
يا رَبِّ بالمصطفى بلغ مقاصدنا واغفر لنا ما مضى يا واسع الكرم [2]

من خلال هذه الأبيات فإنّ الشّاعر يختتم قصيدته بالتّضرّع والدّعاء والتّوسل من نبيّ الله عليه الصّلاة والسّلام، وهنا يتذلّل أيضا لأنّه قضى جلّ حياته بمدح ذوي السّلطة والجاه ولم يجن من ذلك شيئا، وبالتّالي فقد خصّص مديحه للرّسول صلّى الله عليه وسلم لكي يشفع له.

ونجد أنّ البوصيري قد كتب العديد من المدائح التي توضّح استعداده للحجّ فيقول بهذا الصّدد، (بحر الرّمل):

[1] البوصيري: الديوان، ص،ص: 194، 195.
[2] المرجع نفسه، ص،ص: 199، 200.

سارَتِ العِيسَ يُرَجِّعْنَ الحَنِينا وَيُجَاذِبْنَ مِــنَ الشَّوْقِ البُرينــا

دامِياتٍ مِنْ حَقِّــي أَخْفافُهـا تَقْطَعُ البِـيدُ سَهَــولاً وحُزُونــا

وَعَلَى طُولِ طَـواها حُرِمَـتْ عُشْبَهَا المُخْضَرَّ والماءَ المَعِينا

كلمـا جَدَّ بهــا الوَجْــدُ إلَى غايَة لَــمْ تَدْرِهــا إلاَّ ظُنُــونا[1]

إنّ فريضة الحجّ من أكثر ما يتمنّاه أي مسلم وخاصّة البوصيري الذي يحنّ لزيارة قبر الرّسول صلى الله عليه وسلم، وبقيّة الأماكن المقدّسة وكلّ ذلك وظّفه في القصائد التي مدح بها النبيّ الكريم عليه أفضل الصّلاة وأزكى التّسليم قبل الرّحلة إلى الحجاز فيقول،(بحر الطّويل):

فَهَبْ لِي رسولَ اللَّهِ قُرْبَ مَوَدَّةٍ تَقَرُّ بِهِ عَيْنٌ وتَرْوَى بِــهِ كبدُ

وإنــي لأَرْجــو أنْ يُقَرِّبَنــي إلَى جَنَابِكَ إرْقالُ الرَّكائِبِ والوخْدُ

وَلَولا وُثُوقِي منكَ بالفوزِ في غَدٍ لما لذَّ لِي يَوْماً شَرابٌ ولا بَرْدُ

عَلَيْكَ صلاةُ اللَّهِ يُضْحِي بطيبَـةٍ لَدَيْكَ بها وفْدٌ ويُمْسِي بها وفْدُ

ودامَتْ كأَنْفَاسِ الوَرَى في تَرَدُّدٍ عَلَيْــكَ مِـنَ اللَّهِ التَّحِيَّــةُ والرَّدُّ[2]

أمّا في طريق البوصيري إلى الحجاز لأداء فريضة الحجّ، ووقوفه أمام ضريح الرّسول صلى الله عليه وسلم وهو يمدحه فقال، (بحر الكامل):

وافاك بالذنبِ العظيمِ المذنبُ خجــلاً يعنــفُ نفســهُ ويؤنــبُ

لم لا يشوبُ دموعهُ بدمــائه ذو شيبةٍ عوراتهــا ماتخضــبُ

[1] البوصيري: الديوان، ص:209.

[2] المرجع نفسه، ص:69.

لَعِبَتْ به الدنيا ولـولا جَهْلُـه ما كان في الدنيا يخوضُ ويَلعَبُ

لَزِمَ التَّقَلُّبَ في معَاصي رَبِّهِ إذْ بـــاتَ فـــي نَعْمائِـــه يَتَقلَّـبُ

يستغفرُ الله الذنـوبَ وقلبـه شرهاً علـــى أمثالهـــا يتـوثـبُ [1]

وهنا نلاحظ أنّ الشّاعر من خلال أبياته بدأ بالاستغفار والتّضرّع والتّوسّل أمام قبر الرّسول صلى الله عليه وسلم، ثمّ بعد ذلك انتقل إلى مدحه وختم أبياته بطلب الغفران من الله تعالى عمّا تقدّم من ذنبه وتأخّر، فقال في مطلع قصيدته،(بحر الوافر):

بِمَدْحِ المصطفى تَحيا القلوبُ وَتُغْتَفَرُ الخطايا وَالذُّنــوبُ

وَأَرْجُو أن أعِيشَ بـــه سعـيداً وَأَلقاهُ وَليس عَلَـــيَّ حُـوبُ

نبيٌّ كامـل الأوصـافِ تَمَّـتْ محاسِنُه فقيل له الحبيــبُ

يُفَرِّجُ ذِكْــرُهُ الكُرُبــاتِ عـنــا إذا نَزَلَتْ بساحَتِنا الكُروبُ

مدائحُه تَزيــدُ القَلْـبَ شَوْقــاً إليه كأنها حَلْــيٌ وَطيــبُ[2]

وعند عودة البوصيري من أداء فريضة الحجّ بعدما حاول إرضاء نفسه، وذلك عن طريق رؤية ضريح النبيّ الكريم صلى الله عليه وسلم ، فقد حزم أمتعته وامتطى بعيره وعاد من أرض الحجاز فنظم قصيدة مطلعها، (بحر المديد):

أزمَعوا البَيْنَ وَشَدُّوا الرِّكــابـا فاطلب الصبرَ وخَلِّ العِتــابـا

ودنـــا التَّوديع مَمَّـــنْ وَدِدْنا أَنَّهم دامــوا لديــنا غِضــابـا

فاقْرِ ضَيْفَ البَيْنِ دمعاً مُذالاً يا أخــا الوَجْدِ وقلْـباً مُـذابـا

[1] البوصيري: الدّيوان، ص:41.

[2] المرجع نفسه، ص:35.

فمَــنِ اللائِمُ صَــبًّا مَشُــوقاً أنْ بَكـــى أَحْبَابَــهُ والشَّبابـا

إنمـا أَغْـرَى بِنـــا الوَجْدَ أَنَّـــا ما حَسبْنَـــا لِفِرَاقٍ حســابَــا

وَعُرَيْبٌ جَعَلـــوُا بالمصَـلَّى كلَّ قلبٍ يومَ ســاروا نِهـايـا[1]

وعند عودة البوصيري إلى مصر نظم همزيّته المشهورة وسمّاها "أمّ القرى في مدح خير الورى" استهلّها بمدح خير خلق الله، وقصّ فيها تفاصيل رحلته إلى الحجاز، كما ذكر السّيرة النبويّة، وبكى على آل البيت، وأثنى على الخلفاء الرّاشدين، وصوّر بطولات الصّحابة رضي الله عنهم، وختم قصيدته بالدّعاء والاستغاثة والتّوسّل والتّضرّع وطلب الشّفاعة، فيقول (بحر الخفيف):

كـيف ترقَـــى رُقِـيَّك الأَنبيــاءُ يا سماءً ما طاوَلَتْهــا سماءُ

أنتَ مِصباحُ كلِّ فضلٍ فما تَص دُرُ إلا عن ضوئِكَ الأَضواءُ

لكَ ذاتُ العلومِ مــن عالِــمِ الغَي بِ ومنـــهــا لآدمَ الأَسمــاءُ

ما مضتْ فَتــرةٌ مــن الرُّسْلِ إلّا بَشَّرَتْ قومَها بِــكَ الأَنبيــاءُ

تتباهَى بِـكَ العصــورُ وَتَسْمــو بِكَ علْياءٌ بعــدَهــا علـيـاءُ

نَسَبٌ تَحسِـــبُ العُـــلا بِحُــلاهُ قَلَّدَتْهَــا نجومهَــا الْجَــوزاءُ

وُمُحَيّاً كالشَّمـس منــكَ مُضِيءٌ أسْفَرَت عنـــه لــيلةٌ غَــرّاءُ

ليلةُ المولدِ الذي كَـــان للدِّي نِ سرورٌ بيومــهِ وازْدِهـــاءُ

وتوالَتْ بُشْرَى الهواتـفِ أن قدْ وُلِدَ المصطــفى وحُقّ الهَناءُ[2]

---

[1] البوصيري: الديوان، ص:29.

[2] المرجع نفسه، ص،ص:1، 2.

ومجمل القول أنّ قصيدتا البردة والهمزيّة للبوصيري اشتهرتا بشكل واسع، وتناولتها جميع الألسن وخاصّة في المناسبات، والبوصيري كتب قصائده دون تكلّف فالشّاعر يوظّف كلّ أحاسيسه ومشاعره بصدق في نظمه، وقد اعتمد فيها على الفخر بالرّسول صلى الله عليه وسلم ومديحه والحديث عن سيرته النّبويّة.

الفصل الثّاني

أوّلا: الشّعر الدّيني في العصر الحديث.

ثانيا: أحمد شوقي.

ثالثا: موضوعات أحمد شوقي.

1 ـ موقفه من الخلافة.

2 ـ موقفه من الحج.

ـ قصيدة إلى عرفات

3 ـ المديح النّبوي.

ـ قصيدة نهج البردة.

ـ الهمزيّة النبويّة.

أوّلا: الشّعر الدّيني في العصر الحديث:

يعتبر العصر الحديث من العصور التّي حاولت النّهوض بالشّعر وإعادته إلى مكانه الذي كان فيه، من بعد ما مرّ به في عصر الانحسار أو ما يسمى الانحطاط. إضافة إلى الرّكود والجهل والضّعف الاقتصادي والثّقافي الذي شهدته الأمّة العربيّة التي كان معظمها تحت الحكم العثماني لذلك عمل الشّعراء على الخروج من هذه الأزمة.

ويؤرّخ لعصر النّهضة من بداية حملة نابليون 1798م الذي حمل معه إلى مصر كلّ وسائل العلم والحضارة من طباعة، وصحافة، ومترجمين وأسلحة حديثة....إلى نهاية الحرب العالميّة الأولى حيث «كان الفكر الأوروبي قد بدأ يتغلغل في الشّرق العربي منذ عصر الحملة الفرنسيّة، وانفتاح مصر على أوروبا /.../ وبدأت نظم التّعليم الحديثة تغزو العقول وتغيّر اتّجاهاتها وطرق تفكيرها، بعد أن ران عليها الجهل فترة طويلة في عصر الانحسار الثّقافي، أو غلب عليها جمود التّعليم الدّيني الذي وصل إلى حالة يرثى لها في ضعف وسائله»[1].

والمقصود هنا هو تأكيد على ما قلناه سابقا إذ أنّ المدارس الدّينيّة أو الكتاتيب كانت المنفذ الوحيد في ظلّ الاستعمارات التي شهدتها العرب في تلك الفترة. فقد ظلّ الشّعر الدّينّي موضوعا حيويا عند كثير من الشّعراء في العصر الحديث لأنّه كان من العوامل التي أثّرت في نهوض الشّعر وتطوّره وازدهاره في تلك الفترة فلقد «نشطت الحركات الدّينيّة خلال القرنين الثّامن عشر والتّاسع عشر ومنها الدّعوة الإصلاحيّة/.../ وكان مدار هذه الدّعوات تطهير الإسلام من شوائبه، ومقاومة النّفوذ العثماني والحدّ منه. وتبنى كلّ من جمال الدّين الأفغاني والشّيخ محمد عبده اتجاها آخر يدعو إلى الوحدة الإسلاميّة ونبذ الاستبداد/.../ وفي المقابل ظهرت حركات قوميّة تدعو إلى الاستقلال /.../ وظهر تأثير تلك الأحزاب في الأدب الحديث»[2] .

[1] محمد مصطفى هدّارة: دراسات في الأدب العربي الحديث، دار العلوم العربيّة، بيروت، لبنان، ط1، 1990م، ص18.

[2] سامي يوسف أبو زيد: الأدب العربي الحديث(الشّعر)، دار المسيرة، عمّان، الأردن، ط1، 2014م، ص،ص:24،23.

والمقصود بهذا القول أنّ الدّين وسيلة لتنظيم الحياة، والشّعر أداة للتّعبير عنها لذلك نجد أنّهما مرتبطان بطريقة أو بأخرى، والأديان معظمها اصلاحيّة حيث أنّ الدّين يدعو إلى حريّة الإنسان وعدم تقييده من قبل أي استعمار، إضافة إلى تخليص الدّين من الشّوائب التي تعلقت به، وتخليصه من قيود الدّولة لأنّ الديّن مرتبط بالله وحده ولا اكراه فيه أي أنّه لا يمكن أن نجبر أي شخص على التّخلي عن دينه أو أن يتديّن ويجب أن لا نطبق عليه أي أحكام لا من قبل الدّولة ولا من غيرها.

و من بين مظاهر النّهضة الأدبيّة إحياء التّراث العربي والإسلامي حيث عملت كلّ من المطابع والجمعيّات على إعادة إحياء هذه الكتب القيّمة وطبعها ونشرها وترجمتها، من أمثال: لسان العرب، تاج العروس وغيرها. وكان لهذا الإحياء آثارٌ ايجابيّة في نشر التّراث في العالم العربي وقد «أفاد روّاد مدرسة الإحياء من هذه الكتب إذ أصبحت هذه المدرسة أبرز الاتّجاهات الأدبيّة في العصر الحديث وأقربها إلى الذّوق الأدبي وآية ذلك احتفاء القارئ العربي بشعر البارودي وشوقي وحافظ وعمر أبي ريشة وغيرهم ممّن يمثّلون هذا الاتّجاه»[1]، ونعني هنا أنّ الشّعر لقي اهتماما كبيرا من قبل مدرسة الإحياء إذ اعتنوا به عناية كبيرة من أمثال شوقي وحافظ وغيرهم من الشّعراء.

يعدّ محمود سامي البارودي رائد الاتّجاه الإحيائي حيث انتقل بالشّعر من دور الرّكود والجمود إلى دور النّهضة والإجادة إذ «وثب بالعبارة الشّعريّة وثبة واحدة من طريق الضّعف والرّكاكة إلى طريق الصحّة والمتانة وأوشك أن يرتفع هذا الارتفاع بلا تدرّج ولا تمهيد»[2]، ويعني هنا أنّ البارودي أعاد إلى الشّعر الأصيل نبض الحياة من جديد فيما يشبه الإحياء الحقيقي، ثمّ تلاه من بعده تلاميذه كأحمد شوقي وأحمد محرمّ وغيرهم ممّن عزّزوا هذا الاتّجاه وهذه المدرسة. فقد أنعشوا بذلك القصيدة القديمة وأرجعوها إلى ما كانت عليه في عصورها الزّاهية خاصة العصر العبّاسي، فقد عملوا على إحياء القصيدة وبعثها بحلة جديدة.

[1] سامي يوسف أبو زيد: الأدب العربي الحديث(الشّعر)، ص25.

[2] المرجع نفسه، ص33.

ثانيا: أحمد شوقي(1868م-1932م)

1 ـ حياته:

أحمد شوقي أو ما عليه أمير الشّعراء «ولد سنة 1868م في زمن الخديوي إسماعيل من أب كردي كان ضابط في الجيش العثماني وأم تركيّة شركسيّة الجدّة لأبيه وأخرى يونانيّة لأمّه لذلك اجتمعت فيه العناصر الأربعة على حدّ قوله أصول أربعة في فرع مجتمعة»[1]، ونرى هنا أنّه تفرّد في نشأته على غيره من الشّعراء، إذ نشأ في حياة منعمة بالتّرف لأنّه عاش في أحضان الخديوي، أي عاش في جو القصور وبذلك يمكن القول أنّه نشأ نشأةً أرستقراطيّة، أي أنّه نشأ في برج ذهبي وهذا ما أتاح له إخلاصه للشّعر.

إضافة إلى ذلك فإنّ شوقي تميّز بعدّة مواهب من ذاكرة فريدة وخيال واسع وروعة في الابتكار ودقّة في الشّعور بالحياة ووصفها، إضافة إلى إتقانه لأكثر من لغة، التي ساعدته في الارتباط بكبار الأدباء والنّقاد من عرب وعجم، من أمثال: لافونتين، وفيكتور هيجو، والمتنبي وأبي تمّام وغيرهم. وهذا ما مكّنه من اكتساب ثقة كبيرة لمواصلة حياته الفنيّة وإضافة الجديد عليها وهذا ما جعله يعلي من شأن مدرسته الكلاسيكيّة التي ترسّخت على يده بقوة وثبات.

2 ـ تحصيله الدّراسي:

أخذ تعليمه الأوّل في القاهرة على يدّ الشّيخ صالح ثمّ انتقل إلى المبتديان وهناك بدأت تظهر علامات النّبوغ عليه، وتخرّج منها في عمر الخامس عشرة سنة، ومن هنا بدأت معالم تعليمه تذهب في الطّريق المدني وليس الطّريق الدّيني الذي تميّزت به مصر خاصة في الأزهر، أي أنّه ذهب في التّعاليم المستمدّة من أوروبا، وبعد إتمامه مرحلة الثّانوي التحق بمدرسة الحقوق ليكمل تعليمه، وبعدها اتّصل بأستاذه البسيوني البيباني الذي كان يمدح الخديوي توفيق فاستمدّ منه واستفاد من شعره فأصبح بدوره يكتب القصائد في مدح الخديوي.

[1] عمر إبراهيم توفيق: الوافي في الشّعر العربي الحديث، مرا: عبد اللطيف يوسف عيسى، دار غيداء، عمّان ، الأردن، ط1، 2012م، ص62.

تخرّج من قسم التّرجمة متقنا الفرنسيّة وشاعرا للخديوي، وبهذا اختتم حياته التّعليميّة في أوروبا. بعد ذلك أرسله الخديوي على نفقته الخاصّة إلى فرنسا لكي يزداد ثقافة ثمّ إلى باريس وهناك مرض فذهب إلى الجزائر ثمّ عاد مجدّدا إلى باريس وأخيرا عاد إلى وطنه، حيث بقي هناك وانشغل بالبلدان العربيّة يكتب فيها الشّعر إلى أن وافته المنيّة في 1932م.[1]

3 ـ موقفه من الدّين:

عند التّحدّث عن الشّاعر أحمد شوقي وموقفه من الدّين نتوقّف عند ديوانه فنراه مليئا بالمواضيع المتعلّقة به، مثل مدح الرّسول صلى الله عليه وسلم والتّحدّث عن بعض أركان الإسلام، كالحجّ وغيرها. رغم هذا إلاّ أنّه في حياته الشّخصيّة سنجد موقفا متداخلا «مع موقفه الدّيني الذّي يختلط به الضّعف الإنساني بالتّوهج الإيماني؛ فقد كان أحمد شوقي رحمه الله تعالى مع كلّ ما اضطرب في حياته مدمن خمر مولعا بها، يصعب عليه مفارقتها»[2].

وهنا دليل على أنّ شوقي لم يكن من الملتزمين بفرائض الدّين، فهو ممّن لا يستطيعون التّخلي عن الخمر. ويمكن القول أنّ عيشه في القصور من الأسباب التي جعلته يعاقر الخمر ويختلط بوصيفات القصر، فهو كما سبق الذّكر عاش حياة أرستقراطيّة أي حياة ملؤها التّرف واللّهو. ومن بين الأبيات التي قالها على الخمر،(الخفيف):

رَمَضانُ وَلّى هاتِـها يا ســـاقي مُشتاقَةً تَسعـــى إلى مُشتـــاقِ

هاتِ اِسقِنيـها غَـيرَ ذاتِ عَواقِبٍ حَتّى نُـراعَ لِصَـيحَةِ الصَـفّاقِ

حَمــراءَ أَو صَـفراءَ إِنَّ كَريمَـها كَالغيـــدِ كُـلُّ مَليـــحَةٍ بِمَـذاقِ

وَحَذارِ مِن دَمِـها الزَكِـيِّ تُريقُـهُ يَكفيـــكَ يا قاســـي دَمُ العُشّـاقِ

[1] ينظر: شوقي ضيف: شوقي شاعر العصر الحديث، دار المعارف، القاهرة ، مصر، طبعة خاصّة، 2010م، ص ـ ص:11 ـ 15.

[2] زهير سالم: أدب وسياسة: أحمد شوقي، مركز الشّرق العربي، 12 أفريل2019م، 11:19، www.asharqalarabi.org.uk.

لا تَــسقِنــي إلّا دِهــاقاً إنَّنــي أُسقى بِكَأسٍ في الهُمومِ دِهاقِ[1]

نرى من خلال الأبيات أنّ شوقي كان يمتنع عن الخمر في رمضان حرمة للشّهر الفضيل، ولذلك فهو ينتظر بفارغ الصّبر أن ينقضي هذا الشّهر لكي يعود إلى محبوبته، فهو مشتاق إليها بقدر اشتياقها له، فنراه يتغزّل بها ويصفها ويحبّ جميع أنواعها لا يهمّه ما هي بقدر أنّها ستخفّف من همومه التي أثقلت كاحله.

وشوقي من الذين يؤمنون أنّ الله عفو كريم رغم ارتكابه الأخطاء إلاّ أنّه شديد القرب من الدّين، وإن لم يعمل بفرائضه فهو قويّ الإيمان أنّ الله يغفر له ونراه تحدّث عن هذه القضيّة، فيقول فيها، (البسيط):

إنْ جَلَّ ذَنْبِي عَنِ الْغُفْرَانِ لِي أَمَلٌ فِي اللهِ يَجْعَلُنِي فِي خَيْرِ مُعْتَصَمِ
أُلْقِي رَجَائِي إِذَا عَزَّ الْمُجِيرُ عَلَى مُفَرِّجِ الْكَرْبِ فِي الدَّارَيْنِ وَالْغُمَمِ[2]

وفي جانب آخر كان يتغنّى بالإسلام إذ برع شوقي في شعر المناسبات من مديح ورثاء وغيرها، فنجده يمدح الرّسول الكريم صلى الله عليه وسلم في أكثر من قصيدة منها: نهج البردة، ذكرى المولد، الهمزيّة النبويّة وغيرها. حيث نلمس في قصائده صدق مشاعره ودقّة وصفه ورقيّ أسلوبه إذ ركّز على الجانب الخلقي في شعره الذي يتمثّل في صلاح النّفس، فيقول في إحدى هاته القصائد، (البسيط):

صَـلَاحُ أَمْـرِكَ لِلْأَخْـلَاقِ مَـرْجِـعُـهُ فَقَـوِّمِ النَّـفْـسَ بِـالْأَخْـلَاقِ تَسْـتَقِمِ
وَالنَّفْسُ مِنْ خَيْرِهَا فِي خَيْرِ عَافِيَةٍ وَالـنَّـفْسُ مِـنْ شَرِّهَا فِي مَرْتَعٍ وَخِـمِ[3]

ويقول أيضا واصفا خير الأنام في همزيّته التي غنّتها أم كلثوم، (الكامل):

وُلِدَ الهُـــدى فَالكائِنــاتُ ضِيــاءُ وَفَــمُ الزَمــانِ تَبَـسُّـمٌ وَثَـنــاءُ
الروحُ وَالمَــلَأُ المَلائِــكُ حَــتولَـهُ لِلديــنِ وَالدُنيــا بِــهِ بُشَــراءُ[4]

وهنا نلاحظ عواطفه الدّينيّة والتي كانت متفشيّة بكثرة في ديوانه إذ نرى أنّه

[1] أحمد شوقي: الشّوقيات، ج1، مؤسسّة هنداوي للتّعليم والثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2012م، ص456.
[2] المصدر نفسه، ص262.
[3] المصدر نفسه، ص،ص:262،261.
[4] المصدر نفسه: 41.

يتحدّث عن موضوعاتٍ دينيّة كثيرا في أشعاره، وعن القيم الأخلاقيّة والإنسانيّة التي عُرف بها هذا الدّين، كما تحدّث أيضا عن الخلافة العثمانيّة ومدح سلاطينها ثمّ رثاهم أيضا. وهذه من بين المواقف التي مرّ بها شوقي في كتابته حول الدّين الذي يعتبر ركيزة الحياة.

4 ـ أثر الثّقافة القرآنيّة والدّينيّة على شعر شوقي:

الظّاهر أنّ التّأثيرات الإسلاميّة التي لاحظناها في شعر شوقي هو ما اقتبسه من القرآن الكريم، فهو المصدر الأوّل الذي يصدّقه المسلمون وقد استخدمه شوقي لكي يدعّم به شعره، ولكي يقنع به النّاس فقد استشهد به في أشعاره و«هكذا يصبح المصدر القرآني ينبوعا ثريا يستمدّ منه شوقي ألفاظه وصوره ومعانيه في جميع أغراضه/.../ وركّز صوره في بعض الأحيان حول المعاني الدّينيّة التي لها علاقة بعالم الغيب، مثل: تصوير الجنّة والنّار والبعث وبأنّ النّور مصدر الضّياء في الدّنيا والآخرة، لأنّه حقيقة دينيّة روحيّة»[1].

وهنا ندرك أنّ شوقي يأخذ من معاني القرآن ويصوّرها في أشعاره. ومن بين مشاهد الجنّة التي وظّفها في شعره تشبيه دمشق بجنّات الفردوس، فيقول،(الخفيف):

ودِمشْــقُ جَنَّـــاتُ النعـــيم، وإِنَّما أَلَفَيْتُ سُــدَّةَ عَدْنِهِنَّ رُباك

قَسَماً لو انتكت الجداولُ والرُبا لتــهلَّل الفردوسُ ، ثُــمَّ نَـمــاك[2]

وهنا نرى أنّه شبّه دمشق بجنّات النّعيم والفردوس، فتارة نجده يكتفي بذكر أوصاف الجنّة أو القيامة أو الحشر ويوردها في أشعاره، وتارة أخرى نجده يدلّ على الحقائق الرّوحيّة الدّينيّة، وأخرى أخلاقيّة إنسانيّة ويعبّر عنها بكلمة النّور وهو الذّكر والسنّة، فيقول (الطّويل):

بِأَيمانِهِمْ نورانِ ذِكــرٌ وَسُــنَّةٌ فَما بالُهُمْ في حــالِكِ الظُلُمــاتِ؟[3]

---

[1] سعاد عبد الوهّاب عبد الكريم: إسلاميّات أحمد شوقي، تق ومرا: سهير القلماوي، دار أهرام الجيزة الكبرى، مصر،(د، ط)، (د، ت)، ص231.

[2] أحمد شوقي: الشّوقيّات، ص567.

[3] المصدر نفسه، 136.

وهنا نجد الاقتباس من القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾ آل عمران:58، وقوله أيضا: ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ الفتح:23.

نرى أنّ القرآن الكريم «كان مداده الأساسي في تصوير النّور بهذه المعاني وإخراجه في هذه الصّور، ولئن كانت الصّور القرآنيّة معروفة فإنّها ترجمت عن روح شوقي الإسلاميّة وثقافته الدّينيّة»[1]، و المبيّن هنا أنّ شوقي حاول أن يشرح ما يختلج في نفسه من روح دينيّة، ويعبّر بها في أشعاره حيث نراه استمدّ معاني القرآن تارة وتارة أخرى يذكره كما ورد في كتاب الله عزّ وجلّ، وتارة يذكر أسماء السّور وتارة يذكر قصص الأنبياء، مثل: سيّدنا آدم، وداوود، وسليمان ويوسف ويعقوب وغيرهم، وتارة أخرى يذكر الحوادث التي وقعت للمشركين.

وهذا إن دلّ فإنّه يدلّ على مدى تعلّقه بالجانب الدّيني، حيث لم يخل ديوانه من ذكر الدّين أو القرآن الكريم، أو قصص الأنبياء المكرّمين. لأنّ أحمد شوقي شاعر مسلم و معتزّ بدينه.

ثالثا: موضوعات أحمد شوقي:

1 ـ موقفه من الخلافة العثمانيّة:

يعتبر أحمد شوقي من الشّعراء الذين اصطبغت أشعارهم بصبغة إسلاميّة، فلقد ظهرت النّزعة الدّينيّة مع الإحيائيّين أصحاب المدرسة الكلاسيكيّة الجديدة أمثال: شوقي وحافظ...، ولقد تغنّت قصائدهم بالموروث القديم والجديد، ولقد عاصر شوقي كافّة الأحداث التي مرّ بها العالم الإسلامي وخاصّة الخلافة فقد «اهتمّ شوقي بالأتراك اهتماما كبيرا من هذا المنطلق، فخصّص لهم 18 قصيدة طويلة من ديوانه، تغنّى فيها بأمجادهم وقوادهم، وبكى

[1] سعاد عبد الوهّاب عبد الكريم: إسلاميّات أحمد شوقي، ص234.

فيها أحزانهم، بعاطفة صادقة وصورة رائعة...»[1].

فقد تناول أحمد شوقي الخلافة وتحدّث فيها في العديد من قصائده وتعدّاه ذلك إلى الحديث عنها في المناسبات، وذلك لقوّة صلته بقصر العثمانيّين في تركيا، وأيضا لنشأته في قصر الخديوي «لقد كان شوقي في المرحلة الأولى من حياته الفنيّة شاعر القصر، والقصر له سياسته الخاصّة بها، وكان لزاما على شوقي أن ينهج هذه السّياسة»[2].

أي أنّ أحمد شوقي كان شديد التأثر بالخلافة، وذلك واضح من خلال شوقيّاته وكان جلّ حديثه فيها عنها وعن تركيا الحديثة «والعثمانيّون خلفاء نشأوا على الآداب الإسلاميّة في لغة القرآن أو في لغتهم التّركيّة التي نقلوا إليها أمّهات الفقه والتّفسير وحضارة المسلمين، وكأنّ العثمانيّين بالنّسبة لشوقي تاريخ وفتح وحماة الإسلام»[3].

والمقصود بهذا القول أنّ العثمانيّين ترعرعوا في بيئة دينيّة تتغنّى بالقرآن وتتّخذه منهجا في الحياة، وذلك ما جعل أحمد شوقي يتناولهم في أشعاره. وقد حرص على تناول الخلافة دائما بذكر الله تعالى، وتبنّي القضايا الدّينيّة فقد سيطر الحسّ الإسلامي على شوقي فيقول في هذا الصّدد، (الكامل):

صدَقوا الخليفةَ طاعةً ومحبةً وتمسَّكوا بالطُّهرِ من أذيالِهِ[4]

فقد حاول الشّاعر هنا الاعتماد على المعاني الدّينيّة وأيضًا الألفاظ التي لها علاقة بالإسلام، مثل: طهر، طاعة، محبّة وبالتّالي فإنّ أحمد شوقي يقول بأنّ مصدر الخلافة الأولى هو الله سبحانه وتعالى.

للخلافة الإسلاميّة مكانة كبيرة في قلوب المسلمين «فلقد حرِص المسلمون على إيجاد

---

[1] حافظ إبراهيم ونعيم محمد عبد الغنيم: عندما ينخدع الشّعراء بألاعيب السّياسة شوقي وأتاتورك نموذجا، مجلة حماسة، 1نوفمبر 2016، 23:42،

www.hamassa.com

[2] سعاد عبد الوهّاب عبد الكريم: إسلاميّات أحمد شوقي، ص42.

[3] المرجع نفسه، ص43.

[4] أحمد شوقي: الشّوقيّات، ص229.

الخليفة حتى ولو كان في صورة رمزيّة هزليّة لا يستطيع تحريك ساكن أو إيقاف متحرّك»[1]. وذلك للإحباط الذي أصاب المسلمين إبان تلك الفترة ولحسن الحظّ فقد تجدّدت آمالهم بالانتصارات التي قام بها مصطفى كمال أتاتورك في 1919-1922.

وبالتّالي فقد تمّ إحياء الخلافة الإسلاميّة وبهذا الصّدد قام أحمد شوقي بنظم أبياتٍ يمدح فيها أتاتورك ظنًّا منه أنّه هو من أحيا الخلافة فقال فيه، (البسيط):

اللَهُ أَكبَرُ كَم في الفَــتحِ مِن عَجَبٍ يا خـــــالِدَ التُركِ جَدِّد خــالِدَ العَرَبِ

صُلــحٌ عَزيــزٌ عَلى حَربٍ مُظَـفَّرَةٍ فَالسَيفُ في غِمدِهِ وَالحَقُّ في النُصُبِ

يا حُسنَ أُمنِيَّةٍ في السَيفِ ما كَذَبَت وَطيبَ أُمنِيَّةٍ في الرَأيِ لَــم تَخِــــبِ

أَتَيتَ ما يُشبِهُ التَقــوى وَإِن خُــلِقَت سُيــوفُ قَومِـــــكَ لا تَرتـــاحُ لِلقُرُبِ

وَمُسلِمو الهِندِ وَالهِــندوسُ في جَذَلٍ وَمُسلِموا مِصرَ وَالأَقباطُ فــي طَــرَبِ[2]

نلاحظ من خلال الأبيات أنّ أحمد شوقي هنا بصدد مدح أتاتورك وهذا لأنّه استعاد تركيا والتي كانت رهينة للدّول المتخلِّفة واليونانيّين، وهنا فإنّ أحمد شوقي شبّه أتاتورك بالقائد الإسلامي وأيضا الصّحابي.

وكان «مصطفى كمال أتاتورك قد شايعه المسلمون في أنحاء الإمبراطوريّة العثمانيّة، وكان شوقي في حملة المشايعين بل المكابرين به، أملاً فيما هو خيرٌ للإسلام، حتى إذا استتبّ له الأمر وتمكّن من الحكم، ألغى الخلافة سنة 1923م هو وأصحابه (الكماليّون) واستقلّوا بتركيا دولة علمانيّة»[3]، فالمسلمون بايعوا أتاتورك آملين فيه الخير للدّولة العثمانيّة وكافّة المسلمين ومن بينهم أحمد شوقي والذي كانوا من المؤيّدين له.

---

[1] محمد الدّابولي: الإحباط الحضاري... أسباب الحنين إلى مجد الخلافة المزعوم، مجلّة المرجع، السبت 21 يوليو 2018، باريس، 10:49،

www.almarjie-paris.com

[2] أحمد شوقي: الشّوقيّات، ص ـ ص: 85 ـ 88.

[3] سعاد عبد الوهّاب عبد الكريم: إسلاميّات أحمد شوقي، ص43.

لكن انكشفت الحقائق وألغى مصطفى كمال أتاتورك الخلافة الإسلاميّة وتمّ محو الإسلام من المجتمع العثماني دون سابق إنذار ودون أن تحدث أيّة ردّة فعل إضافة إلى أنّه ألغى اللغة العربيّة ومنع الحجاب، وقد تأثّر على إثر سقوط الخلافة الهنود والمصريّون أيضًا وخاصّة أحمد شوقي، فقد كتب قصيدة يرثي فيها الخلافة فبعد هدمها قال قصيدته الإسلام سنة 1924م، (الكامل):

عادَت أَغاني العُرسِ رَجــعَ نُـواحِ وَنُعيــتِ بَيـــنَ مَعالِمِ الأَفراحِ

كُفِّنتِ فــي لَيــلِ الزَفــافِ بِــثَوبِــهِ وَدُفِنـــتِ عِندَ تَبَلُّجِ الإِصبــاحِ

الهِنــدُ والِــهَــةٌ وَمِصــرُ حَزيــنَةٌ تَبكي عَلَيكِ بِمَدمَـــعٍ سَحّــاحِ

وَالشـــامُ تَســأَلُ وَالعِـراقُ وَفــارِسٌ أَمَحا مِنَ الأَرضِ الخِلافَةَ ماحِ

نَظَمَت صُفوفَ المُسلِمينَ وَخَطوَهُم فـــي كُلِّ غَدوَةِ جُمــعَةٍ وَرَواحِ[1]

فأحمد شوقي يرثي الخلافة العثمانيّة ويقول بأنّ ما حدث لها هو من أهلها ومن الواقفين مع مصطفى كمال أتاتورك لإسقاطها.

إنّ أحمد شوقي خُدع بأتاتورك ولم يتوقّع أنّه أسقط دولة الخلافة، فنظم قصيدة يحثّ فيها الأمّة الإسلاميّة أن ينصحوه ببناء ما هُدم وأنّ عليه إنصاف من ظُلم فقد قال،(الكامل):

بَكَتِ الصَلاةُ وَتِلكَ فِتنَةُ عابِثٍ بِالشَرعِ عِربيدِ القَضــاءِ وَقــاحِ

أَفتى خُزَعبِلَةً وَقــالَ ضَلالَــةً وَأَتى بِكُفرٍ في البِلادِ بَـــواحِ [2]

وبالتّالي فقد تغيّر موقف أحمد شوقي من مادحٍ لمصطفى أتاتورك إلى هاجٍ له، وذلك لأنّه تعدّى على الخِلافة والتي هي بمثابة خطّ أحمر بالنّسبة لشوقي فقال،(الكامل):

[1] أحمد شوقي: الشّوقيّات، ص،ص: 145،146.

[2] المصدر نفسه، 146.

أَدّوا إلى الغازي النَصيحَةَ يَنتَصِح إنَّ الجَوادَ يَثوبُ بَعدَ جِمـــاحِ[1]

من خلال أبياته نرى أنّه يطلب إسداء النّصح له، كما أنّه يشبّهه بأنّه حصان جامح يجب كبحه.

إنّ أحمد شوقي من خلال قصائده يبيّن لنا مدى حسرته الشّديدة على الخلافة فينقل لنا شعوره الصّادق من خلال قوله، (الكامل):

قُل للخلافةِ قولَ باكٍ شمسَها بالأمس لمَّا آذنَت بدُلـوكِ
يا جذوةَ التوحيد هل لكِ مُطفِئٌ واللهُ جـلَّ جلالُه مُذْكِيـكِ[2]

من خلال ما سبق ذكره فإنّنا نرى أنّ حياة أحمد شوقي وقصائده قد تناول فيها الحديث عن وحدة الأمّة الإسلاميّة وكيف أنّه قد تعرّض للغدر والخِداع من قبل مصطفى كمال أتاتورك وذلك باعتباره تركي الأصل لكن علاقته بالأتراك ليست من باب صلة الرّحم وإنّما صلة بالله سبحانه وتعالى.

2 ـ موقفه من الحجّ:

يعتبر أحمد شوقي من الشّعراء الإحيائيّين التّقليديّين الذين تأثّروا بكبار الشّعراء العبّاسيّين، ولكونه شاعرًا مسلمًا فقد تميّزت قصائده بالنّزعة الدّينيّة فلقد «وجد شوقي في التّيار الإسلامي معجمًا ثريًّا يستمدّ منه مادّته التّعبيريّة والتّصويريّة/.../ وعلى هذا بدأ البحث طامحًا إلى الوقوف على تلك الملامح الدّينيّة الكثيرة ومدى استجابة قصائده للمؤثّرات الإسلاميّة التي طغت عليها وعلى العصر بصورة عامّة»[3].

والمقصود هنا أنّ أحمد شوقي يستلهم من الدّين موضوعات لنظم أشعاره، ومن الموضوعات الدّينيّة التي نجدها في أشعاره تطرّقه للحجّ والذي هو ركن من أركان الإسلام.

أ ـ تعريف الحجّ:

[1] أحمد شوقي: الشّوقيّات، الصّفحة نفسها.

[2] المصدر نفسه، ص225.

[3] سعاد عبد الوهّاب عبد الكريم: إسلاميّات أحمد شوقي، ص4.

- **لغةً:** وهو «القصد إلى كلّ شيء، فخصّه الشّرع كقصد معيّن ذي شروط معلومة، وقيل أيضًا: الحجّ: القصد والكفّ، وقصد مكّة للنّسك، وهو حاجٌّ وحاججٌ، جمعه حجّاج وحجيج، وحاجّة من حواج.
- **شرعًا:** الحجّ قصد البيت الحرام للتقرّب إلى الله تعالى بأفعال مخصوصة في زمان مخصوص ومكان مخصوص من حج أو عمرة.

وقيل: الحجّ وقوف بعرفة ليلة عاشر ذي الحجّة، وطواف بالبيت سبعًا، وسعيٌّ بين الصّفا والمروة، كذلك على وجه مخصوص»[1].

يُعدّ الحجّ الرّكن الخامس من أركان الإسلام، وهو من أحبّ الأعمال إلى الله سبحانه وتعالى بعد الجهاد في سبيله، لما له من منافع وحكم عظيمة تعود على الإنسان، ويتجلّى ذلك في قوله تعالى:﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (27) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (28) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ الحجّ:27ـ 29.

وقد تحدّث الرّسول صلى الله عليه وسلم عن منافع الحجّ بقوله: (العُمرة إلى العُمرة كفّارة لما بينهما والحجّ المبرور ليس له جزاء إلاّ الجنّة)[2]، وممّا سبق نستنتج أنّ الحجّ وسيلة يتقرّب بها الإنسان من ربّه ويكفّر بها عن ذنوبه ومعاصيه التي ارتكبها، لأنّه يذكّر المسلم بالموت الذي لا محال منه وأيضًا يوم القيامة كما يعمل الحجّ على تحقيق التّوحيد ونشر الخير بين النّاس.

ولقد تحدّث شوقي في ديوانه الشّوقيّات في قصيدتين في هذا الموضوع وهما بعنوان: إلى عرفات، ضجيج الحجيج، حيث نقل لنا في قصيدته الأولى كيفيّة تأدية مناسك الحجّ وصوّر لنا الكعبة بكافّة تفاصيلها، أمّا في قصيدته الثّانية فقد عبّر عن حزنه إزاء ما حدث للحجّاج من قتل ودمار.

---

[1] سعيد بن علي بن وهف القحطاني: مناسك الحج والعمرة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنّة، مكتبة الملك فقد الوطنيّة، الرّياض، السّعوديّة، ط2، 2010م، ص،ص: 8، 9.

[2] أبو الحسن مسلم بن الحجّاج القشيري النيسابوري: صحيح مسلم، ص:983.

فشوقي «لم يصغهما من وحي أدائه للفريضة، وإنّما قالهما من وحي أداة غيره، فكلّ منهما قيل في توديع ذاهب إلى بيت الله الحرام/.../ نستطيع أن نعدّ كلاّ من القصيدتين تعبيرًا عن خواطر الشّاعر الذّاتيّة نحو بيت الله الحرام والمشاعر المقدّسة»[1]، وهنا نرى أنّ الشّاعر أحمد شوقي لم يؤدّ فريضة الحجّ، بل عمل على نقل شعائرها إلينا من خلال وصفه الدّقيق لها.

ب ـ قصيدة "إلى عرفات":

وعند كتابة أحمد شوقي لهاته القصيدة وقع له موقف طريف حين حجّ الخديوي عبّاس حلمي الثّاني، وقد ذكره ابنه حسين شوقي في كتابه "أبي شوقي" الذي قال فيه: «ألم يكن أبي أنانيًّا عندما تخلّى عن الخديوي حين سافر سموّه إلى الحجاز ليؤدّي فريضة الحجّ/.../ وكان أبي كلّما روى هذا الحادث فيما بعد يضحك ملء شدقيه، يقول إنّه أقنع سموّه بأنّه ذاهب معه إلى الحجّ ولكن لمّا بلغ الرّكب الخديوي بنها. اختفى منه أبي، فجعل سموّه يبحث عنه ولكن بدون جدوى/.../ ولمّا عاد سموّه من الحجاز وأخذ يلوم أبي على فعلته. اعتذر هذا قائلاً: كلّ شيء إلاّ ركوب ظهر الجمال يا أفندينا!»[2].

وهذا هو الموقف الذي مرّ به شوقي حينما قرّر أن يحجّ، وهذه من الأدلّة التي تنفي القول أنّ شوقي قد أدّى فريضة الحجّ، لأنّ الخديوي هو من قام بذلك وشوقي عوّض اعتذاره بكتابة قصيدة "إلى عرفات" وأهداها إلى الخديوي ترحيبًا به وليهنّئه بالحجّ، وجاءت القصيدة مطوّلة حيث ذكر فيها مناسك الحجّ إضافة إلى طلب الغفران من الله تعالى على عدم ذهابه لتأدية هذا الواجب الدّيني.

1 ـ دراسة تحليليّة لقصيدة "إلى عرفات":

أ ـ قراءة في عنوان القصيدة:

[1] مصطفى أبو كريشه: من وحي الحجّ في الشّهر الإسلامي الحديث، ، أفريل 2021م.

https ://islamonline.net

[2] حسين شوقي: أبي شوقي، النّهضة المصريّة، القاهرة، مصر،(د،ط)، 1947م، ص،ص:11، 12.

يؤدّي بنا العنوان للوقوف بعرفة والتي تعتبر السنّة السادسة من سنن الحجّ والذي هو فريضة على كلّ مسلم تحقّقت فيه شروط الحجّ، ويؤدى يوم التّاسع من ذي الحجّة وتتلخّص سننه فيما يلي: «النّزول بنمرة إن تيسّر إلى الزّوال، صلاة الظّهر والعصر جمعًا وقصرًا بنمرة يوم عرفة بعد الزّوال، يستقبل القِبلة في وقوفه يوم عرفة، يجعل الجبل بينه وبين القِبلة إن تيسّر وإلاّ فلا حرج، أن يكون على طهارة أثناء دعائه وذكره لله تعالى، يكثر من الدّعاء، والذّكر، والالتجاء إلى الله تعالى، ويرفع يديه في دعائه»[1].

من خلال ما قيل سابقًا نرى أنّ أحمد شوقي قد لخّص لنا سنن الحجّ والعمرة واختصرها في عنوان مصغّر يحمل في طيّاته أفكارًا كثيرةً، وهذا إن دلّ فإنّه يدلّ على الأسلوب المتميّز والفريد لدى شوقي، إذ ركّب عنوانه من شبه جملة (الجار والمجرور) حيث يحيلنا حرف الجرّ "إلى" على انتهاء الغاية المكانيّة، أي تدلّ على مكّة التي ذهب لها الخديوي بغرض الحجّ وهنا الشّاعر من خلال شبه الجملة التي استخدمها ساعد على إبراز المعنى المراد توضيحه وهو ذهاب الخديوي لتأدية فريضة الحجّ.

ب ـ قراءة في أبيات القصيدة:

استهلّ شوقي قصيدته بتحيّة الإسلام لكلّ من زار عرفات ثمّ انتقل إلى وصف الأماكن التي يتردّد إليها الحجّاج، منها الكعبة الشّريفة وبئر زمزم ومكان رمي الجمرات ... وبعدها تحدّث عن النّاس وعلى أنّهم سواسية لا فرق بينهم من ناحية اللّون والجنس، فالدّين جمعهم في بيت واحد واصطفاهم من كافّة أقطار العالم نحو بيته الطّاهر.

وبعدها أخذ الشّاعر يتضرّع لله تعالى متسائلاً متعجّبًا حول ما إذا كان مجبرًا على أداء فريضة الحجّ، وإن كان كذلك فهو لم يرتكب تلك الذّنوب التي تستحق محوها بالحجّ. فشوقي يقول أنّ خير بديل للحجّ هو الزّكاة ثمّ يطلب الصّفح والغفران فيقول أنّه كان شديد الحرص على عدم ظُلمه لأحد متّبعًا في ذلك عيسى ابن مريم الذي عادته النّاس ولم يردّ عليهم بالمثل.

ولم تخلُ قصيدة شوقي من النّصح والإرشاد إذ نصح النّاس بعدم الغرور فهو ليس من شيم المسلمين، ثمّ أكمل وصفه للمكان الذي وُلد فيه خير الأنام صلّى الله عليه وسلم

[1] سعيد بن علي بن وهف القحطاني: مناسك الحجّ والعمرة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنّة، ص329.

وبعدها انتقل إلى قبره المنوّر الذي أفاض عيونه بالدّموع، فشكا الشّاعر حال الأمّة وما آلت إليه من بعده من ضعف ووهن وكيف أنّهم أصبحوا في سُبات عميق، وفي النّهاية ختم قصيدته بالدّعاء لأمّة نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم.

2 ـ اللغة الشّعريّة في قصيدة "إلى عرفات":

نرى أنّ أحمد شوقي قد استخدم لغة جزلة مألوفة وذلك لإيصال المعنى للمتلقّي والتّأثير فيه، ف«شوقي محافظ في دينه ولغته وفنّه، يكثر التّرديد لأسماء الأنبياء والخُلقاء والكتب المنزّلة، والأماكن المقدّسة ويؤثر النّسج على منوال الفحول من شعراء بني عبّاس، والنّظم في البحور الطّويلة. وقلّما ينظم في الأوزان المستحدثة أو ينوّع القافية في القصيدة»[1].

والملاحظ هنا أنّ لغة شوقي مستمدّة من مدرسته الكلاسيكيّة الإحيائيّة، «أمّا معانيه فكثيرها مخلوق وقليلها مطروق. وأمّا ألفاظه فأنماط من القول تختلف مادّةً وصنعًا باختلاف المواقف»[2]. وهكذا فشوقي قد أجاد انتقاء الألفاظ التي تناسب فحوى قصيدة "إلى عرفات".

3 ـ المعجم الشّعري: لكلّ شاعر عالمه الخاصّ، به يتفرّد بشعره عن غيره وذلك عن طريق الانتقاء الجيّد للألفاظ المُستخدمة في قصائده والموضوعات التي يعالجها من خلالها «الشّعر بناء، والكلمات ليست إلا لبِنات هذا البناء/.../ وبقدر ما يبرع الشّاعر في تعامله مع الكلمات يكون حظه من الفنّ والشّاعرية ويحكم له أو عليه على هذا الأساس»[3]، ومن هذا المنطلق يكون المعجم الشّعري مهمًّا عند الشّعراء إذ يؤدّي بهم إلى الرّقي أو العكس تمامًا ومن بين الحقول الدّلاليّة التي استخدمها الشّاعر حول الدّين والأعلام....

ـ **حقل الدّين:** عرفات، الله، الحجاز، ملائك، جبريل الأمين، الكعبة، الأجر، الرّحمات، زمزم، الكوثر، الجمرات، الدّين، الحجيج، الصلاة، ربّ، الطّاعة، الزّكاة، العفو، رسول الله، أصحاب الكهف، السّنة.....

---

[1] أحمد حسين الزيّات: تاريخ الأدب العربي (للمدارس الثّانويّة والعليا)، دار النهضة، القاهرة، مصر،(د،ط)،(د،ت)، ص:502.

[2] المرجع نفسه، ص:502.

[3] يحيى معروف و بهنام باقري: <المعجم الشّعري عند يحيى السّماوي ديوان"نقوش على جذع نخلة"نموذجا>، مجلّة اللغة العربيّة وآدابها، ع2 صيف1436هـ، جامعة الرّازي، إيران، ص333.

ـ **حقل الأعلام:** إبليس، طه، صالح، ابن مريم (عيسى)، محمد، أحمد ....

نلاحظ أنّ أحمد شوقي قد وظّف الألفاظ الدّينيّة التي تناسبت وموضوع القصيدة إلى جانب ذكره للأعلام البارزة في الدّين. وهي في معظمها ذات علاقة بالأماكن المقدّسة التي يقف عندها الحجيج مستلهمين من قدسيّتها المعنى الحقيقي للحجّ. وفي ذكر الأعلام كان حضور الأنبياء علامة بارزة في القصيدة.

4 ـ الأساليب الإنشائيّة الطّلبيّة: لقد استخدم شوقي الأساليب الإنشائيّة بكثرة في قصيدته ومن أبرز هذه الأساليب: النّداء، الأمر، الاستفهام ...

أ ـ النّداء:

ـ **لغةً:** «النِّداء والنُّداء: الصّوت مثل الدُّعاء والرُّغاء وقد ناداه ونادى به ونادَاهُ مُناداةً ونِداء أي صاح به. وأندى الرّجل إذا حسن صوته»[1].

ـ **اصطلاحاً:** «هو طلب المتكلّم إقبال المخاطب عليه بحرف نائب مناب (أنادي) المنقول من الخبر إلى الإنشاء، وأدواته ثمانية: الهمزة. وأيّ. ويا. وآ. وآيْ. وأيا. وهيا. ووا وهي في الاستعمال نوعان: الهمزة وأيّ لنداء القريب وباقي الأدوات لنداء البعيد»[2].

ولقد لاحظنا أنّ شوقي قد استخدم النّداء في قصيدته فهو أداة لإطالة نفس القصيدة الدّاخليّة، و من بين أمثلته نذكر قوله،(الطّويل):

وَيا رَبِّ لَو سَخَّرتَ ناقَةَ صالِحٍ ... لِعَبدِكَ ما كانَت مِنَ السَلِساتِ
وَيا رَبِّ هَل سَيّارَةٌ أَو مَطارَةٌ ... فَيَدنو بَعيدُ البيدِ وَالفَلَواتِ
وَيا رَبِّ هَل تُغني عَنِ العَبدِ حَجَّةٌ ... وَفي العُمرِ ما فيهِ مِنَ الهَفَواتِ[3]

وهنا نرى أنّ شوقي قد استخدم النّداء وغرضه هنا الالتماس والابتهال.

---

[1] أبو الفضل جمال الدّين محمد ين مكرم ابن منظور: لسان العرب، مج: 14، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 2004م، مادّة(ندي)، ص 227.

[2] أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة(في المعاني والبيان والبديع)، تد: يوسف الصميلي، المكتبة العصريّة، بيروت، لبنان، (د،ط)،(د،ت)، ص89.

[3] أحمد شوقي: الشّوقيّات، ص137.

ب ـ الأمر:

ـ **لغةً:** «الأمرُ: معروف، نقيض النّهي. أمرهُ به وأمره؛الأخيرة عن كراع؛ وأمرهُ إِياه، على حذف الحرف، يأمره أمرًا وإمارًا فأْتمر أي قبل أمرهُ»[1].

ـ **اصطلاحًا:** وللجملة الأمريّة أربع صيغ وهي أن يكون فعل أمر ظاهرًا، أو أن يكون فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، أو قد يكون اسم فعل أمر، أو أن يكون المصدر نائبًا عن فعل الأمر، هذه الحالات الطّبيعيّة له ولكن في بعض الأحيان تخرج صيغ الأمر عن معناها الأصلي إلى معانٍ أخرى، تفهم من سياق الكلام مثل: الدّعاء، والالتماس، والإرشاد،والتّهديد،والتّعجيز، والتّمني، والتّأدّب والتّعجّب وغيرها[2].

لقد استعمل الشّاعر أسلوب الأمر كثيرًا في قصيدته، ومن أمثلة ذلك:

قول شوقي:

فَقُل لِرَسولِ اللَهِ يا خَيرَ مُرسَلٍ أَبُنُّكَ ما تَدري مِنَ الحَسَراتِ[3]

ونلاحظ هنا أنّ الشاعر وهو يخاطب مولاه الخديوي يستعمل خطابا يليق بمقام سموّه، لذا كان الأمر يخرج إلى معنى الالتماس والنّصح.

ويقول أيضًا:

فَقُل رَبِّ وَفِّق لِلعَظائِمِ أُمَّتي وَزَيِّن لَها الأَفعالَ وَالعَزَماتِ[4]

والشّاعر هنا يدعو الله متضرّعا أن يهدي أمّته ويوفّقهم ويهديهم طريق الرّشاد.

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، مج1، مادّة(أمر)، ص: 149.

[2] ينظر: أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة(في المعاني والبيان والبديع)، ص،ص: 71، 72.

[3] أحمد شوقي: الشّوقيّات، ص136.

[4] المصدر نفسه، ص137.

إنّ افتتاح شوقي قصائده بأسلوب الأمر وعلى طريقة القدامى جامعًا القديم والحديث يعطيه الأفضليّة من بين جميع الشّعراء. وللأمر علاقة بالدّعاء الذي هو الوسيلة التي يتضرع بها العبد إلى ربّه، حيث أكّد العلماء أنّ الدّعاء هو مخ العبادة وبه يحقّق المسلم الرّاحة والطّمأنينة.

ج ـ الاستفهام:

ـ لغةً: «أفهمهُ الأمر وفهّمهُ إيّاه: جعله يفهمه. واستفهمه سأله أن يُفهِّمهُ. وقد استفهمني الشّيء فأفهمتُه، وفهّمتُه تفهيمًا»[1].

ـ **اصطلاحًا:** «الاستفهام هو طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا من قبل وذلك بأداة من إحدى أدواته وهي: الهمزة. وهل. وما. ومن. ومتى. وأيّان. وكيف. وأين. وأنّى. وكم. وأيّ»[2].

امتطى شوقي أسلوب الاستفهام في قصيدته معبّرًا بها عن أحاسيسه وأمانيه، فنراه قد استخدم حرف الاستفهام (هل) في قوله:

وَيـا رَبِّ **هَل** سَيّـــارَةٌ أَو مَطــارَةٌ فَيَدنو بَعيدُ البيـــدِ وَالفَلَـــواتِ
وَيا رَبِّ **هَل** تُغني عَنِ العَبدِ حَجَّةٌ وَفي العُمرِ ما فيهِ مِنَ الهَفَواتِ[3]

نرى من خلال الأبيات أنّ الشّاعر قد وظّف الاستفهام هنا للدّلالة على الحسرة لعدم أدائه لفريضة الحجّ، متسائلاً في تمنٍّ حول ما إذا كانت الحجّة ستكفّر عن ذنوبه وأخطائه التي ارتكبها.

ـ الصّور الشّعريّة: هي «تشكيل لغوي، يكوّنها خيال الفنّان من معطيات متعدّدة

[1] ابن منظور: لسان العرب، مج11، مادّة(فهم)، ص235.
[2] أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة(في المعاني والبيان والبديع)، ص78.
[3] أحمد شوقي: الشّوقيّات، ص163.

يقف العالم المحسوس في مقدّمتها»[1].

أمّا الصّورة عند أحمد شوقي فيقول عنها شوقي ضيف «وهذه الخِصلة الموسيقيّة في شعره تسندها عنده خصلة التّصوير البارع؛ إذ كان يعرف كيف يفيد من كنوز التّشبيهات والاستعارات القديمة، ولم يكن يكتفي بذلك؛ بل كان يضيف إلى هذا الاستغلال للقديم كثيرًا من الأخيلة الحالمة. ويتّضح ذلك في جوانب كثيرة من شعره»[2] .

والمقصود من هذا القول أنّ أحمد شوقي قد أجاد استخدام التّراث القديم من تشبيهات وصور وأضاف له من معرفته الخاصّة لكي يتميّز بشعره ويرتقي به من بين جميع شعراء عصره.

5 ـ الصّور البيانيّة: و هي ما يعبّر به الشّاعر عن مكنوناته الدّاخليّة وتجاربه الخاصّة عن طريق اللغة التي تلامس نفسيّة المتلقّي وتؤثّر فيه، وذلك عن طريق استخدام الشّاعر للكناية، والتّشبيه، والاستعارة، والمجاز...

أ ـ التّشبيه: هو فنٌّ من فنون الكلام، يصوّر لنا الأحاسيس والمشاعر وينقلها كأنّها ملموسة. فالتّشبيه هو «ضروب كثيرة قد اتّسع في تفصيلها قول أهل المعاني والبيان. وهو عندهم: الدّلالة على مشاركة أمرٍ لأمر في معنى. وعند أهل البديع: العقد على أنّ أحد الشّيئين يسُدُّ مسدّ الآخر»[3].

لقد تعدّدت التّشبيهات عند أحمد شوقي في قصيدته "إلى عرفات" فمزج منها ما يراه وكيف ما يشاء، ولقد برع في ذلك لما يملكه من إبداع وحسن تصويري بهدف إيصال مشاعره للمتلقّي ومن بين التّشبيهات التي ذكرها:

---

[1] علي البطل: الصّورة في الشّعر العربي(حتى آخر القرن الثاني الهجري دراسة في أصولها وتطورّها)، دار الأندلس، ط2، 1981، ص30.

[2] شوقي ضيف: الأدب العربي المعاصر في مصر، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط13،(د،ت)، ص115.

[3] صفي الدّين الحلي: شرح الكافية البديعيّة(في علوم البلاغة ومحاسن البديع)، تح: نسيب نشاري، دار صادر، بيروت، لبنان، ط2، 1992م، ص184.

مُنوِّرةٌ كالبدر شمَّـــاءُ كالسُّها وتُخفَض في حقٍّ وعندَ صــلاةِ[1]

كان أحمد شوقي تقليديًّا في تشبيهاته فهنا نراه شبّه الكعبة بالبدر والسُّها في ضيائه وجماله وهنا استخدم التّشبيه المجمل حيث حذف منه وجه الشّبه وهو الضّياء أو النّور، وغرضه من ذلك زيادة المعنى قوّةً ووضوحًا من خلال التّأثير في نفسيّة القارئ وجذب انتباهه.

ورَكبٍ كإقبالِ الزمانِ مُحجَّلٍ كريمِ الحواشــي كابرِ الخطواتِ[2]

وهنا عمد شوقي إلى استخدام التّشبيه التّام، فقد شبّه الحجيج في توافده على البقاع المقدّسة بالزّمان ذي العلامات المميّزة لهذا الوفد من الحجيج، فكان مضيئا،كريم الحواشي وهو ما يجعل ركب الخديوي ذا منزلة عالية.

شعوبكُ في شرقِ البلادِ وغربِها كأصحابِ كهفٍ في عميقِ سُباتِ[3]

صوّر لنا شوقي هنا حال الأمّة الإسلاميّة وكيف أنّ نومهم قد طال فقد شبّههم بأصحاب الكهف الذين عاشوا في سبات عميق وهم في غفلة عمّا يجري حولهم، وهنا جاء التّشبيه لذمّ المسلمين لما آل بهم.

كان شوقي من الشّعراء الذين ينتقون ألفاظهم ومعانيهم بما يلائم حالته النّفسيّة، مستخدمًا في ذلك الصّور البيانيّة من تشبيهات وغيرها، ناقلاً لنا الصّور الصّحيحة المعبّرة عن الواقع بنبرة حزينة ومتحسّرة متمنّيًا في النّهاية وراجيًا من الله أن يوقظ الأمّة الإسلاميّة من غفلتها ويعيدها إلى الطّريق السّوي.

6 ـ الموسيقى:

عُرف الشّعر القديم بأنّه شعر غنائي ويرتكز على الموسيقى الدّاخليّة والخارجيّة أساسًا «والرّوعة في الموسيقى تقترن بحلاوة وعذوبة لا تُعرف في عصرنا لغير شوقي، وربّما كانت آيته الكبرى في صناعته، فأنت مهما اختلفت معه في تقدير شعره، لا تسمعه حتّى ترهف له أذنك، وحتّى تشعر كأنّما يُحدث فيها ثقوبًا، هي ثقوب الصّوت الصّافي الذي تهدر به المياه بين الصّخور، والصّوت يعلو تارةً فيشبه زئير البحار حين تهيج، وينخفض تارةً

[1] أحمد شوقي: الشّوقيّات، ص135.

[2] المصدر نفسه، ص 136.

[3] المصدر نفسه ، 136.

فيشبه قطرات الفضّة التي تسقط من مجاديف الزّوارق، وهي تجري سابحة على صفحة النّيل»[1].

لذلك نرى أنّ شوقي يمتلك القدرة على استخراج الأجراس الموسيقيّة من العبارات التي يستخدمها، لذلك نرى أنّ المتلقي يُطرب عند سماعه لقصائده كأنّما يستمع إلى سمفونيّة.

أ ـ **الموسيقى الخارجيّة:** وهي ما يتشكّل من إيقاع خارجي للقصيدة متمثّلاً في الوزن والقافية.

ـ **الوزن:** يعتبر الوزن من أعظم أركان الشّعر، وهو يختصّ بالبحور الشّعريّة متضمّنًا بذلك القافية وهذا حسب تعريف ابن رشيق القيرواني في كتابه العمدة.

والملاحظ أنّ شوقي قد نظم قصائده على أوزان الخليل بن أحمد الفراهيدي، وفي قصيدته "إلى عرفات" عمد فيها استخدام البحر الطّويل الذي تفعيلاته:

فعُولُنْ مفاعِيلُنْ فعُولُنْ مفاعِيلُنْ فعُولُنْ مفاعِيلُنْ فعُولُنْ مفاعِيلُنْ

ومثال ذلك قوله:

إلى عرفاتِ الله يا خيرَ زائرٍ عليك سلامُ الله في عرفاتِ[2]

إِلى عرفاتِ لْلّهِ يا خيْر زائِرِنْ عليْك سلامُ لْلّهِ فِيْ عرفاتِيْ

0//0//0/0//0/0/0///0// 0/0///0//0/0/0///0//

فعُول مفاعِيلُنْ فعُولُنْ مفاعِلُنْ فعُولْ مفاعِيْلُنْ فعُولْ مفاعِيْ

اضطرّ الشّاعر إلى استخدام الزّحافات والعلل للضّرورة الشّعريّة، ومن بين الزّحافات التي استخدمها: القبض:«وهو ثاني زحاف يعتري خامس التّفعيلة وهو حذف الخامس السّاكن»[3] زحاف يجري مجرى العلّة في عروض هذا البحر لذا وردت كلّ أعاريض هذه الأبيات مقبوضة. والعلل التي استخدمها: الحذف: وهو «عبارة عن إسقاط السّبب الخفيف

[1] شوقي ضيف: شوقي شاعر العصر الحديث، ص44.

[2] أحمد شوقي: الشّوقيّات، ص 135.

[3] أحمد كشك: الزّحاف والعلّة (رؤية في التجّريد والأصوات والإيقاع)، مكتبة النّهضة المصريّة، القاهرة، مصر، (د،ط)، (د،ت)، ص:27.

من آخر جزء»[1].

فعُولُنْ ـــــ فعُولْ.

مفاعِيلُنْ ـــ مفاعِيْ ـــ فعُوْلُنْ.

ـ القافية:

ـ لغةً: « قال أبو عبيد: يعني بالقافية القفا. ويقولون القفنُّ في موضع القفا، وقال: هي قافيّة الرأس .وقافية كلّ شيء: آخره، ومنه قافية بيت الشّعر»[2].

ـ اصطلاحًا: هي ذلك المقطع الصّوتي عند نهاية البيت الأوّل من القصيدة والمكرّر في كلّ بيت. يعرّفها إبراهيم أنيس: «ليست القافية إلاّ عدّة أصوات تتكوّن في أواخر الأشطر أو الأبيات من القصيدة، وتكرّرها هذا يكون جزءًا هامًّا من الموسيقى الشّعريّة، فهي بمثابة الفواصل الموسيقيّة يتوقّع السّامع تردّدها ويستمتع بمثل هذا التّردّد الذي يطرق الآذان في فترات زمنيّة منتظمة وبعد عددٍ معيّنٍ من مقاطع ذات نظام خاصّ يسمّى الوزن»[3].

اعتمد شوقي في نظمه لقصيدته على رويّ واحد وهو التّاء (ت)، وقد جاء في معجم الوسيط أنّه «(التاء) الحرف الثّالث من حروف الهجاء، وهو مهموس شديد؛ ومخرجه طرف اللّسان وأصول الثّنايا العليا»[4]، والمقصود هنا أنّ شوقي استخدم التّاء المهموسة للتّعبير عن الحزن والأسى وهذا راجع لندمه على عدم ذهابه لأداء فريضة الحج.

ومن أمثلة ذلك: عرفات، رُفات، صلاة، الرّحمات، الحجرات، سبات، حياة، الظّلمات..... من خلال ما ذكرناه نلاحظ أنّ شوقي عمد إلى اختيار القافية التي تتلائم والجوّ النّفسي الذي يعيشه.

---

[1] أحمد كشك: الزّحاف والعلّة (رؤية في التجّريد والأصوات والإيقاع)، ص39.

[2] ابن منظور: لسان العرب، مج: 12، (مادّة قفا)، ص165.

[3] إبراهيم أنيس: موسيقى الشّعر، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، مصر، ط2، 1952م، ص244.

[4] إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ج1، تح: إبراهيم مدكور، المكتبة الإسلاميّة، القاهرة، مصر، ط2، 1972م، ص80.

والقافية آخر ساكنين قبلهما متحرّك يحدث عبر قصائد شوقي نغما تستحسنه الأذن ومثالها:

إلى عرفاتِ الله يا خيرَ زائرٍ عليك سلامُ الله في عرفاتِ[1]

إِلى عرفاتِ لْلّهِ يا خيْر زائِرِنْ عليْك سلامُ لْلّهِ فِيْ عرفاتِيْ

0//0//0/0//0/0/0///0// 0/0///0//0/0/0///0//

فعُول مفاعِيلُنْ فعُولُنْ مفاعِلُنْ فعُولْ مفاعِيْلُنْ فعُولْ مفاعِيْ

والقافية هي: فاتيْ، ماتيْ، كاتيْ، حاتيْ...

ب ـ الموسيقى الدّاخليّة:

هي تلك المهارة التي يملكها الشّاعر من لغة وأسلوب وقوّة في الألفاظ التي تمكّنه من بثّ الموسيقى الدّاخليّة في قصائده، وتتمثّل في الطّباق والمقابلة والتّكرار والجناس...

ـ **التّكرار:**

ـ **لغةً:** «كرّ عليه يكرّ كرًّا وكرورًا وتِكرارًا: عطف. وكرّ عنه: رجع، وكرّ على العدو يكُرُّ؛ ورجل كرّار ومِكر، وكذلك الفرس: وكرّر الشيء وكركره: أعاده مرّة بعد أخرى. والكرّة: المرّة، والجمع الكرّات. ويقال: كرّرتُ عليه الحديث وكركرته إذا رددتّه عليه»[2].

ـ **اصطلاحًا:** والمعنى الاصطلاحي ليس ببعيد عن اللّغوي فالتّكرار هو إعادة الشيء مرّة تلو الأخرى.

ويعرّفه إبراهيم أنيس أنّه «تكرار الحروف ليس بالقبيح إلاّ حين يبالغ فيه، وحين يقع في مواضع من الكلمات يجعل النّطق بها عسيرًا. فالمهارة هنا تكون في حسن توزيع الحرف

[1] أحمد شوقي: الشّوقيّات، ص 135.

[2] ابن منظور: لسان العرب، مج13، مادّة (كرر)، ص46.

حيث يتكرّر، كما يوّزع الموسيقيّ الماهر النّغمات في نوتته وليس يتأتّى هذا لكلّ شاعر كما لا يكون مع كلّ الحروف»[1].

من أهم ما يميّز شعر شوقي ظاهرة التّكرار حيث نجده يكرّر في البيت الواحد كلمة أو جملة أو حرف، والتّكرار ظاهرة بلاغيّة تأتي غالبًا للمدح أو التّهديد أو الوعيد أو التّوكيد، والشّاعر هنا يستخدمه للتّقريب بين الحقيقة والمجاز فيقول بمناسبة حجّ الخديوي:

إلى **عرفاتِ** الله يا خيرَ زائرٍ عليك سلامُ الله في **عرفاتِ**

وَفي **الكَعبَةِ** الغَرّاءِ رُكنٌ مُرَحِّبٌ بِـ**كَعبَةِ** قُصّادٍ وَرُكنِ عُفاةِ[2]

ونلاحظ هنا أنّ شوقي كرّر لفظتي "عرفات" و"الكعبة" دليل على أنّ الخديوي قد قام بأداء فريضة الحجّ، والتّكرار هنا يجد فيه شوقي لذّة ما بعدها لذّة تذكّرنا بالشّعراء المتيّمين المتعلّقين بالمكان، فيلجأون إلى ذكره مثنًى وثلاثأ ورباعًا ممّ ساعد على تأكيد المعنى وتوضيحه.

ـ تكرار الحروف:

وظّف أحمد شوقي تكرار الحروف في قصيدته حيث «يلعب تكرار الحروف دورًا عظيمًا في الموسيقى اللّفظيّة، فقد تشترك الكلمات في حرف واحد أو أكثر، ويكون لهذا الاشتراك فائدة موسيقيّة عظيمة، وقيمة نغميّة جليلة تؤدّي إلى زيادة ربط الأداء بالمضمون الشّعري»[3] ، والمقصود هنا أنّ التكرار له فاعليّة في بعث نغمٍ موسيقيٍّ في القصيدة.

ومن أمثلة ذلك، يقول شوقي:

وَفي الكَعبَةِ الغراءِ رُكـنٌ مرحِّـبٌ بِكَعبَــةِ قُصّــادٍ وَرُكــنِ عُفـاةِ

وَزَمزَمُ تَجري بَـينَ عَينَيــكَ أَعيُنــاً مِنَ الكَوثَرِ المَعسولِ مُنفَجِراتِ

---

[1] إبراهيم أنيس: موسيقى الشّعر، ص39.

[2] أحمد شوقي: الشّوقيّات، ص 135.

[3] فرحان علي القضاة: القيمة الموسيقيّة للتّكرار في شعر الصّاحب بن عبّاد، جامعة العلوم والتكنولوجيا، 7فبراير2013م، 13:00،

http ://afafdqqhk.blogspot.com

تَساوَوا فَلا الأَنسابُ فيهـا تَفـاوُتٌ لَدَيـكَ وَلا الأَقـدارُ مُختَلِفـاتِ

عَنَت لَكَ في التُربِ المُقَدَّسِ جَبهَةٌ يَدينُ لَها العاتي مِنَ الجَبَهاتِ[1]

نلاحظ هنا أنّ الشّاعر كرّر بعض الحروف مثل: الرّاء والميم والتّاء، ولهذه الحروف دلالة موسيقى تطرب لها الآذان داخل القصيدة «فتحقّق تأثيرًا عقليًّا وجماليًّا ممتعًا، فيبعث السّرور في النّفس، وينقل الفكرة إلى العقل، ويزيّن الشّعر، ويخلق جوًّا من حالة التّأمّل الخيالي، فيسهّل على المرء أنّ يحسّ بمعاني الشّعر، وكأنّها تتحرّك أمام ناظريه في جوٍّ من الجلال الشّعري/.../ فتلج القلب دون عناء»[2].

ساعد تكرار الحروف الشّاعر على أسر القارئ وجذب انتباهه، إذ تعمل على نقل المعنى في صورة واضحة للمتلقّي، فقد عمدت القصيدة على التّكرار الذي أكسبها قيمة صوتيّة وتناغما موسيقيّا جميلا.

ـ مدّ الحروف:

استمدّ شوقي موسيقاه الدّاخليّة من مدّ الحروف «وتتبع الأهميّة الموسيقيّة لهذه الحروف من كونها هي الحروف التي تُفسح المجال لتنوّع النّغمة الموسيقيّة للكلمة الواحدة أو الجملة الواحدة لسِعة امكانتها الصوتيّة ومرونتها»[3].

فنرى أنّ لحروف المدّ دور كبير في إحداث أنغام موسيقيّة تُحدث صدى في نفسيّة المتلقّي، ومن الأمثلة التي استخدمها شوقي نذكر ما يلي:

---

[1] أحمد شوقي: الشّوقيّات، ص،ص:135، 136.

[2] فرحان علي القضاة: القيمة الموسيقيّة للتّكرار في شعر الصّاحب بن عبّاد، http://afafdqqhk.blogspot.com

[3] المرجع نفسه، http://afafdqqhk.blogspot.com

تَساوَوا فَلا الأَنسابُ فيها تَفاوُتٌ لَدَيكَ وَلا الأَقدارُ مُختَلِفاتِ

وَيا رَبِّ لَو سَخَّرتَ ناقَةَ صالِحٍ لِعَبدِكَ ما كانَت مِنَ السَلِساتِ

وَيا رَبِّ هَل سَيّارَةٌ أَو مَطارَةٌ فَيَدنو بَعيدُ البيدِ وَالفَلَواتِ

وَهَذا زَمانٌ أَرضُهُ وَسَماؤُهُ مَجالٌ لِمِقدامٍ كَبيرِ حَياةِ

مَشى فيهِ قَومٌ في السَماءِ وَأَنشَئوا بَوارِجَ في الأَبراجِ مُمتَنِعاتِ[1]

ونلاحظ أنّ أحمد شوقي قد استخدام ألف المدّ « أو ألف الإطلاق/.../ الذي له صلة وثيقة للمعنى، إذ يعبر بذلك عن استمرار أحزانه وامتدادها»[2]، والقصود هنا أنّ الشّاعر قد أكسب الأبيات جرسًا موسيقيًّا إضافة إلى إبراز المعنى الذي أراد إيصاله للقارئ.

3 ـ المدائح النّبوية:

ـ تعريفها:

ظهر هذا النّوع من الشّعر مع مجيء الدّعوة الإسلاميّة، فهو الشّعر الذي ينظمه الشّعراء في مدح سيّد الأنام محمد صلى الله عليه وسلم، ذاكرين صفاته الخَلقِيّة والخُلقِيّة، متمنّين رؤيته وذاكرين كلّ ما حدث في حياته من معجزات وغزوات.... يعرّفه الدّكتور مبارك زكي بقوله «فنّ من فنون الشّعر التي أذاعها التّصوّف، فهي لون من التّعبير عن العواطف الدّينيّة، وباب من الأدب الرّفيع، لأنّها لا تصدر إلاّ عن قلوب مفعمة بالصّدق والإخلاص»[3]، والمقصود هنا أنّ شعر المديح لا يشبه غيره من الأشعار فهو خاصّ وخالص لسيّد خلق الله.

---

[1] أحمد شوقي: الشّوقيّات، ص،ص:135، 136.

[2] فرحان علي القضاة: القيمة الموسيقيّة للتّكرار في شعر الصّاحب بن عبّاد، http://afafdqqhk.blogspot.com

[3] زكي مبارك: المدائح النّبويّة في الأدب العربي، المكتبة العصريّة، بيروت، لبنان، ط1، 1935م، ص17.

ولقد كان المديح على رأس فنون الشّعر قديما وامتدّ إلى ظهور الإسلام ومازال موضوعا حيويا إلى العصر الحديث، حيث نرى أنّ هناك الكثير من الشّعراء كانوا يتغنّون بمدح الرّسول صلى الله عليه وسلم وآل بيته من أمثال: كعب بن زهير، شرف الدّين البوصيري، وأحمد شوقي الذي تفوّق عن غيره من الشّعراء خاصّة في المديح.

أ ـ قصيدة نهج البردة:

1 ـ دراسة تحليلية في قصيدة نهج البردة لأمير الشّعراء أحمد شوقي:

أ ـ قراءة في عنوان القصيدة:

يعدّ كعب بن زهير أوّل من أطلق تسمية البردة على قصيدته وتعود هاته التّسمية نسبة لبردة الرّسول صلى الله عليه وسلم التي وهبها لكعب تقديرا له، والتي اتّخذها البوصيري عنوانا لقصيدته من بعده، ثمّ أتى أحمد شوقي ووضع عنوانه نهج البردة كعتبة لنصّه لجذب المتلقّي محتذيا في ذلك أسلوب سابقيه من الشّعراء، حيث ما زالت البردة تحتلّ المكانة الأولى بين المدائح النّبويّة فأقبل عليها الكثير من الشّعراء ونهجوا نهجها.

تعدّ قصيدة نهج البردة من القصائد التي وضعت ضمن المعارضات الشّعريّة في العصر الحديث، حيث عارض فيها شوقي البوصيري الذي مدح النّبي صلى الله عليه وسلم ومن قبله كعب بن زهير.

كما يمكن الرّبط بين المعارضة الشّعريّة ومصطلح التّناص الذي أتانا من الغرب.

ـ المعارضة الشّعريّة:

يعرّفها محمود رزق سليم فيقول:« والمعارضة أن ينظم الشّاعر قصيدة على نمط قصيدة لشاعر آخر، يتّفق معه في بحرها ورويّها وموضوعها، سواء أكان الشّاعران متعاصرين أو غير متعاصرين»[1].

[1] يونس طركي سلّوم البجّاري: المعارضات في الشّعر الأندلسي(دراسة نقديّة موازنة)، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 2008م، ص:46.

ـ **فالتّناص لغة:** يعرّفه ابن منظور «نصص: النّصُّ: رفعك الشيء. نصّ الحديث ينصّه نصّا: رفعه. وكلّ ما أُظهِر، فقد نُصّ»[1].

ـ **اصطلاحا:** ظهر هذا المصطلح لأوّل مرّة في الغرب على يد جوليا كريستيفا حيث عرّفته قائلة «أنّ كلّ نصّ عبارة عن فسيفساء من الاقتباسات، وكلّ نصّ هو تشرّب وتحويل لنصوص أخرى»[2]، ونرى هنا من خلال قول كريستيفا أنّ النصّ عبارة عن عمليّة وراثيّة لنصوص عدّة، فالنصّ عندها ينبثق من عدّة نصوص. ثمّ تتالى بعدها النّقاد فطوّروا من هذا المصطلح وكلّ جاء بصياغة جديدة واسم جديد من أمثال: جيرار جينات، رولان بارت، ميشال فوكو، ميخائيل باختين... وغيرهم.

رغم أنّ الغرب كانوا السّباقين إلى هذا المصطلح إلاّ أنّ العرب عرفوه منذ القديم بأوصاف أخرى أهمّها: المعارضة، المناقضة، السّرقة، التّضمين، الاقتباس، الأخذ... وقد تجلّت هاته المصطلحات عند كثير من النّقاد العرب من أمثال: محمد بنيس، سعيد يقطين، صلاح فضل.....

اعتمد محمد مفتاح في كتابه تحليل الخطاب الشّعري/ إستراتيجيّة التّناص على دراسات الغرب في تعريفهم للتّناص، ثمّ انتهى بتعريف جامع للمصطلح فهو عنده «تعالق نصوص مع نصّ حدث بكيفيّات مختلفة»،[3] فالتّناص بالنسبة إليه عبارة عن ظاهرة لغويّة مرتكزة على مفاهيم سابقة. يربط محمد مفتاح التّناص بالمفاهيم القديمة وهي «المعارضة والمعارضة السّاخرة والمثاقفة، والتّناص عنده نوعين هما: المحاكاة السّاخرة (النّقيضة)، والمحاكاة المقتدية (المعارضة) وهي الرّكيزة الأساسيّة للتّناص»[4]. وهنا نرى أنّ محمد مفتاح

---

[1] ابن منظور: لسان العرب،مج:14، مادّة(نصص)، ص271.

[2] محمد عزّام: النصّ الغائب تجليات التّناص في الشّعر العربي ـ دراسة ـ ، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، سوريا، (د، ط)، 2001م، ص30.

[3] محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشّعري(إستراتيجيّة التّناص)، المركز الثّقافي العربي، بيروت، لبنان، ط4، 2005م، ص121.

[4] المرجع نفسه،ص122.

قد دمج بين الثّقافتين الغربيّة والعربيّة وهنا صاغ لنا المصطلح الحديث (التّناص) بالاعتماد على التّراث القديم.

ـ **أنواع التّناص:** هناك نوعان للتّناص هما: التّناص المباشر وغير المباشر.

ـ **التّناص المباشر**: ويندرج ضمنه التّناص التّاريخي، والدّيني، والأدبي.

ـ **التّناص التّاريخي:** وهو «تداخل نصوص تاريخيّة مختارة ومنتقاة مع النّص الأصلي /.../ وتؤدي غرضا فكريا أو فنيّا أو كليهما معا»[1]، وهنا نعني أنّ الباحث يأخذ من النّصوص التّاريخيّة أو الوثائق المخصّصة بالتّاريخ ويدمجها في نصّه.

ـ **التّناص الدّيني:** وهو «تداخل نصوص دينيّة مختارة ـ عن طريق الاقتباس أو التّضمين من القرآن الكريم أو الحديث الشّريف أو الخطب أو الأخبار الدّينيّة... ـ مع النّص الأصلي»[2]، وهنا يلجأ الباحث إلى أعظم الكتب المقدّسة وهو القرآن أو الأحاديث الشّريفة، ليؤكد بها صحّة نصّه أو ليزيد من أفكاره قوة وجمالا، من خلال الرّؤية المعمّقة التي يضفيها التّناص الدّيني على النّصوص.

ـ **التّناص الأدبي:** ونعني به «تداخل نصوص أدبيّة مختارة، قديمة وحديثة، شعرا أو نثرا مع النّص الأصلي بحيث تكون منسجمة وموظفة ودالّة قدر الإمكان على الفكرة التي يطرحها المؤلف»[3]، وهنا يعود الباحث إلى التّراث الأدبي القديم أو يأخذ من الحديث، وهذا ما يزيد في نصّه الجديد عمقا وثراءا.

ـ **التّناص غير المباشر**: وهو نوعان:

ـ **تناص الأفكار والمعاني:** وهنا نجد أنّ الأفكار متنوّعة فمنها ما هو غير محدّد، فبعض الأفكار لا تعود لأحد وهذه الأفكار لا تنسب للكاتب أيضا ولكنّها جزء من المفاهيم والقيم التي توصّلت إليها البشريّة عبر تاريخها الطّويل. وهناك أفكار ومعان معروفة الهويّة

---

[1] أحمد الزّعبي: التّناص نظريا وتطبيقيّا، مؤسّسة عمّون، عمّان، الأردن، ط2، 2000م، ص29.

[2] المرجع نفسه، ص37.

[3] المرجع نفسه، ص50.

تعود إلى رؤية محدّدة ومعروفة كالرّؤية الدّينيّة والاجتماعيّة وغيرها ، وهذا ما يساعد على معرفة مصادر الكاتب في نصوصه.[1]

ـ **تناص اللغة والأسلوب:** ويعني « اللّغة أو الأساليب التي تأثّر بها الكاتب واستخدمها من ناحية، أو اللّغة والأساليب التي وظّفها فنيّا أو فكريّا، أي لم يتأثّر بها أسلوبه أو لغته، وإنّما هي مستحضرة موظّفة متناصّة مع نصّه...لغته...أسلوبه الأصلي من ناحية أخرى»[2].

وهنا نرى أنّ الباحث يتأثّر بلغة وأسلوب أحد الشّعراء أو الأدباء، فيأخذ منها أي يناصصها ويدمجها مع نصّه الأصلي لكي يشكّل من نصّه لغة مكثّفة قويّة مؤثّرة وأسلوبا مقنعا.

ب ـ قراءة في مضمون قصيدة "نهج البردة":

تعدّدت الآراء حول سبب نظم شوقي لقصيدته فهناك من يرى أنّه نظمها تذكارا لحجّ الخديوي الذّي لم يصاحبه شوقي إلى البقاع المقدّسة لأداء الفريضة معه فلشدّة ندمه قالها تكفيرا عن ذنبه الذي ارتكبه. وهناك من يقول إنّه قالها حينما « أصيب بمرض عضال ألحّ عليه واحتار الطبّ في هذا الدّاء، فما كان من شوقي إلاّ أن اقتدى بصاحب البردة الإمام البوصيري حينما تشفّع بالرّسول صلى الله عليه وسلم خاشعا ممتثلا طالبا الشّفاء والصحّة، فشفاه الله»[3]، فمن خلال هذه الحادثة غلب على حياته الطّابع الدّيني، حيث نرى في أشعاره الصّدق لابتعاده عن كلّ ما نهى عليه الدّين الحنيف.

وتعدّ قصيدة أحمد شوقي نهج البردة من القصائد الطّوال في المديح النّبوي إذ تتالّف من تسعين ومائة بيت(190بيت) وتقسّم القصيدة إلى خمسة أجزاء:

يبدأ شوقي قصيدته بمقدّمة غزليّة مثله كمثل البوصيري وقبله كعب بن زهير، حيث تناولها شوقي في 24بيت ذاكرا فيها حسن محبوبته، واصفا جمالها وعشقه لها وأنّ حسبها

---

[1] ينظر: أحمد الزّعبي: التّناص نظريّا وتطبيقيّا، ص79.

[2] المرجع نفسه، ص83.

[3] حسن حسين: ثلاثيّة البردة (بردة الرّسول صلى الله عليه وسلم)، مكتبة مدبولي، مصر،(د، ط)، 1987م، ص95.

ونسبها العظيم هو العائق الذي يحول بينهما، ومع ذلك يبقى هناك أمل في وصالها. ثمّ ينتقل بعد ذلك للتّحدّث عن الدّنيا وملذّاتها فهي بمثابة النّفس الأمارة بالسوء .

ويرى الشّاعر أنّ الأخلاق هي سبب صلاح النّفس، فيلجأ للتّضرع لله راجيا منه المغفرة ومتوسّلا للرّسول صلى الله عليه وسلم أن يشفع له يوم القيامة. ثمّ ينتقل شوقي إلى مدح الرّسول صلى الله عليه وسلم في الجزء الثّالث من قصيدته وهو جوهر نهج البردة، ثمّ يعرض لنا علامات نبوّته والبعثة ذاكرا كيفيّة نزول الوحي والمعاناة التي تعرّض لها الرّسول صلى الله عليه وسلم تجاه هذه الرّسالة المحمّديّة.

بعد ذلك يذكر شوقي معجزة النبيّ صلى الله عليه وسلم و هي القرآن الكريم ثمّ ينتقل للتّحدّث عن مولده وعن حال النّاس قبل وبعد البعثة، ثمّ عرج على حادثة الإسراء والمعراج التي تعدّ أعظم رحلة

للرّسول صلى الله عليه وسلم.

خرج الشّاعر عن الغرض المحدّد للقصيدة فمدح الإمام البوصيري في خمسة أبيات «وتعدّ وقفة أمير الشّعراء على مدح البوصيري خروجا على الشّكل الكلاسيكي للقصيدة الدّينيّة إلاّ أنّه ليس مخلاّ بالموضوع العام، وإنّما هو محاولة تجديديّة من قبل شوقي بقصد كسر حدّة الرّتابة»[1]. ثمّ يعود شوقي إلى مدح الرّسول صلى الله عليه وسلم ذاكرا صِفاته الخَلقيّة والخُلُقيّة، متحدّثا عن يُتمِه حيث عُدّت هذه الأبيات من أجود ما كُتب في المديح النّبوي.

ثمّ يوازن شوقي بين محمد وعيسى عليهما السّلام فيعود تارة أخرى إلى الحديث عن جهاده صلى الله عليه وسلم، وينتقل الشّاعر إلى ذكر الشّريعة التي وهبها الله لرسوله الكريم، ثمّ يرجع إلى حال العرب قبل الإسلام وتعطّشهم لشريعة التّوحيد التي أتى بها محمد صلى الله عليه وسلم التي قارن فيها شوقي بينها وبين شرائع الحضارات الأخرى: كحضارة الفرس، وحضارة الإسلام...

[1] حسن حسين: ثلاثيّة البردة (بردة الرّسول صلى الله عليه وسلم)، ص96.

وقارن أيضا بين رجال الحضارات السّالفة والخلفاء الرّاشدين ذاكراً ما واجهوا من تعذيبٍ وتضحياتٍ تجاه الدّعوة المحمديّة. ثمّ يصلّي الشّاعر على الحبيب محمد ويدعو الخلفاء من بعده طالباً الرّحمة لهم، ويُنهي شوقي قصيدته بالدّعاء للأمّة الإسلاميّة بالخير وأن يلطف الله بحالهم ويكرّر ذلك الدّعاء بأن يمنح الله حسن الخاتمة للمسلمين.

2 ـ اللّغة الشّعرية في قصيدة نهج البردة الشوقيّة:

نرى أن أحمد شوقي قد استخدم في قصيدته نهج البردة لغة سهلة وذلك لإيصال كل ما يكتبه للناس وللتّأثير فيهم« فبالنّظر إلى ما احتوته القصيدة من تقديم وتأخير و حذف و إضمار واستعمال للإيقاع المتداخل أو ما يعرف بحسن التقسيم ومن استخدام خاص للعطف و الطباق و المقابلة، و من انتقاء للكلمات بعينها تشعر مع كل هذا بالقوة و السمو»[1].

ومن خلال القول نرى أن أحمد شوقي قد استخدم كافة الأساليب و الطرق لأسر القارئ و جذب انتباهه فلكل شاعر لغة تميزه عن باقي الشعراء،و نرى أن لغته في المدائح النبوية (خاصةً نهج البردة) لغة عربية سليمة محافظة على صورتها الكلاسيكية،فقد عكست القصيدة التراث العربي الأدبي من خلال ثروتها اللّغوية.

وبالتّالي فقد «جاء شوقي والعربية تمعن في أدبارها، حتى أوفت على الزّوال/.../ فتقلصت المعاني و أسف الكلام/.../ وكذا لكم فرق الدّهر بين العرب و لغتهم/.../ نعم لقد تواضعت هذه اللّغة/.../ حتى بعث الله في ديار العربية رجالاً مضوا يبعثون لغتهم بعثاً يجمع بين جديد المعاني في قديم البيان/.../ وفي طليعة هؤلاء: أمير الشّعراء أحمد شوقي بك»[2].

فلقد اختار الشّاعر ألفاظا مناسبة لقصيدة نهج البردة لاحتوائها على معاني كثيرة كلّها تمجيد وحب للرّسول صلّى الله عليه وسلم، فشوقي يتمتع ببراعة في انتقاء الألفاظ المناسبة لأفكاره و بالتالي فإنّه يستقي من الدّين أشعاره.

---

[1] محمد زكي العشماوي:أعلام الأدب العربي الحديث،دار المعرفة،مصر،(د.ط)،2008م،ص26

[2] عباس حسن: المتنبي و شوقي(دراسة ونقد و موازنة):مطبعة مصطفى البابي الحلبي،مصر،ط1951،1م،ص،ص: 423، 424.

ومن هنا نستخلص أن لغة أحمد شوقي لغة ثرية، وألفاظه مختارة بعناية وأسلوبه أصيل كما أنّه مجدد بأفكاره.

3 ـ المُعجم الشّعري: وهذا المعجم هو «ذخيرة الشّاعر وخلاصة تجربته ويمثّل المفتاح الشّعري لعلمه/.../ إذن المعجم الشّعري يعني استخدام الشّاعر لمجموعة مفردات أو تراكيب يشكّل بها بنيته الشّعريّة»[1].

و نهج البردة يجدها تحمل أكثر من حقل دلالي و من بين هذه الحقول:

ـ حقل الدّين: الطّاعات،الغفران، الله، الشّفاعة، الأنبيّاء، الرّسل،رسول الله، الوحي، ذنبي، الخالق، البارئ، التّسابيح، القرآن، الرّحمان، الدّين، الخاشع، أبي بكر، الفاروق، الصّلاة، الصّابرين، العالمين، يارب، التّوحيد، المسلمين، مكة، العرش، التّسنيم، الآيات...

ويعود استعمال الشّاعر لهذه الألفاظ إلى ثقافته الدّينيّة و الحقل الدّلالي الدّيني الّذي أحاط بالقصيدة من جهة أخرى.

ـ **حقل الطّبيعة:**، الرّيم، القاع، البان، العلم، الجؤذر، الأجم، البدور، اللّيث، الفلك الجياد،الإصباح، الورود، الحوت، البدر، الشّهب، السّماء، العنكبوت، الأرض،اللّيل، البحر، الجبال، اللّؤلؤ، الكون، أسد، البرق، التّراب، البرّية، الغاب، غمامة، الغار.

نلاحظ أنّ أحمد شوقي من مُحبّي الطّبيعة وجمالها فنراه متأثرا بها و يذكُرها كثيرًا في قصيدته، وهذا لكي يجعل النّاس يتدبّرون في هذا الكون فالطّبيعة آية من آيات خلق الله.

4 ـ التّناص: ولقد سبق أن عرّفناه وذكرنا أهم الباحثين الّذين تطرّقوا له كما ذكرنا أنواعه ، و من بينه التّناص الدّيني والأدبي الذي وجدناه بكثرة في قصيدة أحمد شوقي.

إنّ أول مظاهر التّناص بين البردة البوصيرية و نهج البُردة الشّوقيّة يتجلّى في الموضوع في حدّ ذاته فكلاهما قام بمدح سيد الخلق محمد صلّى الله عليه وسلم، فالبوصيري

[1] يحيى معروف و بهنام باقري: <المعجم الشّعري عند يحيى السّماوي ديوان"نقوش على جذع نخلة"نموذجا>، ص:334.

مدح النبي صلى الله عليه وسلم للشّفاء الّذي حدث له بسبب الدّاء الّذي أصابه، أمّا أمير الشُّعراء فقد مدح سيد الخلق صلى الله عليه وسلم لمحبته له فهو عمود الدّين.

ولقد أسلفنا الذّكر أنّ القصيدتين قد نُظمتا على بحر واحد وهو بحر البسيط التام المخبون هذا من جهة و من جهة أخرى اشتركت القصيدتان البُردة و نهج البُردة في حرف الرّوي و هو الميم المكسورة. وهذا ما أدّى باشتراكهما في الموسيقى.

ـ التّناص الأدبي:

وسنقوم بذكر الأبيات الّتي تشترك ألفاظها في كلتا القصيدتين مع التّركيز على اللّفظ لا على المعنى.

يقول أحمد شوقي في بداية قصيدته:

رِيمٌ عَلَى الْقَاعِ بَيْنَ **الْبَانِ وَالْعَلَمِ** أَحَلَّ سَفْكَ دَمِي فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ[1]

وقال البوصيري :

. لولا الهوى لم ترق دمعاً على طـللٍ ولا أرقْتَ لـــــذكر **البـــانِ والعَلـــــمِ**[2]

نرى أنّ البيتين يشتركان في لفظتي "البان والعلم" وفي كلتا القصيدتين يدلاّن على الموضع.

يقول شوقي:

يَا لَائِمِي فِي هَوَاهُ — وَ**الْهَوَى** قَدَرٌ— لَوْ شَفَّكَ الْوَجْدُ لَمْ تَعْذِلْ وَلَمْ تَلُمِ[3]

يقول البوصيري:

يا لائمي في الهوى العذري معذرة مني إليك ولو أنصـــفت لـــم تلـمِ[4]

فاللاّئم في الحب هنا هو المخاطب ويمنع من لوم العاشق في عشقه، لأنّ العاشق لا ينصت له، وينصح اللاّئم بأنّ اللّوم لا يؤثّر فيه.

---

[1] أحمد شوقي: الشّوقيات،ص259

[2] البوصيري: الدّيوان،ص: 191.

[3] أحمد شوقي: الشّوقيّات ، ص259.

[4] البوصيري: الدّيوان، ص191.

يقول شوقي:

وَإِنْ تَـقَـدَّمَ ذُو تَـقْـوَى بِـصَـالِـحَــةٍ قَـدَّمْـتُ بَـيْـنَ يَـدَيْـهِ عَـبْـرَةَ **الـنَّـدَمِ**[1]

يقول البوصيري:

واستفرغ الدمع من عين قد امتلأتْ من المحارم والزمْ حمية **النـــــدمِ**[2]

تعتبر النّدامة من الأعمال السيّئة، فعلى المسلم اللّجوء للنّبي صلى الله عليه وسلم للاستغفار وطلب الرحمة من الله كي يمحو زلاّته ويتوب عليه.

يقول شوقي:

فَـأَدْبَـرُوا، وَوُجُـوهُ الْأَرْضِ تَـلْـعَـنُـهُـمْ كَـبَـاطِـلٍ مِـنْ جَـلَالِ الْـحَـقِّ **مُـنْـهَـزِمِ**[3]

يقول البوصيري:

حتى غدا عن طريق الوحي **منهزمٌ** من الشياطين يقــفو إثر **مُنـــــهزمِ**[4]

وهنا نرى أنّ الشاعرين استعملا لفظة "منهزم" في صيغة اسم الفاعل وهي من انهزم أي أنّه مهزوم أو بمعنى مقهور.

ـ **التّناص القرآني:** تتميّز أشعار أحمد شوقي بمفردات ذات بعد ديني وذلك راجع لأنّ الشّاعر يمتلك ثقافة دينيّة واسعة، فالشّاعر يستعمل التّناص القرآني لكي يضفي على أشعاره قيمة فنيّة تجذب انتباه القارئ وتؤثّر فيه.

وبعد قراءتنا لقصيدة نهج البردة وجدنا أنّ أمير الشّعراء أخذ من القرآن الكريم من معانيه وألفاظه ما يناسب قصيدته، ومن أمثلة ذلك:

- قول شوقي:

عَـلَّـقْـتُ مِـنْ مَـدْحِـهِ حَـبْـلًا أُعَـزُّ بِـهِ فِـي يَـوْمِ لَا عِـزَّ بِـالْأَنْـسَـابِ وَاللُّـحَـمِ [5]

وهنا يوجد التّناص مع القرآن الكريم في الشّطر الثاني في قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ**﴾ الشّعراء:88.

---

[1] أحمد شوقي: الشّوقيّات، ص262.

[2] البوصيري: الدّيوان، ص192.

[3] أحمد شوقي: الشّوقيّات، ص266.

[4] البوصيري: الدّيوان، ص195.

[5] أحمد شوقي: الشّوقيّات، ص262.

- وفي موضع آخر يقول شوقي:

جَاءَ النَّبِيُّونَ بِالْآيَاتِ، فَانْصَرَمَتْ ... وَجِئْتَنَا بِحَكِيمٍ غَيْرِ مُنْصَرِمِ
آيَاتُهُ كُلَّمَا طَالَ الْمَدَى جُدُدٌ ... يَزِينُهُنَّ جَلَالُ الْعِتْقِ وَالْقِدَمِ
يَكَادُ فِي لَفْظَةٍ مِنْهُ مُشَرَّفَةٍ ... يُوصِيكَ بِالْحَقِّ، وَالتَّقْوَى، وَبِالرَّحِمِ
يَا أَفْصَحَ النَّاطِقِينَ الضَّادَ قَاطِبَةً ... حَدِيثُكَ الشَّهْدُ عِنْدَ الذَّائِقِ الْفَهِمِ
حَلَّيْتَ مِنْ عَطَلٍ جِيدَ الْبَيَانِ بِهِ ... فِي كُلِّ مُنْتَثِرٍ فِي حُسْنِ مُنْتَظِمِ
بِكُلِّ قَوْلٍ كَرِيمٍ أَنْتَ قَائِلُهُ ... تُحْيِي الْقُلُوبَ، وَتُحْيِي مَيِّتَ الْهِمَمِ [1]

وهنا نلاحظ أنّ الشّاعر قد قارن بين الرّسول صلى الله عليه وسلم ومعجزاته، وبين من سبقه من الرّسل والأنبياء صلوات الله عليهم، وبيّن لهم كيف أنّ آياتهم حُرِّفت على عكس آيات الرّسول التي وعد الله بحفظها في كتابه الشّريف. وتجلّى ذلك التّناص في الآية: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الحجر:9.

- ويقول شوقي أيضا:

أَسْرَى بِكَ اللهُ لَيْلًا، إِذْ مَلَائِكُهُ ... وَالرُّسْلُ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى عَلَى قَدَمِ [2]

وهنا نجد التّناص مع ما قاله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ الإسراء:1.

- ثمّ انتقل إلى قوله:

كَأَنَّ وَجْهَكَ تَحْتَ النَّقْعِ بَدْرُ دُجًى ... يُضِيءُ مُلْتَثِمًا، أَوْ غَيْرَ مُلْتَثِمِ
بَدْرٌ تَطَلَّعَ فِي بَدْرٍ، فَغُرَّتُهُ ... كَغُرَّةِ النَّصْرِ، تَجْلُو دَاجِيَ الظُّلَمِ
ذُكِرْتَ بِالْيُتْمِ فِي الْقُرْآنِ تَكْرِمَةً ... وَقِيمَةُ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ فِي الْيُتُمِ [3]

وهنا شوقي قام بوصف وجه الرّسول صلى الله عليه وسلم وتحدّث عن يُتمِه، وهنا تناص مع قوله تعالى:﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴾ الضّحى:6. وهناك تناص ثانٍ في عجز البيت الأخير مع قوله تعالى:﴿ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾ الواقعة:23.

---

[1] أحمد شوقي: الشّوقيّات، ص264.

[2] المصدر نفسه، ص265.

[3] المصدر نفسه، ص267.

ـ التّناص الحديثي:

استعان أحمد شوقي بالموروث الإسلامي فناصّ أشعاره من الأحاديث النّبويّة الشّريفة والحوادث والشّخصيّات التّاريخيّة التي مرّت عبر تاريخ الإسلام.

- يقول في نهج البردة:

صَـلَاحُ أَمْـرِكَ لِلْأَخْـلَاقِ مَـرْجِـعُـهُ فَقَوِّمِ النَّفْسَ بِالْأَخْـــلَاقِ تَسْــتَقِمِ
وَالنَّفْسُ مِنْ خَيْرِهَا فِي خَيْرِ عَافِيَةٍ وَالنَّفْسُ مِنْ شَرِّهَا فِي مَرْتَـعٍ وَخِــمِ
تَطْـغَى إِذَا مُكِّنَتْ مِنْ لَـذَّةٍ وَهَـوًى طَـغْيَ الْجِيَادِ إِذَا عَضَّتْ عَلَى الشُّكُمِ[1]

نرى من خلال الأبيات أنّ النّفس البشريّة تنجرف نحو ملذّات الدّنيا فالنّفس أمّارة بالسوء، فيحاول الشّاعر هنا تقديم النُّصحِ في قوله: إنّ صلاح الأمر من صلاح الأخلاق والنّفس تستقيم بالأخلاق وهنا تناص مع قول الرّسول صلى الله عليه وسلم: (إنّما بُعِثت لأتمّم مكارِم الأخلاق)[2].

- ويقول أيضا:

خَطَطْتَ لِلدِّينِ وَالدُّنْيَا عُلُومَهُمَا يَا قَارِئَ اللَّوْحِ، بَلْ يَا لَامِسَ الْقَلَمِ
أَحَطْتَ بَيْنَهُمَا بِالسِّرِّ، وَانْكَشَفَتْ لَكَ الْخَزَائِنُ مِنْ عِلْمٍ وَمِنْ حِكَــمِ
وَضَاعَفَ الْقُرْبُ مَا قُلِّدْتَ مِنْ مِنَنٍ بِلَا عِدَادٍ، وَمَا طُوِّقْتَ مِنْ نِعَــمِ[3]

يبيّن شوقي كيف أنّ الرّسول صلى الله عليه وسلم قد استفاد من علوم الدّين والدّنيا في ليلة الإسراء والمِعراج، ويتناصّ مع حديث الرّسول صلى الله عليه وسلم الذي رواه ابن عبّاس رضي الله عنه أنّ الرّسول عليه الصّلاة والسّلام قال: (علّمنِي ربِّي ليلة الإسراء علوماً شتّى فعِلم أخذ على كتمانه وعِلم خيّرني فيه وعِلم أمرني بتبليغه)[4].

- يقول أمير الشّعراء:

اللـهُ قَسَّمَ بَيْـــنَ النَّـــاسِ رِزْقَهُـــمُ وَأَنْتَ خُيِّرْتَ فِي الْأَرْزَاقِ وَالْقِسَــمِ

---

[1] أحمد شوقي: الشّوقيّات، ص،ص:261، 262.

[2] جلال الدّين السيوطي: الجامع الصّغير في أحاديث البشير النّذير،ج1، دار الكتب العلميّة،لبنان،ط4،(د،ت)، ص103.

[3] المصدر السّابق، ص266.

[4] حسن حسين: ثلاثيّة البردة (بردة الرّسول صلى الله عليه وسلم)، ص117.

إِنْ قُلْتَ فِي الْأَمْرِ: لَا، أَوْ قُلْتَ فِيهِ: نَعَمْ نَعَمْ فَخِيرَةُ اللهِ فِي لَا مِنْكَ أَوْ نَعَمِ [1]

والمقصود أنّ الله خيّر الرّسول صلى الله عليه وسلم في رزقه، فالرِّزق مقسوم بين النّاس ولا يختارونه بأنفسهم. وهنا تناص مع الحديث الذي رواه التّرميذي عن الرّسول صلى الله عليه وسلم فقال: (عوّض عليّ ربِّي أن يجعل لي بطحاء مكّة ذهبًا فقلت: لا يا ربِّي ولكن أشبع يومًا فأحمد الله وأجوع يومًا فأذكر الله)[2].

- ويضيف شوقي قائلا:

كَمْ فِي التُّرَابِ إِذَا فَتَّشْتَ عَنْ رَجُلٍ مَنْ مَاتَ بِالْعَهْدِ، أَوْ مَنْ مَاتَ بِالْقَسَمِ

لَوْلَا مَوَاهِبُ فِي بَعْضِ الْأَنَامِ لَمَا تَفَاوَتَ النَّاسُ فِي الْأَقْدَارِ وَالْقِيَمِ[3]

والمقصود هنا الرِّجال الذين وهبوا أنفسهم لنصرة الإسلام، فالنّاس متفاوتون في قدرتهم ودرجتهم في التّقوى. وهنا تناص مع حديث الرّسول صلى الله عليه وسلم: (لا فضل لعربيّ على عجميّ إلاّ بالتّقوى)[4].

- يقول شوقي:

لَمَّا دَعَا الصَّحْبُ يَسْتَسْقُونَ مِنْ ظَمَأٍ فَاضَتْ يَدَاهُ مِنَ التَّسْنِيمِ بِالسَّنِمِ[5]

وهنا ناصّ شوقي بيته من السّيرة النبويّة فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قال: «كنّا نعدّ الآيات بركة وأنتم تعدّونها تخويفًا /.../ كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقلّ الماء/.../ فطلب الرّسول صلى الله عليه وسلم فضلة من ماء، فلمّا جيء بإناء فيه ماء قليل، أدخل الرّسول صلى الله عليه وسلم يده في الإناء، وقال عليه الصّلاة والسّلام: حي على الطّهور المبارك، والبركة من الله، فرأيت الماء ينبع من بين أصابع الرّسول صلى الله عليه وسلم، ولقد كنّا نسمع تسبيح الطّعام وهو يُؤكل»[6].

---

[1] أحمد شوقي: الشّوقيّات، ص267.

[2] جلال الدّين السّيوطي: الجامع الصّغير في أحاديث البشير النّذير، ص59.

[3] المصدر السّابق، ص269.

[4] حسن الحسين: ثلاثيّة البردة (بردة الرّسول صلى الله عليه وسلم)، ص127.

[5] المصدر السّابق، ص263.

[6] محمد جميل زينو: قطوف من الشّمائل المحمديّة، دار الشّهاب، الجزائر، ط3،(د،ت)، ص64.

وهذا سبب قول الشّاعر في عجز بيته: فاضت يداه من التّسنيم بالسّنم.

5 ـ المستوى التّركيبي النّحوي:

ـ **الجملة الفعليّة:** يعرّفها أحمد الهاشمي فيقول «موضوعة لإفادة التّجدّد والتّحديث والحدوث في زمن معيّن مع الاختصار»[1]، ونقصد هنا أنّها تركيب مبدوء بفعل غير ناقص ولها ركنان أساسيّان هما: الفعل والفاعل.

بعد قراءتنا للقصيدة وجدنا أنّ الغلبة للجمل الفعليّة على الاسميّة، لأنّ شوقي كان بصدد الإخبار ومن أمثلة هذه الجمل قوله: أحلّ سفك دمي، رزقت التماس العذر، أسأله عزّ الشّفاعة، أمدحه، اقرأ تعالى الله قارئها، فاق البدور، تحيي القلوب، أتيت والنّاس فوضى، أسرى بك الله ليلاً، بلغت سماء، أوتيت معجزة، جاءوا لسفك دمي...

من خلال هذه الجمل الفعليّة نرى أنّ أحمد شوقي قد لخّص لنا ما ميّز حياة الرّسول صلى الله عليه وسلم من مولده إلى هجرته وجهاده ومعجزاته، وعلاقته بأنصار المسلمين، وصولا إلى ما آلت إليه الأمّة الإسلاميّة في ظلّ الشّريعة، لأنّ الجمل الفعليّة تفيد الاستمرار والتّجدّد شيئا فشيئا وهذا ما ينطبق على سيرة الرّسول صلى الله عليه وسلم.

ـ **الجملة الاسميّة:** يعرّفها عبده الراجحي قائلاً «إذا كانت مبدوءة باسم بدءًا أصيلاً فهي اسميّة /.../ والجملة لابد أن يكون فيها ركنان أساسيّان أو عمدتان يربط بينهما الإسناد وهو من أهمّ المصطلحات النّحويّة»[2]، ويعني هنا أنّ يسند الخبر إلى المبتدأ فيسمّى الأوّل المسند والثّاني المسند إليه.

تأتي الجمل الاسميّة في المرتبة الثّانية في قصيدة شوقي "نهج البردة" ونذكر من بينها: ريم على القاع، الموت بالزّهر مثل الموت بالفحم، محمد صفوة الباري، نوران قاما، حديثك الشّهد، الأرض مملوءة جورا، الخلق يفتك أقواهم بأضعفهم، قدرة الله فوق الشّك، وجوه الأرض تلعنهم، مديحه فيك حبٌّ، شريعة لك فجرت، أحكام الزّمان على حكم لها، القرآن في يده، محيي اللّيالي صلاة، الصّابرين ونفس الأرض واجفة، من يقرّ بحبيب الله يؤتَتِم.

---

[1] أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبديع والبيان، ص66.

[2] عبده الراجحي: التّطبيق النّحوي، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، مصر، ط2، 1998م، ص،ص:83، 84.

نرى من خلال الجمل أنّها تعبّر عن خصال النبيّ الكريم صلوات الله عليه وأزكى التّسليم إضافة إلى أهمّ انجازاته، فالجمل الاسميّة تفيد الثّبات لا الاستمرار.

6ـ الأساليب الإنشائيّة الطلبيّة:

لقد أكثر شوقي من استخدام الأساليب الإنشائيّة في نهج البردة من بينها:

جمل الاستفهام:

الاستفهام بالهمزة:

يَا بِنْتَ ذِي اللِّبَدِ الْمَحْمِيِّ جَانِبُهُ أَلْقَاكِ فِي الْغَابِ، أَمْ أَلْقَاكِ فِي الْأُطُمِ؟[1]

وهنا يفيد الاستفهام الحيرة حيث حذف الشّاعر الأداة وهي الهمزة وأصلها (أألقاك).

الاستفهام ب"هل":

يَا جَاهِلِينَ عَلَى الْهَادِي وَدَعْوَتِهِ هَلْ تَجْهَلُونَ مَكَانَ الصَّادِقِ الْعَلَمِ؟[2]

نوع الاستفهام هنا إنكاري، إذ استنكر على الكفّار شكّهم بمصداقيّة وأمانة الرّسول صلى الله عليه وسلم.

الاستفهام ب"من":

مَنْ فِي الْبَرِيَّةِ كَالْفَارُوقِ مَعْدَلَةً؟ وَكَابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْخَاشِعِ الْحَشِمِ؟[3]

تفيد "من" هنا الاستبعاد، إذ يستبعد الشّاعر أن يكون هناك شخص بعدل وإنصاف الفاروق أو شخص كتديّن وتقوى عمر.

الاستفهام ب"كيف":

يُجَادِلُ الْقَوْمَ مُسْتَلًّا مُهَنَّدَهُ فِي أَعْظَمِ الرُّسْلِ قَدْرًا كَيْفَ لَمْ يَدُمِ؟[4]

وغرض الاستفهام في هذا البيت الإنكار، ذلك أنّ عمر قد أنكر موت الرّسول صلى الله عليه وسلم من شدّة صدمته.

---

[1] أحمد شوقي: الشّوقيّات، ص260.

[2] المصدر نفسه، ص264.

[3] المصدر نفسه، ص271.

[4] المصدر نفسه، ص272.

الاستفهام ب"متى":

وَصَاحِبُ الْحَوْضِ يَوْمَ الرُّسْلُ سَائِلَةٌ مَتَى الْوُرُودُ؟ وَجِبْرِيلُ الْأَمِينُ ظَمِي[1]

تفيد "متى" هنا الاستبطاء، لطول انتظار البشريّة ليوم الحساب.

أ ـ جمل الأمر: لقد استعان الشّاعر بأسلوب الأمر في قصيدته ومن بين أمثلة ذلك نذكر:

دَعْ عَنْكَ رُومَا وَآثِينَا وَمَا حَوَتَا كُلُّ الْيَوَاقِيتِ فِي بَغْدَادَ وَالتُّوَمِ

وَخَلِّ كِسْرَى، وَإِيوَانًا يَدِلُّ بِهِ هَوًى عَلَى أَثَرِ النِّيرَانِ وَالْأُيُمِ[2]

وهنا أسلوب الأمر يحمل في طيّاته النّصح والإرشاد، بأن لا يكون المسلم أنانيّا تجاه رزق غيره.

ب ـ جمل النّداء: وظّف شوقي النّداء في مواضع كثيرة منها:

يَا لَائِمِي فِي هَوَاهُ — وَالْهَوَى قَدَرٌ— لَوْ شَفَّكَ الْوَجْدُ لَمْ تَعْذِلْ وَلَمْ تَلُمِ[3]

والغرض من هذا النّداء هنا الإنكار، إذ يلوم شوقي على لائمه الذي لم يذق مرارة تجربته.

خَطَطْتَ لِلدِّينِ وَالدُّنْيَا عُلُومَهُمَا يَا قَارِئَ اللَّوْحِ، بَلْ يَا لَامِسَ الْقَلَمِ [4]

والنّداء هنا يفيد التّعظيم، إذ يشيد بالرّسول صلى الله عليه وسلم و يمجّده، لدرايته بعلوم الدّين والدّنيا فلا يوجد مثيل له.

يَا رَبِّ أَحْسَنْتَ بَدْءَ الْمُسْلِمِينَ بِهِ فَتَمِّمِ الْفَضْلَ وَامْنَحْ حُسْنَ مُخْتَتَمِ [5]

وقد أفاد أسلوب النّداء هنا الدّعاء والرّجاء من الأمر، حيث دعا الشّاعر الله أن يلطف بالمسلمين ويحسن خاتمتهم.

---

[1] أحمد شوقي: الشّوقيّات، ص262.

[2] المصدر نفسه، ص270.

[3] المصدر نفسه، ص259.

[4] المصدر نفسه، ص266.

[5] المصدر نفسه ، ص273.

ج ـ جمل النّهي: لم يستغني الشّاعر على أسلوب النّهي وإن كان تواجده قليل في القصيدة ومن أمثلته نذكر:

لَا تَـحْفِلِي بِـجَنَـاهَا، أَوْ جِنَايَتِهَا الْمَوْتُ بِالزَّهْرِ مِثْلُ الْمَوْتِ بِالْفَحَمِ [1]

وقد أفاد النّهي هنا تحذير النّفس من الدّنيا وملذّاتها، وغفلته عن يوم الحساب.

لَا تَـعْـذِلُـوهُ إِذَا طَـافَ الـذُّهُولُ بِـهِ مَاتَ الْحَبِيبُ فَضَلَّ الصَّبُّ عَنْ رَغَمِ[2]

الغرض هنا التماس العذر لعمر من أصحابه، وأن يتفهّموا ألم فراق الرّسول صلى الله عليه وسلم.

فَالْطُفْ لِأَجْلِ رَسُولِ الْعَالَمِينَ بِنَا وَلَا تَزِدْ قَـوْمَـهُ خَـسْـفًا وَلَا تَسُمِ [3]

وغرض النّهي هنا الدّعاء والتّضرّع لله بأن لا ينزّل على أمّة محمد صلى الله عليه وسلم العقاب.

من خلال ما سبق ذكره وجدنا أنّ الأسلوب الإنشائي الطّلبي له دور كبير في بناء القصيدة، إذ تحمل دلالات متعدّدة وذالك راجع لعواطف وانفعالات الشّاعر.

7 ـ التّقديم والتّأخير: وهو ظاهرة أدبيّة لغويّة تقوم على كسر القواعد النّحويّة المألوفة، وهذا بغرض خلق أساليب فنيّة وجماليّة في الخطاب الأدبي.

استخدم شوقي التّقديم والتّأخير بكثرة في قصيدته نهج البردة وهذا لكي يضفي عليها جمالاً ورونقًا ومن بين أمثلته نذكر:

يَفْنَـى الزَّمَانُ، وَيَبْقَى مِنْ إِسَاءَتِهَا جُـرْحٌ بِـآدَمَ يَبْكِي مِـنْـهُ فِي الْأَدَمِ[4]

و في هذا البيت نرى أنّ شوقي قدّم شبه الجملة(مِن إساءتها) على الفاعل(جُرحٌ) وهنا الشّاعر يهدف إلى التّذكير بالخطأ الذي فعله كلّ من آدم وحوّاء في الجنّة والذي بسببه خرجا منها، وهذا للتّأكيد على أنّ الخطأ الذي فعلوه لن يزول أبدًا والإساءة بينهما دائمة لا تفنى.

---

[1] أحمد شوقي: الشّوقيّات ، ص261.

[2] المصدر نفسه، ص272.

[3] المصدر نفسه، ص273.

[4] المصدر نفسه ، ص261.

ويقول أيضا:

مَـحَـبَّـةُ اللـهِ أَلْـقَـاهَـا وَهَيْبَتُـهُ عَلَـى ابْنِ آمِـنَـةٍ فِـي كُلِّ مُصْطَدَمِ[1]

ونلاحظ هنا أنّ شوقي قدّم المفعول به(محبة) على الفعل(ألقاها) وهذا لكي يثبت أنّ الله له فضل كبير على رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، وأنّ الله هو القدير الذي وضع في قلوب أنصاره محبة وتقديرا كبيرا له وهذا راجع لبسالته عليه السّلام ورباطة جأشه.

ويضيف قائلا:

بِـالْأَمْسِ مَالَتْ عُرُوشٌ، وَاعْتَلَتْ سُرُرٌ لَوْلَا الْقَذَائِفُ لَمْ تُثْلَمْ، وَلَمْ تُصَمِ[2]

وهنا تقدّمت شبه الجملة (بالأمس) على الفعل(مالت)، فشوقي هنا أعطى الأولويّة لظرف الزّمان ليثبت أنّ الحرب قديمًا كانت تتحكّم في قيام الأنظمة أو سقوطها.

ويقول أيضا:

بِالْحَزْمِ وَالْعَزْمِ حَاطَ الدِّينَ فِي مِحَنٍ أَضَلَّتِ الْحِلْمَ مِنْ كَهْلٍ وَمُحْتَلِمِ[3]

ونرى هنا أنّ الشّاعر قدّم شبه الجملة(بالحزم والعزم) على الفعل(حاط)، وفي هذا البيت أكّد شوقي أنّ صفات أبو بكر الصدّيق من حزم وعزم هي التي كان لها دور بارز في حماية الدّين من المرتدّين عنه.

8 ـ الصّور البيانيّة:

والصّورة البيانيّة عند أمير الشّعراء أحمد شوقي « تشكيل لغويّ يكوّنُها خيال الفنّان من معطيات متعدّدة /.../ وينبغي أن ينظر إليها بوصفها بناءً فنّياً متكاملاً تقوم الاستعارات بدور جزئي في تشكيله، ولكنّه لا يقتصر عليها وحدها»[4].

---

[1] أحمد شوقي:الشّوقيّات، ص267.

[2] المصدر نفسه، ص269.

[3] المصدر نفسه، ص271.

[4] علي البطل: الصُّورة في الشّعر العربي (حتّى آخر القرن الثّاني الهجري دراسة في أصولها وتطوّرها)، ص،ص:30، 31.

ونعني في هذا القول أنّ الصّور البيانيّة تنبثق من إبداع الفنّان انطلاقًا من وصفه للأشياء المحيطة بها،ومن بين الصّور البيانيّة نجد الاستعارات، والتّشبيهات، والكنايات وغيرها

ـ **التّشبيه:** استعان شوقي بالتّشبيه في قصيدته ومن بين أمثلته:

- يقول شوقي:

رِيمٌ عَلَى الْقَاعِ بَيْنَ الْبَانِ وَالْعَلَمِ أَحَلَّ سَفْكَ دَمِي فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ[1]

وهنا التّشبيه بليغ حيث شبّه الشّاعر محبوبته بأجمل الحيوانات وهو الرّيم في جماله ورشاقته، فلشدّة حُبّه له قتلته في الأشهر التي حُرّم فيها القتال فبنظرة من عيني محبوبته أصابت قلبه مثلها كمثل الصيّاد الذي يرمي السّهم لفريسته. وهي صورة مستمدّة من الشّعر القديم ومستمرّة إلى اليوم لقيمة المحبوب والمتشبّه به.

- ويقول أيضا:

لَمَّا خَطَرْتَ بِهِ الْتَفُّوا بِسَيِّدِهِمْ كَالشُّهْبِ بِالْبَدْرِ، أَوْ كَالْجُنْدِ بِالْعَلَمِ[2]

وفي لحظة شعريّة جميلة، استحضر شوقي قصّة الإسراء والمعراج وهي حادثةٌ عظيمة الشّأن وفيها التفّت الملائكة حول الرّسول الأعظم عليه أفضل الصّلاة وأزكى التّسليم، وشبّه هذا المنظر بالشّهب الملتفّة بالبدر لتزيد المشهد جمالاً وبهاءً وسحرًا، ولم يكتفي بذلك، بل جاء بمشبّه به آخر وهو التفاف الجنود بالعلم تقديرًا له واحترامًا وتعظيمًا.

- ويضيف أيضًا:

وَالْخَلْقُ يَفْتِكُ أَقْوَاهُمْ بِأَضْعَفِهِمْ كَاللَّيْثِ بِالْبَهْمِ، أَوْ كَالْحُوتِ بِالْبَلَمِ[3]

ومازال شوقي في لغته التّصويريّة يعتمد التّشبيه وسيلة تعبيريّة لما يختلج في قريحته، وهنا قد أحزنه أمر النّاس وأفجعه تصرّفهم المقيت. فالقويّ يأكل الضّعيف وهذه طبيعة إنسانيّة، وفي مسار بحثه عن المشبّه به وجد أنّ اللّيث أكثر الحيوانات وأقواها فتكًا بالبهائم. والشّيء الذي زاد التّشبيه قوّةً وتوكيدًا وتمكينًا في الذّهن حينما شبّه الخلق بالحوت وهو معروف بأنّه أضخم الحيوانات البحريّة الذي يفتك بالبلم وهو أصغر الأسماك.

---

[1] أحمد شوقي: الشّوقيّات، ص259.

[2] المصدر نفسه، ص265.

[3] المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

نلاحظ أنّ شوقي في لغته التّصويريّة أراد أن يوصل تجربته وإحساسه للآخرين عن طريق استعماله للتّشبيه.

ـ **الكناية:** عرج شوقي في قصيدته على الكناية ومن أمثلتها نذكر:

- قول شوقي:

يَا نَاعِسَ الطَّرْفِ لَا ذُقْتَ الْهَوَى أَبَدًا أَسْهَرْتَ مُضْنَاكَ فِي حِفْظِ الْهَوَى فَنَمِ[1]

وفي هذا البيت، يظهر شوقي متمكّنًا من بلاغة القول، فبدل التّصريح التجأ إلى التّلميح والكناية الجميلة في قوله: يا ناعس الطّرف وهنا إشارة إلى محبوبته الجميلة والتي عدّد لنا بعضًا من صفاتها من خلال حديثه عن جمال عيونها، ولطالما كانت العيون أوّل ما يلفت الانتباه عند جنس الرّجال. فهي السّحر الذي يوقع النّاظرين في شباك المرأة وجمالها إنّها تجمع بين المعنى الحقيقي والمعنى الكنائي.

ثمّ تحدّث عن حبّه لها وشبّه عشقه لها بالمرض الذي أثقل كاهله، كما أنّه دعا عليها ألاّ تتذوّق ذلك الحبّ الذي أضناه، وأن تنام قريرة العينين لما يحدثه الحبّ من ألم وحزن ويؤدي إلى أمراض لا يوجد لها دواء.

- ويقول أيضا:

الْمَادِحُونَ وَأَرْبَابُ الْهَوَى تَبَعٌ لِصَاحِبِ الْبُرْدَةِ الْفَيْحَاءِ ذِي الْقَدَمِ[2]

وهنا شوقي ذكر صاحب البردة والمعروف أنّه كعب بن زهير الذي منحه الرّسول عليه الصّلاة والسلاّم بردته حين مدحه، وهذا إن دلّ فإنّه يدلّ على إعجاب النبيّ الكريم بالقصيدة. ومن هذا المنطلق تهافت الشّعراء والذين جاءوا من بعد كعب واحتذو به، وهذا كي ينافسوه في مدح أعظم خلق الله لذا فضّل شوقي التّعبير الكنائي غير التّصريح ليكون أبلغ في نقل تصوّراته.

ـ **الإستعارة:** لم يكتفي شوقي بالتّشبيهات والكنايات بل تعدّاها إلى استخدامه للاستعارات أيضا وبنوعيها المكنيّة والتّصريحيّة وسنأتي على ذكر بعض منها:

---

[1] أحمد شوقي: الشّوقيّات، ص 259.

[2] المصدر نفسه ، ص 266.

مَهْمَا دُعِيتَ إِلَى الْهَيْجَاءِ قُمْتَ لَهَا تَرْمِي بِأُسْدٍ وَيَرْمِي اللهُ بِالرُّجُمِ[1]

ونوع الاستعارة هنا تصريحيّة حيث شبّه الشّاعر أصحاب الرّسول صلى الله عليه وسلم بالأسود في بسالتهم، فقد دعاهم للحرب معه فكانوا سندًا له. والحقيقة أنّ لا علاقة لأصحاب الرّسول صلى الله عليه وسلم بالأسود، فالعلاقة هنا مجازيّة، لذا كانت لغته قائمة على الانزياح أو ما يسمّى العدول

فجاءت لغته ـ بهذه الصّيغة ـ غير مألوفة وهنا يكمن سرّ عظمة الشّعر.

فالعلاقة بين طرفي الاستعارة قائمة بين محسوس ومحسوس مع العلم أنّ «الاستعارة الشّعريّة عبور من اللغة الإشاريّة إلى اللغة الإيحائيّة، عبور تمّ من خلال استدارة كلام فقد معناه في المستوى اللّغوي، لكي يعثر عليها في المستوى الثّاني»[2].

9 ـ الموسيقى:

لقد كانت الموسيقى في نهج البردة من أطرب الخصال الفنيّة، فقد تألّفت من ألحان رائعة تطربنا بمجرّد سماعنا لأبياتها. فشوقي خُلِق موسيقيًّا ذا أذن رنّانة فلو لم يكن شاعرًا لكان مغنِّيًا أو موسيقيًّا من الطِّراز الأوّل[3].

أ ـ الموسيقى الخارجيّة:

ـ الوزن:

رِيمٌ عَلَى الْقَاعِ بَيْنَ الْبَانِ وَالْعَلَمِ أَحَلَّ سَفْكَ دَمِي فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ[4]

رِيمُـنْ علـــلْقاعِ بيْن لْبانِ ولْعـلمِي أحلْل سفْك دمي فِـــلْأشْـــهُرِ لْحُـرُمِي

/0//0/ /0/ /0 /0/0/ 0/// 0//0/0/ 0/ /0/ 0//0/ 0/// 0 //0/0/ 0// / 0//0//

مُسْتفْـــعِلُنْ، فاعِلُنْ،مُسْتفْعِلُنْ، فعِلُنْ مُتفْعِلُنْ،فعِلُنْ، مُسْتفْـــعِلُنْ، فعِلُنْ

---

[1] أحمد شوقي: الشّوقيّات، ص 269.

[2] جون كوين: النّظرية الشّعريّة (لغة الشّعر اللغة العليا)، تر: أحمد درويش، دار غريب، القاهرة، مصر، (د،ط)، 1966م، ص 238.

[3] ينظر: شوقي ضيف: شوقي شاعر العصر الحديث، ص45.

[4] أحمد شوقي: الشّوقيّات، ص259.

بعد تقطيعنا لهذا البيت توصّلنا إلى أنّ أحمد شوقي قد اتّفق مع البوصيري في الوزن فكِليهما قد نظم قصيدته على **بحر البسيط** الذي تفعيلاته هي:

مُسْتَفْعِلُنْ فاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فاعِلُنْ

يُعدّ بحر البسيط من أنسب البحور للمدح، كما عُرِف في القديم الإرتباط بين جرس البحور والأغراض الشّعريّة، متلما في جرس بحر البسيط وغرض المدح. وهذا ما ساعد على عمليّة الاتّساق والانسجام في القصيدة. اتّسمت قصيدة شوقي بالوِحدة الموضوعيّة فموضوعه مدح سيّد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم، ثمّ بعد ذلك لاحظنا اضطرابًا في ترتيب أفكاره فتارةً يتحدّث عن جهاده صلى الله عليه وسلم وتارةً أخرى يقارن بين رِجال العصر والخُلفاء الرّاشدين. ولقد استمرّ هذا الاضطراب في كثير من المواقف في القصيدة.

لقد أحصينا في القصيدة مجموعة من الزِّحافات التي اضطرّ إليها الشّاعر، ومثال ذلك ما أتى في البيت الأوّل وهو زحاف الخبن: «عبارة عن حذف الثّاني السّاكن من ثاني التّفعيلة»،[1] وجاء في كلٍّ من التّفعيلتين: مُسْتَفْعِلُنْ ـــ مُتَفْعِلُنْ ـــ مَفَاعِلُنْ.

فاعِلُنْ ـــ فَعِلُنْ.

ـ القافية:

تُعتبر القافية من أهمّ عناصر الموسيقى فقد جاءت متنوّعة ومتمكِّنة ومكمّلة للمعنى في قصيدة نهج البردة الشوقيّة، إلاّ أنّ الضّرورة الشّعريّة أخرجتها عن طبيعتها في بعض الأحيان. ولقد استعان شوقي من قوافي البوصيري كقواف جاهزة لقصيدته.

اعتمد شوقي في قصيدته على رويّ الميم(م) كما فعل البوصيري قبله فحرف الميم من الحروف الشّفويّة المجهورة المُطْبقة، وكسر الميم في قصيدتيهما دلالة على تعظيم مقام الرّسول صلى الله عليه وسلم وعلى مدى حبّ الشّاعرين له.

[1] أحمد كشك: الزّحاف والعلّة (رؤية في التّجريد والأصوات والإيقاع)، ص:22.

ومن أمثلة ذلك نذكر من القصيدة: الحرمِ، الأجمِ، السّقمِ، مبتسمِ، معتصمِ، تستقمِ، الرّحمِ، الظلمِ، العلمِ، القلمِ ...

يضع محمد عزّام دراسة إحصائيّة في كلمات وقوافي القصيدتين ويصل إلى أنّ «استخدام شوقي (190) كلمة من القافية نفسها منها (30)مكرّرة و(40) وردت عند سابقيه، فانفرد شوقي ب(120) كلمة، وهي ميزة فنيّة ـ في رأيه ـ»[1].

وبالتّالي فالقافية الجاهزة لا تُعدّ مصدر معجميًّا للشّاعر، لأنّه مقيّد بالمعجم الذي تُتيحه القصيدة له.

ب ـ الموسيقى الدّاخليّة:

ـ التّكرار:

ـ **تِكرار الأفعال:** لقد استعان شوقي بالتّكرار كثيرًا في قصيدته كتكرار اللّفظ بالمعنى نفسه، فقد عرفت قصيدة نهج البردة تِكرارًا في الأفعال ومن بين ذلك:

- الفعل (رُزِقت):

رُزِقْتَ أَسْمَحَ مَا فِي النَّاسِ مِنْ خُلُقٍ إِذَا رُزِقْتَ الْتِمَاسَ الْعُذْرِ فِي الشِّيَمِ[2]

نلاحظ أنّ الشّاعر كرّر الفعل الماضي المبني للمجهول مرّتين لدّلالة على الإخبار عن الصّفات التي يجب أن تتوفّر في كلِّ محِبٍّ كمثل التماس الأعذار له.

- الفعل (نم):

يَا نَاعِسَ الطَّرْفِ لَا ذُقْتَ الْهَوَى أَبَدًا أَسْهَرْتَ مُضْنَاكَ فِي حِفْظِ الْهَوَى **فَنَمِ**[3]

كَمْ نَائِمٍ لَا يَرَاهَا، وَهْيَ سَاهِرَةٌ لَوْلَا الْأَمَانِيُّ وَالْأَحْلَامُ لَمْ **يَنَمِ**[4]

---

[1] محمد عزّام: النصّ الغائب(تجلّيات التّناص في الشّعر العربي)، ص185.

[2] أحمد شوقي: الشّوقيّات، ص159.

[3] المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

[4] المصدر نفسه، ص261.

نرى هنا تِكرار الفعل (نمِ) مرّتين، الأوّل في سياق الأمر والثّاني لم (ينمِ) جاء منفيًّا لأنّه مسبوق ب لم.

- الفعل (أسرى):

سَـرَتْ بَـشَـائِـرُ بِـالْـهَــادِي وَمَـوْلِــدِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مَسْرَى النُّورِ فِي الظُّلَمِ
أَسْـرَى بِـكَ اللـهُ لَـيْـلًا، إِذْ مَـلَائِـكُــهُ وَالرُّسْلُ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَــى عَلَـى قَدَمِ
سَـارُوا عَلَيْهَا هُدَاةَ النَّاسِ فَهْيَ بِهِمْ إِلَـى الْفَلَاحِ طَــرِيقٌ وَاضِــحُ الْـعِظَـمِ
مِـنَ الَّـذِيـنَ إِذَا **سَــارَتْ** كَتَــائِبُـهُمْ تَـصَـرَّفُــوا بِـحُــدُودِ الْأَرْضِ وَالتُّــخُـمِ[1]

استخدم الشّاعر الفعل الماضي (أسرى) في المواضع الثّلاثة الأولى للإخبار عن مولِد الرّسول صلى الله عليه وسلم وعن الإسراء والمعراج وعلى الشّريعة الإسلاميّة، أمّا في الموضع الأخير فهو فعل شرط فقد سُبِق بأداة الشّرط (إذا).

ـ تِكرار حروف العطف:

لاحظنا على مستوى القصيدة توزّع حروف العطف بكثافة فهي أداة تربط بين المعاني وتراكيبها، ومن أمثلة التّراكيب المتضمِّنة حروف العطف نذكر:

وَلَا احْتَوَتْ فِـي طِرَازٍ مِنْ قَيَاصِرِهَا عَلَـى رَشِيدٍ **وَمَـأْمُونٍ وَمُـعْتَصِمِ**[2]

أفادت الواو هنا مطلق الجمع بين المتعاطفين والتّراخي، إذ كان رشيد ومأمون ومعتصم يتناوبون على الحكم وكانوا ذوي فضلٍ على الأمّة الإسلاميّة.

وَالْـخَـلْـقُ يَفْتِكُ أَقْوَاهُمْ بِأَضْعَفِهِمْ كَـاللَّيْثِ بِالْبَهْمِ، **أَوْ** كَالْحُوتِ بِالْبَلَمِ[3]

تُفيد أوهنا التّقسيم، فقد شبّه ظلم النّاس بعضهم لبعض كافتراس الحيوانات لفرائسها.

يَـا بِـنْـتَ ذِي اللِّـبَدِ الْـمَـحْـمِـيِّ جَانِبُهُ أَلْقَاكِ فِي الْغَابِ، **أَمْ** أَلْقَاكِ فِي الْأُطُمِ؟[4]

---

[1] أحمد شوقي: الشّوقيّات، ص ـ ص:264 ـ 271.

[2] المصدر نفسه ، ص270.

[3] المصدر نفسه، ص 265.

[4] المصدر نفسه، ص260.

وهنا يقصد بأم طلب التّعيين، متسائلاً عن مكان لقاء الفتاة حيث حُذفت همزة التّعيين والتّقدير (أألقاك).

لعبت حروف العطف دورًا هامًّا في تحقيق التّرابط النّصّي في القصيدة.

ـ المحسّنات البديعيّة:

احتوت قصيدة نهج البردة على مجموعة من المحسّنات البديعيّة اللّفظيّة كالجِناس والتّصريع وتتمثّل في:

ـ **التّصريع:** أو ما يعرف بالتّرصيع وهو «توازن الألفاظ مع توافق الأعجاز أوتقاربها»[1]. والمقصود أنّ يتّفق في البيت الواحد آخر صدره مع آخر عجزه، وهنا نرى التّصريع في البيت الأوّل الذي يقول فيه شوقي:

رِيمٌ عَلَى الْقَاعِ بَيْنَ الْبَانِ وَالْعَلَمِ أَحَلَّ سَفْكَ دَمِي فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ[2]

نلاحظ هنا أنّ التصريع أضاف على البيت خاصّة والقصيدة عامّة جرسًا موسيقيًّا تطرب له الآذان وتضع القارئ في جو ملؤه الألحان الجميلة.

ـ **الجِناس:** ويقال « التّجنيس، والتّجانس، والمجانسة؛ ولا يستحسن إلاّ إذا ساعد اللّفظ المعنى ووازى مصنوعه مطبوعه مع مراعاة النّظير»[3].

وقد لاحظنا وروده في القصيدة أيضا ولكن اكتفى الشّاعر بالجِناس النّاقص فقط ومن بين أمثلته:

ـ أشرن وأسرن ـــ جِناس ناقص.

ـ المنى والمنايا ـــ جِناس ناقص.

ـ الخُلُق والخَلْق ـــ جِناس ناقص.

ـ يضُمُّ ويُضَمِ ـــ جِناس ناقص.

ـ الحزم والعزم ـــ جِناس ناقص.نرى أنّ قصيدة أحمد شوقي قد تلوّنت بألوان بديعيّة متنوِّعة، فالطّباق بنوعيه أفاد المعنى وأضفى جماليّة عليه. أمّا الجِناس فقد خلق جرسًا موسيقيًّا تُطرب له الأسماع وكلّ هذه تزيد من جماليّة النصّ الشّعري وتُقرّب المعنى للمُتلقّي.

---

[1] أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة (في المعاني والبيان والبديع)، ص:332.

[2] أحمد شوقي: الشّوقيّات، ص259.

[3] المرجع السّابق، ص325.

ب ـ الهمزيّة النبويّة:

يعتبر أحمد شوقي من أبرز الشّعراء الذين نظموا قصائد في المديح وخاصّة مدح الرّسول صلى الله عليه وسلم، فالشّاعر يلتجئ إلى المدح كلّما ضاقت به الدّنيا، وبالنّسبة لشوقي فمدح الرّسول صلى الله عليه وسلم من النّاحية الفنيّة فعلٌ محمودٌ، ومن النّاحية الدّينيّة أمرٌ واجبٌ، فهو كالدّواء لقائله وبلسم لقارئه، ولقد اخترنا الهمزيّة النبويّة لتبيان وتِعداد أخلاق الرّسول صلى الله عليه وسلم.

1 ـ قراءة في عنوان قصيدة "الهمزيّة النّبويّة":

من الملاحظ أنّ العنوان مُركّب من جملة اسميّة مبتدأها الهمزيّة وذلك راجع لرويّ القصيدة، وصفتها النّبويّة التي تؤول بنا إلى أنّ موضوع القصيدة هو المدح وبهذا يكون العنوان مناسبًا لمضمون القصيدة، وهو عنصر يضع القارئ في جوّ النصّ.

وقد نهج أحمد شوقي في عنوانه نهج شرف الدّين البوصيري في قصيدته الهمزيّة النّبويّة، فالشّاعر يلجأ في تركيب نصّه إلى الأخذ من نصوص أخرى سبقته فتصبح متضمنة فيه. وبالتّالي فإنّ شوقي قد عارض البوصيري مرّة أخرى في قصيدته، فقد جاءت الهمزيّة «وكأنّها بما تضمّه تمثّل ردًّا بليغًا ورائعًا على ما ارتكبته الصّحيفة الدّنيماركيّة من إساءات شنيعة وفضيعة ضدّ الإسلام، وشخصيّة النبيّ صلى الله عليه وسلم الزّكيّة دون احترام لمقدّسات المسلمين»[1].

والمقصود هنا أنّ الشّاعر يحاول الدّفاع عن الإسلام وعن الدّعوة المحمديّة من خلال ذكره لصفات وأخلاق الرّسول عليه أفضل الصّلاة وأزكى تسليم.

2 ـ قراءة في مضمون القصيدة:

[1] سعد بن زيد أل محمود: الهمزيّة النّبويّة...في مدح الرّسول صلى الله عليه وسلم، 01:07.
www.midad.com

إنّ ميلاد الرّسول الأعظم صلّى الله عليه وسلم كانت نقطة تحوّل هامّة في تاريخ البشريّة، فقد استهلّ شوقي قصيدته بتشبيه نور الرّسول صلّى الله عليه وسلم كضياء الشّمس الذي ملأ الدّنيا، ثمّ انتقل الشّاعر إلى التّحدّث عن مكانته عليه السّلام ، ثمّ عرج شوقي على ذكر معجزاته التي ميّزها الله به عن سائر أنبيائه، فالقرآن الكريم هو الكِتاب السّماوي الوحيد الذي حفِظه الله من التّحريف على عكس الكتب الأخرى التي حرّفها الكفّار.

ويتابع الشّاعر الحديث عن الرّسول صلى الله عليه وسلم وعن طفولته وكيف أنّه نشأ يتيمًا ولكنّه كان صادقًا أمينًا، ثمّ ذكر الشّاعر حادثة الإسراء والمعراج وكيف سرى من مكّة إلى البيت المُقدّس ليلاً، واصِفًا ترحيب الملائكة به، ثمّ انتقل إلى التّحدّث عن الكُفّار الذين كان في اعتقادهم أنّ الرّسول صلى الله عليه وسلم جاء ليُقيم الدّولة بحدّ السّيف ولكنّهم كانوا على خطأ، فالرّسول صلى الله عليه وسلم جاء ليدعوهم باللّين والرّأفة بالدّين يُسرٌ وليس عُسرٌ، ورغم محاولاته المتواصلة علِم أنّ السّبيل الوحيد لنشر الدّعوة هو الحرب.

وفي الخِتام توجّه الشّاعر إلى الحاضر الذي يعيشه المسلمون، وكيف أنّهم أصبحوا فريسةً للغرب، ثمّ انتقل إلى ذكر التّضحيات التي قام بها الصّحابة في سبيل الدّعوة المحمديّة وهذا لكي ينالوا شرف الشّهادة التي ستُيسّر طريقهم للجنّة، وفي النّهاية دعا شوقي المسلمين إلى توحيد صفوفهم ضدّ أعداء الدّين، لأنّ الله سيكون حليفهم وسينصرهم على من عاداهم.

3 ـ اللّغة الشّعريّة في قصيدة الهمزيّة النبويّة:

يتميّز المعجم الشّعري عند أحمد شوقي بالتّنوع، حيث نرى أنّ لغته مألوفة وهذا لابتعاده عن الألفاظ الحوشيّة وغريب الكلام، وهذا راجع لطبيعة موضوع القصيدة فقد لاحظنا أنّ لغته مستمدّة من التّراث القديم. ولقد أضاف شوقي إلى القصيدة الدّينيّة معاني جديدة تتواءم وتليق بظروف العصر الحديث «والمُطّلع على القصيدة بإمكانه أن يُدرك للوهلة الأولى بيئتها الزّمانيّة فهي وليدة الأدب الحديث بالأحرى الشّعر الحديث، لما احتوته من جِدّة في التّراكيب وسلاسة في التّعبير وقرب للمعاني»[1].

[1] ميلود قنّاني: مقاربة أسلوبيّة لقصيدة ولد الهدى في مدح الرّسول صلى الله عليه وسلم لأمير الشّعراء أحمد شوقي، مجلّة الباحث، ع10، أوت 2012، جامعة الجلفة، الجزائر،ص204.

والمقصود هنا أنّ شوقي بانتمائه إلى المدرسة الكلاسيكيّة والتي تُعدّ امتدادًا للمدرسة الإحيائيّة التي كانت تدعو إلى التّجديد مع الحِفاظ على التّراث القديم، قد أثّرت فيه وجعلته كلاسيكيّا، إحيائيّا بالدّرجة الأولى فقد واكب العصر دون نسيان القديم، وهذا ما جسّده في قصيدته الهمزيّة النبويّة.

4 ـ المعجم الشّعري: وهو «استخدام الشّاعر لمجموعة مفردات أو تراكيب يشكّل بها بنيته الشّعريّة، ونقل هذه الألفاظ من حالتها التّقريريّة الثّابتة إلى حالة إيمائيّة تنبض بالحياة والشّعور»[1]. فالمعجم هو ذخيرة الشّاعر وهو حوصلة تجربته فبه يعبّر عمّا يختلج في نفسه و ما يتمركز في خياله وهنا تكمن لغته التي بها يحقّق قيمته الفنيّة.

وبعد إطّلاعنا على قصيدة الهمزيّة النبويّة وجدناها تحمل أكثر من حقل دلالي، ومن بينها:

ـ الحقل الدّيني: الرّوح، الملائك، الدّين، العرش، الهدى، الفرقان، الوحي، الرّسل، صحيفة، محمد، طه، المرسلين، النّبيّين، الحُنفاء، آدم، الأنام، حوّاء، النبوّة، الله، المسيح، المُلك، جبريل، العظيم، آية، ربّك، المعجزات، التّوراة، الإنجيل، السّورات، الدّهر، شورى، أحمد، الرّسول، الإيمان، الأصنام، الشّفاعة، القِيامة، الصّالحين، صلى عليك الله، الرّضوان.....

يرجع توظيف أحمد شوقي لهذه المفردات إلى ثراء رصيده اللّغوي الدّيني، وعلى اقتضاء هذه القصيدة للمعاني الدّينيّة.

ـ حقل الطّبيعة: الأضواء، الحظيرة، المنتهى، السّدرة، الحديقة، رُبى، الوجود، السّماء، الغبراء، الدُّجى، جنان، البيداء، شمس، الماء، النّار، مساؤه، صباحه، نور، الظّلماء، الأرض، الينابيع، الحياة، واد النّيل، الغيوم، زهراء، الخيل، الصّخرة.....

ويعود استخدام هذه الألفاظ إلى شدّة تعلّق الشّاعر بالطّبيعة، لذلك نراه لا يستطيع الاستغناء عن هذا الحقل في أيّ قصيدة من قصائده.

[1] يحيى معروف و بهنام باقري: <المعجم الشّعري عند يحيى السّماوي ديوان"نقوش على جذع نخلة"نموذجا>، ص:334.

5 ـ التّناص:

يعود أحمد شوقي ويتناصّ مع سابقيه مرّة أخرى، وقد لاحظنا أنّه عاد مرّة أخرى وعارض البوصيري في قصيدته الهمزيّة النبويّة وبهذا سنتطرّق إلى ذكر مواطن التّناص بينهما:

ويظهر التّناص في القصيدتين من خلال العنوان وهو الهمزيّة النبويّة حيث نرى أنّ الشّاعرين استخدما نفس العنوان، فكليهما حاولا التّغني بصفات الرّسول صلى الله عليه وسلم وذكرا أهم خصاله ومحاسنه.

لقد اشتركت القصيدتين الهمزيّة النبويّة لأحمد شوقي، والهمزيّة النبويّة للبوصيري في حرف الرويّ وهو الهمزة المضمومة (ءُ) وهذا ما أضفى على القصيدتين نغمًا موسيقيًّا تُطرب له الأسماع.

ـ التّناص الأدبي:

بعد اطّلاعنا على القصيدتين وجدنا أنّ شوقي قد تأثّر بسابقيه فكانوا له نِعم المُعين، فجاءت قصائده متشابهةً لفظًا ومعنًا مع البوصيري، وسنأتي على ذِكر بعض الأمثلة من بينها:

- يقول شوقي:

خيرُ الأُبوَّة حازَهم لك «آدمٌ» دُون الأنام وأحرزَت **حوَّاءُ**
هم أدرَكوا عِز النبوَّة وانتهَت فيها إليــك العِزةُ القعســاءُ
أَثنى «المسيحُ» عليه خلفَ سمائِهِ وتهلَّلَت واهتزَّت «**العذراءُ**»[1]

- ويقول البوصيري:

فَهَنِيئاً بِــهِ لآمِنَــةَ الْفَضْ لُ الذِي شُرِّفَــتْ بِــهِ **حَوَّاءُ**
وَأَتَتْ قَوْمَهَا بِأَفْضَلَ مِمَّا حَمَلَــتْ قَبْـلُ مَرْيَمُ **الْعَــذْرَاءُ**[2]

[1] أحمد شوقي: الشّوقيّات، ص41.

[2] البوصيري: الدّيوان، ص،ص:2، 3.

لقد اتّفق الشّاعران هنا على اللفظ والمعنى، حيث أنّ حوّاء لها الشّرف في أنّها أتت بخير خلق الله محمد صلى الله عليه وسلم، كما كان الشّرف للعذراء مريم التي أنجبت نبيّ الله عيسى عليه السّلام.

- يقول أحمد شوقي:

يا أيها المُسرى به شَرفًا إلى ما لا تَنالُ الشمسُ والجَوزاءُ
يتساءلون وأنتَ أطهَرُ هيكلٍ بالرُّوح أم بالهيكـل الإسراءُ
بهِما سمَوتَ مُطهَّرَين كلاهما نورٌ وريحـــــانيــةٌ وبَهــاءُ[1]

- يقول البوصيري:

فَطَوَى الأَرْضَ سَائِراً والسَّمَوَا تُ العُـــلاَ فَوْقَهَا لَـهُ إِسْرَاءُ
فَصِفِ اللَّيْلَةَ التِي كَانَ لِلْمُخْ تَارِ فِيهَا عَلَى البُرَاقِ اسْتِوَاءُ
وَتَرَقَّى بِهِ إِلَى قَـابِ قَوْسَيْ نِ وَتِلْـــكَ السِّيَّادَةُ الْقَعْسَـاءُ[2]

وهنا نلاحظ أنّ الشّاعرين قد تناولا حادثة الإسراء والمعراج التي حدثت للرّسول في قصيدتهما.

ـ التّناص القرآني:

يعتبر أحمد شوقي ذا ثقافة دينيّة واسعة، حيث كثيرًا ما نراه يستخدم الألفاظ والمعاني الدّينيّة بكثرة في أشعاره، وفي قصيدته الهمزيّة النبويّة تناصّ مع القرآن الكريم ومن أمثلته:

- بيتُ النبيين الذي لا يلتقي إلا الحنائفُ فيه والحُنفاءُ[3]

وهنا تناصّ مع قوله تعالى:﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ البيّنة:5، والمقصود هنا أنّ الحُنفاء يجتمعون في بيت الأنبياء لعِبادة الله الوّاحد الأحد.

[1] أحمد شوقي: الشّوقيّات، ص 44.
[2] البوصيري: متن الهمزيّة، ص:6.
[3] المصدر السّابق، ص41.

- والنارُ خاويةُ الجوانب حولهم خمَدَت ذوائبُها وغاضَ الماءُ[1]

فقد تناصّ الشّعر في هذا البيت مع قوله تعالى:﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ هود:44، والمقصود هنا أنّ النّيران قد أُخمِدت بالماء.

- عرشُ القيامة أنتَ تحت لوائهِ والحَوضُ أنتَ حِيالَه السَّقاءُ[2]

وفي هذا البيت تناصّ الشّاعر مع قوله تعالى:﴿ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ الحاقّة:17، والمقصود هنا أنّ الرّسول صلى الله عليه وسلم هو الذي سيكون شفيع الأمّة وهو من سيروي ظمأنا.

- رقَدوا، وغرَّهمُ نعيمٌ باطلٌ ونعيمُ قومٍ في القُيود بلاءُ[3]

وهنا تناصّ مع الآية الكريمة: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُور فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّ مُّبِين ﴾الأعراف:22، وهنا يقصد الذين غرّتهم الحياة الدنيا.

- يا أيها المُسرى به شَرفًا إلى ما لا تَنالُ الشمسُ والجَوزاءُ
- يتساءلون وأنتَ أطهَرُ هيكلٍ بالرُّوح أم بالهيكـل الإســراءُ[4]

من خلال البيتين نرى أنّ أحمد شوقي قد تناصّ من قوله عزّ وجلّ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الإسراء:1، فالشّاعر هنا تحدّث عن حادثة الإسراء والمعراج التي قام بها الرّسول صلى الله عليه وسلم، وتحدّث عن تساؤل الكُفّار حول إسراء الرّسول صلى الله عليه وسلم هل كان بالجسد أم بالرّوح.

---

[1] أحمد شوقي: الشّوقيّات، ص 42.

[2] المصدر نفسه ، ص 46.

[3] المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

[4] المصدر نفسه، ص 44.

وفي الأخير نستنتج أنّ التّناص يعطي قيمة فنيّة للقصيدة ويكشف عن موهبة الشّاعر أحمد شوقي الذي يتميّز بلغة إحيائيّة كلاسيكيّة في قصائده.

6 ـ المستوى التّركيبي النّحوي:

ـ **الجملة الاسميّة:** يعرّفها أحمد الهاشمي بقوله « الجملة الاسميّة تفيد بأصل وضعها ثبوت شيء لشيء ليس غير، بدون نظر إلى تجدّد واستمرار»[1]، والمقصود هنا أنّ الجملة الاسمية تدلّ على السكون وهي كلّ جملة مبدوءة باسم.

لقد سيطرت البنى الاسميّة على نسج القصيدة، لأنّ الشّاعر حاول نقل صِفات وأخلاق الرّسول صلى الله عليه وسلم فكانت الجمل الاسميّة الأنسب للتّعبير ومثال ذلك: العرش يزهو، الحظيرة تزدهي، حديقة الفرقان ضاحكة، بيت النّبيّين، يوم يتيه على الزّمان، يا أيّها الأميّ، صدر البيان، دين يُشيد آيةً في آية...

نرى من خلال الأمثلة التي سبق أن ذكرناها أنّها تعبير على أهم أخلاق وخِصال الرّسول صلى الله عليه وسلم.

ـ **الجملة الفعليّة:** يعرّفه عبده الرّاجحي «إذا كانت مبدوءة بفعل غير ناقص فهي جملة فعليّة /.../ والجملة لا بدّ أن يكون فيها ركنان أساسيّان /.../ يربط بينهما الإسناد وهو من أهمّ المصطلحات النّحويّة /.../ الفعل يسند إلى الفاعل أو نائب الفاعل /.../ والمبتدأ والفاعل ونائب الفاعل مسند إليه»،[2] والمقصود هنا أنّ الجمل الفعليّة هي المبدوءة بفعل وتدلّ على الاستمرار والتّجدّد.

وتأتي الجمل الفعليّة ثانيًا في القصيدة وذلك لأنّ الشّاعر لم يستخدمها بكثرة، ونذكر منها: ولد الهدى، خُلقت لبيتك، ذُعرت عروش الظّالمين، نُسخت به التّوراة، تُضيء بنوره الأناء، داويت مُتئدًا، أنصفت أهل الفقر، تغشى الغيوب من العوالم، طويت سماء، دعوت النّاس لبّى عاقل، تروي وتسقي الصّالحين سوادهم، مشت الحضارة في سناها.....

[1] أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة (في المعاني والبيان والبديع)، ص66.

[2] عبده الراجحي: التّطبيق النّحوي، ص،ص: 83، 84.

وممّا نراه فإنّ الشّاعر استخدم الجمل الفعليّة للتّعبير عن حياة الرّسول صلى الله عليه وسلم وأهمّ مميّزاته.

ـ الجمل الشّرطيّة ب"إذا":

استعان الشّاعر بجمل الشّرط وبشكل كبير خاصّة مع الأداة (إذا) ومن أمثلة ذلك:

فإذا سخَوتَ بلَغتَ بالجود المَدى وفعلتَ ما لا تفعـــل الأنـواءُ

وإذا رحِـــمـــتَ فأنـت أمٌّ أو أبٌ هذانِ في الدنيا هما الرُّحمـاءُ

وإذا صحِبتَ رأى الوفاءَ مجسَّمًا في بُردِك الأصحابُ والخُلطاءُ

وإذا أخـذتَ العـهدَ أو أعطـيتَه فجميعُ عهـدِك ذِمَّـةٌ ووفـاءُ

وإذا مشيتَ على العِدا فغضـنفرٌ وإذا جـــريتَ فـإنك النكبـاءُ[1]

استعمل الشّاعر أداة الشّرط (إذا) وأقرنها بالأفعال الماضيّة (عفوت، سخوت، رحمت، صحبت، أخذت، مشيت ....) وجواب الشّرط جاء مقترنًا ب(الفاء) بالإضافة إلى (أن)، حيث أراد الشّاعر إحصاء صِفات وأخلاق الرّسول صلى الله عليه وسلم والحالات التي يعيشها وكيف يتعامل معها، فعلى المسلم الإقتداء بالرّسول صلى الله عليه وسلم وإتّباع صِفاته وهذا كي يربح الدّنيا وينال الآخرة ويفوز بالجنّة.

10ـ الأساليب الإنشائيّة الطّلبيّة:

ـ الاستفهام:

يقول شوقي:

- يتساءلون وأنتَ أطهَرُ هيكلٍ بالرُّوح أم بالهيكل الإسراءُ؟[2]

[1] أحمد شوقي: الشّوقيّات، ص 42.

[2] المصدر نفسه، ص44.

من خلال هذا البيت نرى أنّ الكفّار يتساءلون بحيرة، حول ما إذا كان الرّسول صلى الله عليه وسلم قد سما بجسده وروحه ليلة الإسراء والمعراج أو انّه قد سرى بأحدهما فقط، والحقيقة أنّه قد سما بهما الاثنان.

يقول أيضا:

- كم مِن غَزاةٍ للرسولِ كريمةٍ فيها رضًا للحقِّ أو إعلاءُ[1]

وهنا نرى أنّ الشّاعر يعظّم قيمة النبيّ صلى الله عليه وسلم كما أنّه يعدّد الغزوات التي خاضها نُصرةً وإعلاءًا لكلمة الحقّ.

يضيف أيضا:

- هل كان حوْلَ «محمدٍ» من قومِهِ إلا صبيٌّ واحدٌ ونســـاءُ؟[2]

ونرى أنّ الاستفهام هنا خرج عن معناه الحقيقي، فهو ينكر أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم لم يتبعه أحد من قومه إلاّ صبيّ واحد والنّساء.

ويقول أيضا:

- أدَرى رسولُ الله أنَّ نُفوسَهم ركِبَت هواها والقلوبُ هواءُ؟[3]

نرى هنا أنّ الشّاعر متعجّب وحائر من الحال الذي وصل إليه النّاس من غرور وإتّباع لأهوائهم وهذا الحال ليس من شيم الرّسول صلى الله عليه وسلم لذا على المسلمين الابتعاد عن هذه الصفّات السيّئة.

ـ **النّداء:** التجأ الشّاعر إلى استخدام النّداء ومن بين أمثلته:

قول الشّاعر:

- يا مَن له الأخلاقُ ما تهوى العُلا منها وما يتعشَّــق الكُبــراءُ[4]

---

[1] أحمد شوقي: الشّوقيّات ، ص 45.

[2] المصدر نفسه ، ص45.

[3] المصدر نفسه ، ص 46.

[4] المصدر نفسه، ص 42.

استعمل الشّاعر أداة النّداء (يا) للبعيد مع أنّه يخاطب أقرب النّاس إلى قلبه وهو الرّسول صلى الله عليه وسلم، فنراه متحسّرا على ضياع أخلاق النبيّ صلى الله عليه وسلم التي غابت في مجتمعه.

ويقول أيضا:

- يا أيها الأُميُّ حسبُك رتبةً في العلم أنْ دانت بك العلماءُ[1]

لقد وظّف الشّاعر هنا أداة النّداء (يا) للبعيد، حيث يخاطب النبيّ الأميّ صلى الله عليه وسلم الذي يحاول العلماء التّقرب منه لكي يستفيدوا من علومه ويسيروا على نهجه فهو قدوتهم في الحياة.

يقول شوقي في موضع آخر:

- بِك يا ابنَ عبدِ الله قامت سمحةٌ بالحق مِن مِلَلِ الهُدى غرَّاءُ[2]

وهنا نلاحظ أنّ الشّاعر قد رفع قيمة النبيّ صلى الله عليه وسلم، فبه قامت دولة الإسلام ملّة الحقّ والعدل والمساواة، ولا ننسى أنّ الإسلام دين جاء مكمّل للدّيانات السّابقة.

ويقول أيضا:

- يا أيها المُسرى به شَرفًا إلى ما لا تَنالُ الشمسُ والجَوزاءُ[3]

وشوقي هنا ينادي الرّسول العظيم صلى الله عليه وسلّم ويذكّر النّاس أنّه نال قيمة ورِفعة فاقت الشّمس والجوزاء.

نلاحظ هنا أنّ الشّاعر وظّف أسلوب النّداء والاستفهام بحسب مقام القصيدة فكما قال الجاحظ: لكلّ مقام مقال وذلك لمناداته واستغاثته الرّسول صلّى الله عليه وسلم، ولم يلجأ إلى أساليب الأمر والنّهي والتّمني لأنّ شوقي لا يستطيع مخاطبة الرّسول صلّى الله عليه وسلم بها فهو أعلى شأنًا منه، ولهذا كان متأدّبًا مع النبيّ الكريم صلّى الله عليه وسلم فهو لن يرضى أن يضع نفسه والرّسول صلّى الله عليه وسلم في نفس المرتبة.

11 ـ الصّور البيانيّة:

[1] أحمد شوقي: الشّوقيّات، ص 43.

[2] المصدر نفسه، ص 43.

[3] المصدر نفسه ، ص44.

يقول الشّاعر:

- وحديقةُ الفُرقان ضاحكةُ الرُّبا بالترجمـــان شذيَّـــةٌ غنَّـــاءُ[1]

وهنا نلاحظ أنّ شوقي ما زال يبدع في لغته التّصويريّة، ويحلِّق في الآفاق ليكون له موقف من القرآن الكريم الذي شبّهه بالحديقة الضّاحِكة الرّبى وطيّبة الرّائحة.

وقد جمع الشّاعر في هذا البيت بين التّشبيه البليغ في قوله "حديقة الفرقان" والاستعارة المكنيّة في قوله "ضاحكة الرّبى، شذيّة غنّاء" وكلّ هذه صفات جميلة خاصّة بالحديقة والشّاعر هنا نسبها للقرآن الكريم، الذي يكسب قارئه الطّمأنينة، وراحة النّفس والبال... فالقرآن شفاءٌ للنّاس كالحديقة التي تسرّ النّاظرين وتجلب السّعادة لهم.

ويقول أيضا:

- أما الجَمال فأنت شمسُ سمائِهِ وملاحةُ «الصدِّيق» منك أياءُ[2]

وفي هذا البيت شبّه الشّاعر الرّسول عليه الصّلاة والسّلام بالشّمس العالية والسّاطعة بنورها في السّماء على سبيل التّشبيه البليغ، حيث سما بالمشبّه به وارتفع به إلى حدّ السّماء وهذا تعظيمًا لمكانة الرّسول عليه أفضل الصّلاة وأزكى التّسليم ورفعًا لشأنه فهو سيّد الأنام وخاتم الأنبياء والرّسل.

والتّشبيه «يزيد المعنى وضوحًا ويكسبه تأكيدًا؛ ولهذا ما أطبق جميع المتكلّمين من العرب والعجم عليه، ولم يستغن أحد منهم عنه»[3]، والمقصود هنا أنّ التّشبيه يوضّح المعنى ويؤكّده في صورة قريبة من ذهن القارئ وتؤثّر فيه وتجذب انتباهه.

ويضيف قائلا:

- لي في مديحك يا رسولُ عرائسٌ تُيِّمنَ فيك وشاقَهنَّ جـــلاءُ
- هُنَّ الحِسانُ فإن قبِلــتَ تـكرُّمًا فمُهورُهنَّ شفاعةٌ حَسنـــاءُ[4]

---

[1] أحمد شوقي: الشّوقيّات، ص 41.

[2] المصدر نفسه، ص 42.

[3] أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين (الكتاب والشّعر)، تح: علي محمد الجاوي وآخرون، دار إحياء الكتب العربيّة،(د،ب)، ط1، 1952م، ص 243.

[4] المصدر السّابق، ص46.

وهنا نلاحظ أنّ شوقي شبّه قصائده في مدح الرّسول صلى الله عليه وسلم بالعرائس، والجامع بين المشبّه والمشبّه به هنا هو الجمال والبهاء والحسن، ولِما تُحدِثه في النّفس من أثرٍ جميل، وقامت الصّورة هنا على حذف المشبّه الذي هو القصائد والتّصريح بالمشبّه به وهو العرائس، وهذا ما يؤكّده البيت الثّاني الذي قام على التّشبيه البليغ في قوله: "هنّ الحِسان".

المشبّه والمشبّه به عنصران مختلفان يقوم الأوّل على فنّ القول، والثّاني ما نراه العين ويحسّه القلب، وفي كلّ ذلك تعظيم لهما وإجلال وجب أن يُذكر.

ومجمل القول في هذا الباب، فإنّ أساليب التّصوير عند شوقي امتدادٌ لأساليب القدامى في التّشبيه والاستعارة والكناية، وهو بذلك يمثّل بحقّ مدرسة الإحياء.

12 ـ الموسيقى:

أ ـ الموسيقى الخارجيّة:

ـ الوزن:

وُلد الهُدى فالكائناتُ ضياءُ	وفمُ الزمان تبسُّـمٌ وثنـاءُ[1]
وُلِد لْهُدىْ فلْكائِناتُ ضِياءُو	وفمُ زْزمانِ تبسْسُمُنْ وثناءُو
0/0/// 0//0/0/ 0//0///	0//0/// 0//0/// 0/0///
مُتفاعِلُن، مُتْفاعِلُنْ، مُتفاعِلْ	مُتفاعِلُنْ، مُتفاعِلُنْ، مُتفاعِلْ

بعد قيامنا بالتّقطيع العروضي توصّلنا إلى أنّ أحمد شوقي قد نظم قصيدته الهمزيّة النّبويّة على بحر **الكامل**، وسُمّي كاملاً «لتكامل حركاته وهي ثلاثون حركة ليس في الشّعر شيء له ثلاثون حركة غيره»[2]، وتفعيلاته هي:

---

[1] أحمد شوقي: الشّوقيّات، ص41.

[2] الخطيب التّبريزي: الكافي في العروض والقوافي، تح: الحساني حسن عبد الله، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1994م، ص58.

مُتفاعِلُنْ مُتفاعِلُنْ مُتفاعِلُنْ مُتفاعِلُنْ مُتفاعِلُنْ مُتفاعِلُنْ

من خلال ما سبق نرى أنّ بحر الكامل من أجمل البحور التي تليق بالمديح.

لقد طرأ على القصيدة مجموعة من الزّحافات والعلل، من بينها:

زحاف الإضمار: «عبارة عن إسكان الثّاني المتحرّك من الجزء- أي من التّفعيلة-»[1]، ولا يكاد بيت من القصيدة يخلو منه.

ومن بين العلل علّة القطع: «المقطوع هو ما ذهب آخر سواكنه وسكن آخر متحرّكاته من الجزء الذي في آخره»[2]، وهو حذف ساكن الوتد المجموع وتسكين ما قبله، وقد ورد في القصيدة ولكنّ بصفة معتبرة، كما لاحظنا دخول الإضمار مع القطع في بعض الأحيان، ومثال هذه الزّحافات والعلل نذكر:

مُتَفاعِلُنْ ـــــ مُتْفاعِلُنْ.

مُتفاعِلُنْ ـــــ مُتْفاعِلْ = فعْلاتُنْ.

ـ القافية:

لقد حذا شوقي نهج البوصيري في قصيدته الهمزيّة، فقد اشتركا في حرف الرّوي وهو الهمزة (ء) وهي حرف حلقي، وتنوّعت القافية عند شوقي حيث نجده قد كرّر الحذو «وهو الحركة التي تكون قبل الرّدف»[3]، وهي الفتحة بهذه القافية الذي تمثّل في الفتحة التي علّت الحرف الذي سبق الرّدف (ألف المدّ قبل الهمزة)، وختم قصيدته بضمّ الرويّ وهذا ما أعطى للقصيدة رونقًا موسيقيًّا من خلال مدّ وإطلاق الحرف الأخير للبيت، ومثال ذلك: ثناءُ، بُشراءُ، غنّاءُ، الحُنفاءُ، العُظماءُ، لِواءُ، الأُمناءُ، البأساءُ، الرُّحماءُ، بيداءُ، الشُّهداءُ...

ب ـ الموسيقى الدّاخليّة:

[1] أحمد كشك: الزّحاف والعلّة (رؤية في التّجريد والأصوات والإيقاع)، ص:21.

[2] المرجع نفسه، ص 43.

[3] المرجع نفسه، ص:397.

ـ التّكرار:

ـ تكرار الألفاظ: تضمّنت قصيدة شوقي تكرارًا على مستوى الألفاظ، ومن بين هذه الأمثلة نذكر:

لفظة **العِزّة** في قوله:

- همْ أدرَكوا **عِز** النبوَّة وانتهَت فيها إليك **العِزةُ** القعساءُ[1]

الملاحظ هنا أنّ الشّاعر قد كرّر لفظة العزّة مرّتين، وهذا راجع إلى مقام ومكانة الرّسول عليه الصّلاة والسّلام.

لفظة **الدّين** في قوله:

- لو لم تُقِم **دِينًا** لقامت وحدها **دينًا** تُضيء بنُوره الآناءُ[2]

وهنا كرّر الشّاعر لفظة الدّين للدّلالة على الدّين الإسلامي الذي أتى به خير البريّة محمد صلى الله عليه وسلم.

لفظة **الشّفاعة** في قوله:

- يا مَن له عِزُّ **الشفاعة** وَحدَهُ وهُو المُنزَّه ما له **شُفعاءُ**[3]

والمقصود هنا بالشّفاعة هي انّ الشّاعر يستنجد الرّسول صلى الله عليه وسلم بأن يشفع له يوم القيامة، فمحمد صلى الله عليه وسلم هو شفيع الأمّة الإسلاميّة.

ـ تكرار الأفعال: لقد استخدم شوقي أيضا في همزيّته تكرار الأفعال ونذكر منها:

الفعل **جاء** في قوله:

- يا خيرَ مَن **جاء** الوجودَ تحيةً من مُرسَلِين إلى الهدى بك **جاءُوا**[4]

من خلال تكرار الفعل جاء، نرى أنّ الشّاعر يهلّل بمجيء الرّسول عليه أفضل الصّلاة وأزكى التّسليم.

الفعل **عفوت** في قوله:

---

[1] أحمد شوقي: الشّوقيّات، ص41.

[2] المصدر نفسه، ص 42.

[3] المصدر نفسه، ص 45.

[4] المصدر نفسه، ص 41.

- وإذا **عفَوتَ** فقادرًا ومقدَّرًا لا يَستهين **بعَفوِك** الجُهلاءُ[1]

إنّ تكرار فعل العفو دليل على إحدى صفات الرّسول صلى الله عليه وسلم وهي العفو عند المقدرة.

الفعل **نظم** في قوله:

- أنتَ الذي **نظَم** البريَّةَ دينُهُ ماذا يقول و**يَنظم** الشُّعراءُ[2]

ويدلّ هذا الفعل على أنّ الرّسول صلّى الله عليه وسلم هو الذي بيّن طريق الهداية للمسلمين، وأرشدهم إلى النّور، وأخرجهم من الظّلمات، فمهما نظم الشّعراء قصائد في مدحه لن يوفوه حقّه.

ـ **المحسّنات البديعيّة:** احتوت القصيدة على عدّة محسّنات بديعيّة من بينها: التّصريع، الطّباق بنوعيه، الجناس .....

ـ **التّصريع:** «وهو عبارة عن استواء آخر جزء في صدر البيت وآخر جزء في عجزه في الوزن والرويّ والإعراب »[3]، ونجد التّصريع في قصيدة الهمزيّة النبويّة لشوقي في بيته الأوّل، الذي يقول فيه:

- وُلد الهُدى فالكائناتُ ضياءُ وفمُ الزمان تبسُّمٌ وثنــاءُ[4]

لقد أضفى التّصريع على البيت نغمًا موسيقيًّا ميّز به القصيدة عن غيرها.

ـ **الجناس:** وقد تجلّى الجناس أيضا في القصيدة و من بينه:

الملأ والملائك ـــــ جناس ناقص.

الدّين والدّنيا ـــــــ جناس ناقص.

حنائف و حُنفاء ـــــ جناس ناقص.

---

[1] أحمد شوقي: الشّوقيّات، ص 42.

[2] المصدر نفسه، ص 46.

[3] صفيّ الدّين الحلّي: شرح الكافية البديعيّة(في علوم البلاغة ومحاسن البديع)، ص188.

[4] المصدر السّابق، ص41.

العظائم والعُظماء ـــ جناس ناقص.

قادرًا ومقدرًا ـــــــ جناس ناقص.

لقد تميّزت قصيدة شوقي الهمزيّة النبويّة بمزيج من المحسّنات البديعيّة المختارة بعناية، فالطّباق أضاف لمسة على النصّ الشّعري بينما لعب الجناس دور الجرس الموسيقي داخل القصيدة التي يطرب له المتلقّي، وكلّ هذه المحسّنات باتّحادها ساهمت في عمليّة التّناسق النّصّي.

- **أم كلثوم وأحمد شوقي:**

تعتبر قصائد شوقي سببا رئيسيّا في شهرة أم كلثوم «فقد جاءت معظم هذه الأعمال ضمن طبقة "الشواهق" الكلثوميّة، ونالت مكانة كبيرة بين الشعوب العربيّة من المحيط إلى الخليج»[1]، وقد غنّت أم كلثوم لشوقي تسعة قصائد ومن بينها: نهج البردة، ولد الهدى، إلى عرفات الله، وجاءت هذه القصائد بتلحين رياض السّنباطي وذلك باجتماع «فصاحة الكلمة في شعر شوقي، وفصاحة اللّحن بنغم السّنباطي، وفصاحة الغناء بصوت أم كلثوم»[2].

نهج البردة:

تعدّ قصيدة نهج البردة من أشهر القصائد في المديح النّبوي فقد عارض فيها شوقي الإمام البوصيري في قصيدته البردة. فاختارت أم كلثوم «30 بيتا من قصيدة "نهج البردة" المكونة في أصلها من 160 بيت /.../ وجاءت الأبيات /.../ ممثّلة للأقسام الثّلاثة الرّئيسيّة للقصيدة: الغزل، ثم لوم النّفس والاعتذار عن الذّنوب، ثمّ المديح النّبوي»[3]، وبالتّالي فاختيار أم كلثوم كان موفّقا ومتماسكا دون أن يختلّ المعنى.

ولد الهدى:

---

[1] هيثم أبو زيد: شوقيّات أم كلثوم...ذلك الغناء الباذخ، مجلّة العربي الجديد، 14 أكتوبر 2019،
https://www.alaraby.co.uk

[2] المرجع نفسه،
https://www.alaraby.co.uk

[3] المرجع نفسه،
https://www.alaraby.co.uk

ولقد غنّت كوكب الشّرق في الاحتفال بالمولد النّبوي قصيدة "ولد الهدى" عام 1949م، حيث «أطلقت أم كلثوم أطول شوقيّاتها، عندما اختارت 34 بيتا من قصيدة "ولد الهدى" المكوّنة من 131 بيتا»[1]، ولقد غلب على هذه القصيدة الجانب الصّوفي فلقد أثبت السّنباطي أنّ له الجدارة في التّعامل مع فصيح النّصوص ف«بلحن السّنباطي، وعبر صوت أم كلثوم، انسابت أبيات شوقي، تخاطب الوجدان الدّيني للجماهير»[2].

تعرّضت أم كلثوم لضغوطات إثر تسجيلها لهذه الأغنيّة وذلك ل«انزعاج القصر الملكي من بيت شوقي الذي يقول:"الاشتراكيون أنت إمامهم.. لولا دعاوي القوم والغلواء/.../ لكنّها قاومت الضغوط وأصرّت.وبهذا تكون كلمات شوقي بصوت أم كلثوم قد أثارت حفيظة السّلطات/.../ التي اعتبرها القصر ترويجا للأفكار الاشتراكيّة»[3]. وبالتالي تمسّكت أم كلثوم بالبيت وأكملت التّسجيل دون حذف البيت وارضخت القصر بقرارها.

إلى عرفات الله:

عادت أم كلثوم مرّة أخرى إلى ديوان شوقي واختارت قصيدة خاصّة بفريضة الحجّ وانتقت «22 بيتا من قصيدة إلى عرفات الله، تلخّص مشاهد الحجيج، زيارة البيت الحرام، ومسجد النبيّ محمد صلى الله عليه وسلم »[4]، فنرى السّنباطي قد تأثّر بالمشاهد التي ذكرها شوقي في قصيدته فخلق لحنا صوفيا يليق بالخشوع والتّضرّع.

---

[1] هيثم أبو زيد: شوقيّات أم كلثوم...ذلك الغناء الباذخ،

https://www.alaraby.co.uk

[2] المرجع نفسه،

https://www.alaraby.co.uk

[3] المرجع نفسه،

https://www.alaraby.co.uk

[4] المرجع نفسه،

https://www.alaraby.co.uk

خاتـــمة

خاتمة:

ولقد خلصنا بعد دراستنا في هذا البحث إلى مجموعة من النّتائج نوجزها فيما يلي:

- الشّعر الدّيني أحد الموضوعات التي تناولها الشّعراء في العصر الجاهلي، والإسلامي، والأموي، والعبّاسي مع اختلاف الأسباب والمقاصد.
- الشّعر الدّيني في عصر المماليك موضوع مهيمن وكان ردّا على انتشار الإباحيّة والمجون الذي ساد العصر.
- الشعر الدّيني جزء من اهتمامات الشّعراء في العصر الحديث لارتباطه بالحركة الإصلاحيّة.
- تنوعت موضوعات الشّعر الدّيني في ديوان أحمد شوقي، وقد زاده شهرة غناء كبار المطربين لأشعاره.
- للشّعر الدّيني عند شوقي علاقة كبيرة بالسّياسة وخاصّة الخلافة العثمانيّة التي اتخذ منها موقفين.
- المديح النّبوي موضوع آخر في شعر شوقي، وله ارتباط بأعلام المديح قبل هذا (كعب بن زهير، البوصيري).
- لغة شوقي إحيائيّة بمعجمها وصورّها وأساليبها وموسيقاها.
- التّناص ممارسة لغويّة واضحة في الشّعر الدّيني عند أحمد شوقي.
- مصادر التّناص في شعر أحمد شوقي متنوّعة بين الدّين والأدب، وهو ما اكسبه طابعا خاصّا.
- أكسب التّناص شعر أحمد شوقي ثراءا وعمقا وتميّزا.

ملاحق

قصيدة "إلى عرفات":

إلـــى عرفـــاتِ الله يا خيـــرَ زائرٍ ... عليك سلامُ الله فـــي عرفاتِ
ويومَ تُولِّي وجهةَ البيـت ناضـــرًا ... وسيمَ مَجالي البِشرِ والقسَماتِ
على كـــلِّ أُفْقٍ بالحجـــازِ مَلائـكُ ... تـــزُفُّ تحايـــا اللهِ والبـــرَكاتِ
إذا حُدِيَت عيـــسُ الملـــوك فإنـــهم ... لِعيسك في البيـداءِ خيرُ حُداةِ
لدى «الباب» جبريلُ الأمين بِراحِهِ ... رسائـــلُ رحمانيَّـــةُ النَّفَحـاتِ

•••

وفي الكعبةِ الغـرَّاءِ ركـنٌ مُرحِّـبٌ ... بكعبةِ قُصَّـــادٍ ورُكـــنِ عُفـاةِ
وما سكبَ المِـيـزابُ مـــاءً وإنـما ... أفاض عليك الأجرَ والرَّحَماتِ
«وزمزمُ» تجري بين عينَـيك أعيُنًا ... من الكوثرِ المعســولِ مُنفجِراتِ
ويرمون إبليسَ الرجـــيـمَ فيَصطلي ... وشانِيكَ نيرانًا مـــن الجمَـراتِ
يُحيِّيك «طه» في مَضـاجعِ طُهرِهِ ... ويعلَم ما عالَجتَ من عقبـــاتِ
ويُثنِي عليك «الراشدون» بـصالحٍ ... ورُبَّ ثناءٍ من لســانِ رُفـــاتِ
لك الدِّينُ يا ربَّ الحَجـيجِ جمعتَهم ... لبَيتٍ طَهورِ السَّاحِ والعَرَصاتِ
أرى الناسَ أصنـافًا ومن كلِّ بقعةٍ ... إليك انتهَوا من غُربةٍ وشتـاتِ
تساوَوا فلا الأنســابُ فيها تـفاوتٌ ... لديـك ولا الأقـــدارُ مختلِفـاتِ
عنَت لك في التُّرْبِ المقدَّسِ جبهةٌ ... يَديـنُ لها العاتي من الجبهاتِ
مُنـــوِّرةٌ كالبـــدر شمَّـــاءُ كالسُّـــها ... وتُخفَض في حقٍّ وعنـدَ صلاةِ
ويا رَبِّ لو سخَّرتَ ناقةَ «صالحٍ» ... لعبدِك ما كانت من السَّلِسـاتِ
ويا رَبِّ هـــلْ سيـارة أو مَطـــارةٌ ... فيَدنو بعـــيدُ البِيـدِ والفَلَـواتِ
ويا رَبِّ هل تُغنِي عن العبد حَجَّةٌ ... وفي العمر ما فيه من الهفـواتِ
وتشهدُ ما آذيتُ نفسًـا ولـم أُضِرْ ... ولم أبغِ في جَهري ولا خطَـراتي
ولا غلبتـــني شِقـوة أو ســعادةٌ ... على حكمـــةٍ آتيتنـــي وأنـاةِ
ولا جال إلا الخيـرُ بيـن سرائري ... لدى سُـــدَّةٍ خيـــريَّةِ الرغَبـاتِ

ولا بِتُّ إلا كـابن مـريم مُشفِقًا على حُسَّدي مستـــغفِرًا لعُـداتي
ولا حُمِّلَت نفسٌ هوًى لبـلادها كنفسيَ في فِعلـــي وفي نفَثـاتي
وإني ولا مَـنٌّ عليـك بطـاعةٍ أُجِلُّ وأُغلي فـي الفروض زكـاتي
أُبالغُ فيها وهْي عـدلٌ ورحمـةٌ ويتركـها النُّسَّـاك فـي الخلـواتِ
وأنت وليُّ العفو فامحُ بنـاصعٍ من الصفح ما سوَّدتُ من صفَحاتي
ومَن تَضحكِ الدنيا إليه فيغتَرِرْ يمُتْ كقتـيـلِ الغِيـدِ بالبسَـمـاتِ
ورَكبٍ كإقبالِ الزمـانِ مُحـجَّلٍ كريمِ الحواشـي كابـرِ الخطـواتِ
يسيرُ بأرضٍ أخرَجَت خيرَ أُمةٍ وتحتَ سمـاءِ الوحـي والسُّوراتِ
يُفيضُ عليها اليُمنَ في غدواتِهِ ويُضفِي عليهـا الأمنَ في الرَّوحاتِ

•••

إذا زرتَ يا مولايَ قـبرَ محـمدٍ وقبَّلتَ مَثوى الأعظُـمِ العَطـراتِ
وفاضت مع الدَّمع العيونُ مَهابةً لأحمدَ بيـن السِّتـر والحُجُـراتِ
وأشرقَ نُـورٌ تحـتَ كلِّ ثنِـيَّةٍ وضاعَ أريجٌ تحـتَ كـلِّ حَصـاةِ
لمُظهِـرِ دينِ الله فـوقَ تَنُـوفةٍ وباني صروحِ المجدِ فـوقَ فـلاةِ
فقُل لرسـولِ الله يا خـيرَ مُرسَلٍ أبثُّك ما تـدري مـن الحسـراتِ
شعوبكُ في شـرقِ البلادِ وغربِها كأصحابِ كهفٍ في عميقِ سُباتِ
بأيمـانهـم نُورانِ ذِكـرٌ وسُنَّـةٌ فما بالُهم في حالِـكِ الظلمـاتِ
وذلك ماضي مَجـدِهم وفَخَـارِهم فما ضرَّهـم لو يعـملون لآتـي
وهذا زمـانٌ أرضُـه وسمـاؤهُ مَجـالٌ لمِقـدامٍ كبـيـرِ حيـاةِ
مشى فيه قومٌ في السماءِ وأنشَئوا بَوارجَ فـي الأبـراجِ مُمـتنِعـاتِ
فقُل رَبِّ وَفِّقْ للعظـائم أُمـتي وزيِّـنْ لـهـا الأفعـالَ والعزَمـاتِ

قصيدة "نهج البردة":

رِيمٌ عَلَى الْقَاعِ بَيْنَ الْبَانِ وَالْعَلَمِ ... أَحَلَّ سَفْكَ دَمِي فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ

رَمَى الْقَضَاءُ بِعَيْنَيْ جُؤْذَرٍ أَسَدًا ... يَا سَاكِنَ الْقَاعِ أَدْرِكْ سَاكِنَ الْأَجَمِ

لَمَّا رَنَا حَدَّثَتْنِي النَّفْسُ قَائِلَةً ... يَا وَيْحَ جَنْبِكَ بِالسَّهْمِ الْمُصِيبِ رُمِي

جَحَدْتُهَا وَكَتَمْتُ السَّهْمَ فِي كَبِدِي ... جُرْحُ الْأَحِبَّةِ عِنْدِي غَيْرُ ذِي أَلَمِ

رُزِقْتَ أَسْمَحَ مَا فِي النَّاسِ مِنْ خُلُقٍ ... إِذَا رُزِقْتَ الْتِمَاسَ الْعُذْرِ فِي الشِّيَمِ

يَا لَائِمِي فِي هَوَاهُ — وَالْهَوَى قَدَرٌ — ... لَوْ شَفَّكَ الْوَجْدُ لَمْ تَعْذِلْ وَلَمْ تَلُمِ

لَقَدْ أَنِلْتُكَ أُذْنًا غَيْرَ وَاعِيَةٍ ... وَرُبَّ مُنْتَصِتٍ وَالْقَلْبُ فِي صَمَمِ

يَا نَاعِسَ الطَّرْفِ لَا ذُقْتَ الْهَوَى أَبَدًا ... أَسْهَرْتَ مُضْنَاكَ فِي حِفْظِ الْهَوَى فَنَمِ

أَفْدِيكَ إِلْفًا وَلَا آلُو الْخَيَالَ فِدًى ... أَغْرَاكَ بِالْبُخْلِ مَنْ أَغْرَاهُ بِالْكَرَمِ

سَرَى فَصَادَفَ جُرْحًا دَامِيًا فَأَسَا ... وَرُبَّ فَضْلٍ عَلَى الْعُشَّاقِ لِلْحُلُمِ

مَنِ الْمَوَائِسُ بَانًا بِالرُّبَى وَقَنًا ... اللَّاعِبَاتُ بِرُوحِي، السَّافِحَاتُ دَمِي؟

السَّافِرَاتُ كَأَمْثَالِ الْبُدُورِ ضُحًى ... يُغِرْنَ شَمْسَ الضُّحَى بِالْحَلْيِ وَالْعِصَمِ

الْقَاتِلَاتُ بِأَجْفَانٍ بِهَا سَقَمٌ ... وَلِلْمَنِيَّةِ أَسْبَابٌ مِنَ السَّقَمِ

الْعَاثِرَاتُ بِأَلْبَابِ الرِّجَالِ، وَمَا ... أُقِلْنَ مِنْ عَثَرَاتِ الدَّلِّ فِي الرَّسَمِ

الْمُضْرِمَاتُ خُدُودًا، أَسْفَرَتْ، وَجَلَتْ ... عَنْ فِتْنَةٍ تُسْلِمُ الْأَكْبَادَ لِلضَّرَمِ

الْحَامِلَاتُ لِوَاءَ الْحُسْنِ مُخْتَلِفًا ... أَشْكَالُهُ، وَهْوَ فَرْدٌ غَيْرُ مُنْقَسِمِ

مِنْ كُلِّ بَيْضَاءَ أَوْ سَمْرَاءَ زُيِّنَتَا ... لِلْعَيْنِ، وَالْحُسْنُ فِي الْآرَامِ كَالْعُصُمِ

يُرَعْنَ لِلْبَصَرِ السَّامِي، وَمِنْ عَجَبٍ ... إِذَا أَشَرْنَ أَسَرْنَ اللَّيْثَ بِالْغَنَمِ

وَضَعْتُ خَدِّي، وَقَسَّمْتُ الْفُؤَادَ رُبًى ... يَرْتَعْنَ فِي كُنُسٍ مِنْهُ وَفِي أَكَمِ

يَا بِنْتَ ذِي اللِّبَدِ الْمَحْمِيِّ جَانِبُهُ ... أَلْقَاكِ فِي الْغَابِ، أَمْ أَلْقَاكِ فِي الْأُطُمِ؟

مَا كُنْتُ أَعْلَمُ حَتَّى عَنَّ مَسْكَنُهُ ... أَنَّ الْمُنَى وَالْمَنَايَا مَضْرِبُ الْخِيَمِ

مَنْ أَنْبَتَ الْغُصْنَ مِنْ صَمْصَامَةٍ ذَكَرٍ ... وَأَخْرَجَ الرِّيمَ مِنْ ضِرْغَامَةٍ قَرِمِ؟

بَيْنِي وَبَيْنَكِ مِنْ سُمْرِ الْقَنَا حُجُبٌ ... وَمِثْلُهَا عِفَّةٌ عُذْرِيَّةُ الْعِصَمِ

لَمْ أَغْشَ مَغْنَاكِ إِلَّا فِي غُضُونِ كَرًى ... مَغْنَاكِ أَبْعَدُ لِلْمُشْتَاقِ مِنْ إِرَمِ

يَا نَفْسُ دُنْيَاكِ تُخْفِـــي كُلَّ مُبْــكِيَةٍ ... وَإِنْ بَدَا لَكِ مِنْهَــا حُسْـنُ مُبْتَسَـمِ
فُضِّـي بِتَقْوَاكِ فَاهًا كُلَّـــمَا ضَحِكَتْ ... كَمَا يُفَــضُّ أَذَى الرَّقْشَاءِ بِالثَّرَمِ
مَخْطُوبَةٌ — مُنْذُ كَانَ النَّاسُ — خَاطِبَةٌ ... مِنْ أَوَّلِ الدَّهْرِ لَمْ تُرْمِلْ، وَلَمْ تَئِمِ
يَفْنَى الزَّمَانُ، وَيَبْقَى مِنْ إِسَــاءَتِهَا ... جُرْحٌ بِآدَمَ يَبْكِي مِنْــهُ فِـي الْأَدَمِ
لَا تَحْفِلِي بِجَنَاهَــا، أَوْ جِنَــايَتِهَا ... الْمَوْتُ بِالزَّهْرِ مِثْلُ الْمَوْتِ بِالْفَحَمِ
كَمْ نَائِمٍ لَا يَرَاهَــا، وَهْــيَ سَــاهِرَةٌ ... لَوْلَا الْأَمَانِـيُّ وَالْأَحْــلَامُ لَمْ يَـنَـمِ
طَوْرًا تَمُدُّكَ فِي نُعْمَــى وَعَــافِيَةٍ ... وَتَارَةً فِـي قَرَارِ الْبُؤْسِ وَالْوَصَــمِ
كَمْ ضَلَّلَتْكَ، وَمَنْ تُحْجَبْ بَصِيــرَتُهُ ... إِنْ يَلْقَ صَابًا يَرِدْ، أَوْ عَلْقَمًا يَسُمِ
يَا وَيْلَتَاهُ لِنَفْسِـــي! رَاعَهَــا وَدَهَا ... مُسْوَدَّةُ الصُّحْفِ فِي مُبْيَضَّةِ اللِّمَمِ
رَكَضْتُهَا فِي مَرِيعِ الْمَعْصِيَاتِ، وَمَا ... أَخَذْتُ مِنْ حِمْيَةِ الطَّاعَاتِ للتُّخَـمِ
هَامَتْ عَلَى أَثَرِ اللَّــذَّاتِ تَطْلُبُهَا ... وَالنَّفْسُ إِنْ يَدْعُهَا دَاعِي الصِّبَا تَهِمِ
صَـلَاحُ أَمْـرِكَ لِلْأَخْــلَاقِ مَرْجِعُـهُ ... فَقَوِّمِ النَّفْـسَ بِالْأَخْـلَاقِ تَسْــتَقِمِ
وَالنَّفْسُ مِنْ خَيْرِهَا فِي خَيْــرِ عَافِيَةٍ ... وَالنَّفْسُ مِنْ شَرِّهَا فِي مَرْتَــعٍ وَخِـمِ
تَطْغَى إِذَا مُكِّنَتْ مِنْ لَــــذَّةٍ وَهَوًى ... طَغْيَ الْجِيَادِ إِذَا عَضَّتْ عَلَى الشُّكُمِ
إِنْ جَلَّ ذَنْبِي عَنِ الْغُفْرَانِ لِــي أَمَلٌ ... فِي اللهِ يَجْعَلُنِي فِي خَيــرِ مُعْتَصَمِ
أُلْقِي رَجَائِي إِذَا عَزَّ الْمُجِــيرُ عَلَى ... مُفَرِّجِ الْكَرْبِ فِــي الدَّارَيْنِ وَالْغُمَــمِ
إِذَا خَفَضْتُ جَنَاحَ الــذُّلِّ أَسْأَلُــهُ ... عِزَّ الشَّفَــاعَةِ لَمْ أَسْأَلْ سِوَى أَمَمِ
وَإِنْ تَقَدَّمَ ذُو تَقْــوَى بِصَــــالِحَةٍ ... قَدَّمْتُ بَيْنَ يَدَيْــهِ عَــــبْرَةَ النَّدَمِ
لَزِمْتُ بَابَ أَمِيرِ الْأَنْبِيَــاءِ، وَمَنْ ... يُمْسِكْ بِمِفْتَاحِ بَابِ اللهِ يَغْــتَـنِمِ
فَكُلُّ فَضْلٍ، وَإِحْسَــانٍ، وَعَــارِفَةٍ ... مَا بَيْنَ مُسْتَلِـمٍ مِنْــهُ وَمُلْتَــزِمِ
عَلَّقْتُ مِنْ مَدْحِهِ حَبْلًا أُعَــــزُّ بِهِ ... فِي يَوْمِ لَا عِزَّ بِالْأَنْسَابِ وَاللُّــحَمِ
يُزْرِي قَرِيضِي زُهَيْرًا حِيــنَ أَمْدَحُــهُ ... وَلَا يُقَــاسُ إِلَــى جُودِي لَدَى هَرِمِ
مُحَمَّدٌ صَفْوَةُ الْبَــارِي، وَرَحْمَتُــــهُ ... وَبُغْيَةُ اللهِ مِنْ خَلْــقٍ وَمِنْ نَسَمِ
وَصَاحِبُ الْحَوْضِ يَوْمَ الرُّسْلُ سَــائِلَةٌ ... مَتَى الْوُرُودُ؟ وَجِبْرِيلُ الْأَمِينُ ظَمِي
سَنَاؤُهُ وَسَنَاهُ الشَّمْــسُ طَــالِــعَةً ... فَالْجِرْمُ فِــي فَلَكٍ، وَالضَّوْءُ فِي عَلَمِ
قَدْ أَخْطَأَ النَّجْمَ مَــا نَالَــتْ أُبُوَّتُهُ ... مِنْ سُؤْدُدٍ بَــاذِخٍ فِي مَظْهَرٍ سَنِمِ

نُمُوا إِلَيْهِ، فَزَادُوا فِي الْوَرَى شَرَفًـــا ... وَرُبَّ أَصْـلٍ لِفَرْعٍ فِي الْفَخَارِ نُمِي

حَوَاهُ فِي سُبُحَاتِ الطُّهْــرِ قَبْلَهُــمُ ... نُورَانِ قَامَا مَقَامَ الصُّلْــبِ وَالرَّحِمِ

لَمَّـــا رَآهُ بَحِيـــرَا قَالَ: نَعْـرِفُهُ ... بِمَا حَفِظْنَـا مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالسِّيَـمِ

سَائِلْ حِرَاءَ، وَرُوحَ الْقُدْسِ: هَلْ عَلِمَا ... مَصُونَ سِرٍّ عَنِ الْإِدْرَاكِ مُنْكَتِـمِ؟

كَمْ جَيْئَةٍ وَذَهَابٍ شُرِّفَـــتْ بِهِمَا ... بَطْحَاءُ مَكَّةَ فِي الْإِصْبَاحِ وَالْغَسَمِ

وَوَحْشَةٍ لِابْنِ عَبْـــدِ اللهِ بَيْنَـهُمَا ... أَشْهَى مِنَ الْأُنْسِ بِالْأَحْبَابِ وَالْحَشَمِ

يُسَامِرُ الْوَحْيَ فِيهَا قَبْــلَ مَهْبِـطِهِ ... وَمَنْ يُبَشَّرْ بِسِيمَى الْخَيْــرِ يَتَّسِمِ

لَمَّا دَعَا الصَّحْبُ يَسْتَسْقُونَ مِنْ ظَمَأٍ ... فَاضَتْ يَدَاهُ مِنَ التَّسْنِــيمِ بِالسَّنَـمِ

وَظَـلَّلَتْهُ، فَصَــارَتْ تَسْتَظِــلُّ بِهِ ... غَمَـامَـةٌ جَذَبَتْهَـــا خِيــرَةُ الدِّيَــمِ

مَحَبَّـةٌ لِـرَسُـــولِ اللـــهِ أُشْرِبَـــهَا ... قَعَائِدُ الدَّيْرِ، وَالرُّهْبَـــانُ فِي الْقِمَمِ

إِنَّ الشَّمَـائِلَ إِنْ رَقَّـــتْ يَكَـادُ بِهَا ... يُغْرَى الْجَمَادُ، وَيُغْرَى كُلُّ ذِي نَسَمِ

وَنُودِيَ: اقْرَأْ. تَعَالَى اللهُ قَـــائِلُهَا ... لَمْ تَتَّصِلْ قَبْلَ مَنْ قِيلَـــتْ لَهُ بِفَمِ

هُنَـاكَ أَذَّنَ لِلرَّحْمَـــنِ، فَامْتَـلَأَتْ ... أَسْمَاعُ مَكَّةَ مِنْ قُدْسِيَّـــةِ النَّغَـــمِ

فَلَا تَسَلْ عَنْ قُرَيْشٍ كَيْفَ حَيْرَتُهَـــا؟ ... وَكَيْفَ نُفْرَتُهَا فِي السَّهْـــلِ وَالْعَلَمِ؟

تَسَاءَلُوا عَـــنْ عَظِيمٍ قَدْ أَلَمَّ بِـــهِمْ ... رَمَى الْمَشَـــايِخَ وَالْوِلْدَانَ بِاللَّمَـــمِ

يَا جَاهِلِينَ عَلَى الْهَادِي وَدَعْوَتِـــهِ ... هَلْ تَجْهَلُونَ مَكَانَ الصَّادِقِ الْعَلَـمِ؟

لَقَّبْتُمُوهُ أَمِينَ الْقَـوْمِ فِـــي صِغَـرٍ ... وَمَـا الْأَمِيـــنُ عَلَى قَوْلٍ بِمُتَّهَـمِ

فَاقَ الْبُدُورَ، وَفَاقَ الْأَنْبِيَـاءَ، فَكَـمْ ... بِالْخَلْقِ وَالْخُلْقِ مِنْ حُسْنٍ وَمِنْ عِظَمِ

جَاءَ النَّبِيُّونَ بِالْآيَاتِ، فَانْصَرَمَـتْ ... وَجِئْتَنَا بِحَكِيمٍ غَيْـرِ مُنْصَـــرِمِ

آيَاتُهُ كُلَّمَا طَـــالَ الْمَـدَى جُـدُدٌ ... يَزِينُـهُـــنَّ جَـــلَالُ الْعِتْـقِ وَالْقِـدَمِ

يَكَادُ فِي لَفْظَةٍ مِنْـــهُ مُشَـــرَّفَةٍ ... يُوصِيكَ بِالْحَقِّ، وَالتَّقْوَى، وَبِالرَّحِـمِ

يَا أَفْصَحَ النَّاطِقِيـنَ الضَّادَ قَاطِبَـةً ... حَدِيثُكَ الشَّهْدُ عِنْدَ الذَّائِـقِ الْفَهِـمِ

حَلَّيْتَ مِنْ عَطَلٍ جِيدَ الْبَيَـــانِ بِهِ ... فِي كُلِّ مُنْتَثِرٍ فِي حُسْنِ مُنْتَظِـــمِ

بِكُلِّ قَوْلٍ كَرِيـــمٍ أَنْـتَ قَائِلُـــهُ ... تُحْيِي الْقُلُوبَ، وَتُحْيِي مَيِّـتَ الْهِمَمِ

سَرَتْ بَشَائِرُ بِالْهَـادِي وَمَوْلِـــدِهِ ... فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مَسْرَى النُّورِ فِي الظُّلَمِ

تَخَطَّفَتْ مُهَجَ الطَّاغِيـنَ مِنْ عَرَبٍ ... وَطَيَّرَتْ أَنْفُسَ الْبَاغِيـنَ مِـنْ عَجَمِ

رِيعَتْ لَهَا شُرَفُ الْإِيوَانِ، فَانْصَدَعَتْ ... مِنْ صَدَمَةِ الْحَقِّ، لَا مِنْ صَدَمَةِ الْقُدُمِ

أَتَيْتَ وَالنَّاسُ فَوْضَى لَا تَمُرُّ بِهِمْ ... إِلَّا عَلَى صَنَمٍ قَدْ هَامَ فِي صَنَمِ

وَالْأَرْضُ مَمْلُوءَةٌ جَوْرًا، مُسَخَّرَةٌ ... لِكُلِّ طَاغِيَةٍ فِي الْخَلْقِ مُحْتَكِمِ

مُسَيْطِرُ الْفُرْسِ يَبْغِي فِي رَعِيَّتِهِ ... وَقَيْصَرُ الرُّومِ مِنْ كِبْرٍ أَصَمُّ عَمِ

يُعَذِّبَانِ عِبَادَ اللهِ فِي شُبَهٍ ... وَيَذْبَحَانِ كَمَا ضَحَّيْتَ بِالْغَنَمِ

وَالْخَلْقُ يَفْتِكُ أَقْوَاهُمْ بِأَضْعَفِهِمْ ... كَاللَّيْثِ بِالْبَهْمِ، أَوْ كَالْحُوتِ بِالْبَلَمِ

أَسْرَى بِكَ اللهُ لَيْلًا، إِذْ مَلَائِكُهُ ... وَالرُّسْلُ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى عَلَى قَدَمِ

لَمَّا خَطَرْتَ بِهِ الْتَفُّوا بِسَيِّدِهِمْ ... كَالشُّهْبِ بِالْبَدْرِ، أَوْ كَالْجُنْدِ بِالْعَلَمِ

صَلَّى وَرَاءَكَ مِنْهُمْ كُلُّ ذِي خَطَرٍ ... وَمَنْ يَفُزْ بِحَبِيبِ اللهِ يَأْتَمِمِ

جُبْتَ السَّمَوَاتِ أَوْ مَا فَوْقَهُنَّ بِهِمْ ... عَلَى مُنَوَّرَةٍ دُرِّيَّةِ اللُّجُمِ

رَكُوبَةٍ لَكَ مِنْ عِزٍّ وَمِنْ شَرَفٍ ... لَا فِي الْجِيَادِ، وَلَا فِي الْأَيْنُقِ الرُّسُمِ

مَشِيئَةُ الْخَالِقِ الْبَارِي، وَصَنْعَتُهُ ... وَقُدْرَةُ اللهِ فَوْقَ الشَّكِّ وَالتُّهَمِ

حَتَّى بَلَغْتَ سَمَاءً لَا يُطَارُ لَهَا ... عَلَى جَنَاحٍ، وَلَا يُسْعَى عَلَى قَدَمِ

وَقِيلَ: كُلُّ نَبِيٍّ عِنْدَ رُتْبَتِهِ ... وَيَا مُحَمَّدُ، هَذَا الْعَرْشُ فَاسْتَلِمِ

خَطَطْتَ لِلدِّينِ وَالدُّنْيَا عُلُومَهُمَا ... يَا قَارِئَ اللَّوْحِ، بَلْ يَا لَامِسَ الْقَلَمِ

أَحَطْتَ بَيْنَهُمَا بِالسِّرِّ، وَانْكَشَفَتْ ... لَكَ الْخَزَائِنُ مِنْ عِلْمٍ وَمِنْ حِكَمِ

وَضَاعَفَ الْقُرْبُ مَا قُلِّدْتَ مِنْ مِنَنٍ ... بِلَا عِدَادٍ، وَمَا طُوِّقْتَ مِنْ نِعَمِ

سَلْ عُصْبَةَ الشِّرْكِ حَوْلَ الْغَارِ سَائِمَةً ... لَوْلَا مُطَارَدَةُ الْمُخْتَارِ لَمْ تَسُمِ

هَلْ أَبْصَرُوا الْأَثَرَ الْوَضَّاءَ، أَمْ سَمِعُوا ... هَمْسَ التَّسَابِيحِ وَالْقُرْآنَ مِنْ أَمَمِ؟

وَهَلْ تَمَثَّلَ نَسْجُ الْعَنْكَبُوتِ لَهُمْ ... كَالْغَابِ، وَالْحَائِمَاتُ الزُّغْبُ كَالرَّخَمِ؟

فَأَدْبَرُوا، وَوُجُوهُ الْأَرْضِ تَلْعَنُهُمْ ... كَبَاطِلٍ مِنْ جَلَالِ الْحَقِّ مُنْهَزِمِ

لَوْلَا يَدُ اللهِ بِالْجَارَيْنِ مَا سَلِمَا ... وَعَيْنُهُ حَوْلَ رُكْنِ الدِّينِ لَمْ يَقُمِ

تَوَارَيَا بِجَنَاحِ اللهِ وَاسْتَتَرَا ... وَمَنْ يَضُمَّ جَنَاحُ اللهِ لَا يُضَمِ

يَا أَحْمَدَ الْخَيْرِ، لِي جَاهٌ بِتَسْمِيَتِي ... وَكَيْفَ لَا يَتَسَامَى بِالرَّسُولِ سَمِي؟

الْمَادِحُونَ وَأَرْبَابُ الْهَوَى تَبَعٌ ... لِصَاحِبِ الْبُرْدَةِ الْفَيْحَاءِ ذِي الْقَدَمِ

مَدِيحُهُ فِيكَ حُبٌّ خَالِصٌ وَهَوًى ... وَصَادِقُ الْحُبِّ يُمْلِي صَادِقَ الْكَلِمِ

اللـهُ يَـشْـهَـدُ أَنِّـــي لَا أُعَـــارِضُـهُ ... مَنْ ذَا يُعَارِضُ صَوْبَ الْعَارِضِ الْعَرِمِ؟
وَإِنَّمَا أَنَا بَعْضُ الْغَابِطِيـنَ، وَمَنْ ... يَـغْـبِـطْ وَلِـيَّـــكَ لَا يُـذْمَـــمْ، وَلَا يُـلَـــمِ
هَذَا مَقَامٌ مِنَ الرَّحْمَنِ مُقْتَبَـــسٌ ... تَرْمِي مَـهَـابَـتُـهُ سَـحْـبَـــانَ بِالْبَكَمِ
الْبَدْرُ دُونَكَ فِي حُسْنٍ وَفِي شَرَفٍ ... وَالْبَحْرُ دُونَكَ فِي خَيْرٍ وَفِي كَرَمِ
شُمُّ الْجِبَالِ إِذَا طَاوَلْتَهَا انْخَفَضَتْ ... وَالْأَنْجُمُ الزُّهْرُ مَا وَاسَمْتَهَـا تَسِمِ
وَاللَّيْثُ دُونَكَ بَأْسًا عِنْدَ وَثْبَـــتِهِ ... إِذَا مَشَيْتَ إِلَى شَاكِي السِّلَاحِ كَمِي
تَـهْفُو إِلَيْكَ — وَإِنْ أَدْمَيْتَ حَبَّتَـهَا ... فِي الْحَرْبِ — أَفْئِدَةُ الْأَبْطَالِ وَالْبُهَمِ
مَـحَـبَّـةُ اللـــهِ أَلْـقَـاهَـا وَهَـيْـبَـتُـــهُ ... عَلَى ابْنِ آمِنَـــةٍ فِي كُلِّ مُصْطَدَمِ
كَـأَنَّ وَجْـهَكَ تَـحْتَ النَّقْعِ بَدْرُ دُجًى ... يُضِـــيءُ مُلْتَثِمًا، أَوْ غَيْـرَ مُلْتَثِمِ
بَـدْرٌ تَـطَـلَّـعَ فِـي بَـــدْرٍ، فَـغُـرَّتُـــهُ ... كَـغُـرَّةِ النَّـصْـرِ، تَجْلُو دَاجِيَ الظُّلَمِ
ذُكِرْتَ بِالْيُتْمِ فِي الْقُرْآنِ تَكْرِمَـــةً ... وَقِيمَـــةُ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ فِي الْيُتُـــمِ
اللـهُ قَسَّمَ بَيْنَ النَّاسِ رِزْقَـــهُمُ ... وَأَنْتَ خُيِّرْتَ فِي الْأَرْزَاقِ وَالْقِسَـــمِ
إِنْ قُلتَ فِي الْأَمْرِ:لَا،أَوْ قُلْتَ فِيهِ:نَعَمْ ... نَـعَمْ فَخِيرَةُ اللهِ فِي لَا مِنْكَ أَوْ نَـعَـمِ
أَخُوكَ عِيسَى دَعَا مَيْتًا فَقَـامَ لَـهُ ... وَأَنْـــتَ أَحْيَيْتَ أَجْيَالًا مِنَ الرِّمَـمِ
وَالْجَـهْلُ مَوْتٌ، فَإِنْ أُوتِيتَ مُعْجِـزَةً ... فَابْعَثْ مِنَ الْجَهْلِ أَوْفَابْعَثْ مِنَ الرَّجَمِ
قَالُوا: غَزَوْتَ، وَرُسْلُ اللهِ مَا بُعِثُوا ... لِقَتْـــلِ نَفْـسٍ وَلَا جَـــاءُوا لِسَفْكِ دَمِ
جَـهْلٌ وَتَضْلِيلُ أَحْلَامٍ وَسَفْسَـطَةٌ ... فَتَحْـــــتَ بِالسَّيْفِ بَعْدَ الْفَتْحِ بِالْقَلَمِ
لَـمَّا أَتَـى لَكَ عَفْوًا كُلُّ ذِي حَسَبٍ ... تَكَفَّـــلَ السَّـــيْفُ بِالْجُهَّـــالِ وَالْعَمَمِ
وَالشَّرُّ إِنْ تَلْقَهُ بِالْخَيْرِ ضِقْتَ بِهِ ... ذَرْعًا وَإِنْ تَلْقَهُ بِالشَّـــرِّ يَنْـــحَسِمِ
سَلِ الْمَسِيحِيَّةَ الْغَرَّاءَ كَمْ شَرِبَـتْ ... بِالصَّـابِ مِنْ شَهَوَاتِ الظَّالِـمِ الْغَلِمِ
طَرِيدَةُ الشِّرْكِ، يُؤْذِيهَا وَيُوسِعُهَـا ... فِي كُلِّ حِيـــنٍ قِتَالًا سَاطِعَ الْحَدَمِ
لَوْلَا حُمَاةٌ لَـهَا هَبُّوا لِنُـصْرَتِـــهَـا ... بِالسَّيْفِ مَا انْتَفَـعَتْ بِالرِّفْقِ وَالرُّحَمِ
لَوْلَا مَكَانٌ لِعِيسَى عِنْدَ مُرْسِلِـــهِ ... وَحُرْمَةٌ وَجَبَتْ لِلـــرُّوحِ فِي الْـــقِدَمِ
لَسُمِّرَ الْبَدَنُ الطُّهْرُ الشَّرِيفُ عَلَى ... لَوْحَيْنِ، لَمْ يَخْشَ مُؤْذِيهِ وَلَـمْ يَجِمِ
جَلَّ الْمَسِيحُ، وَذَاقَ الصَّلْبَ شَانِئُهُ ... إِنَّ الْعِقَـابَ بِقَـدْرِ الذَّنْبِ وَالْجُرُمِ
أَخُو النَّـبِـيِّ، وَرُوحُ اللـــهِ فِي نُزُلٍ ... فَوْقَ السَّمَاءِ وَدُونَ الْعَـرْشِ مُحْتَرَمِ

عَلَّمْتَهُمْ كُلَّ شَيْءٍ يَجْهَلُونَ بِهِ ... حَتَّى الْقِتَالَ وَمَا فِيهِ مِنَ الذِّمَمِ
دَعَوْتَهُمْ لِجِهَادٍ فِيهِ سُؤْدُدُهُمْ ... وَالْحَرْبُ أُسُّ نِظَامِ الْكَوْنِ وَالْأُمَمِ
لَوْلَاهُ لَمْ نَرَ لِلدَّوْلَاتِ فِي زَمَنٍ ... مَا طَالَ مِنْ عَمَدٍ، أَوْ قَرَّ مِنْ دَعَمِ
تِلْكَ الشَّوَاهِدُ تَتْرَى كُلَّ آوِنَةٍ ... فِي الْأَعْصُرِالْغُرِّ،لَافِي الْأَعْصُرِالدُّهُمِ
بِالْأَمْسِ مَالَتْ عُرُوشٌ، وَاعْتَلَتْ سُرُرٌ ... لَوْلَا الْقَذَائِفُ لَمْ تُثْلَمْ، وَلَمْ تُصَمِ
أَشْيَاعُ عِيسَى أَعَدُّوا كُلَّ قَاصِمَةٍ ... وَلَمْ نُعِدَّ سِوَى حَالَاتِ مُنْقَصِمِ
مَهْمَا دُعِيتَ إِلَى الْهَيْجَاءِ قُمْتَ لَهَا ... تَرْمِي بِأُسْدٍ وَيَرْمِي اللهُ بِالرُّجُمِ
عَلَى لِوَائِكَ مِنْهُمْ كُلُّ مُنْتَقِمٍ ... للهِ، مُسْتَقْتِلٍ فِي اللهِ، مُعْتَزِمِ
مُسَبِّحٍ لِلِقَاءِ اللهِ، مُضْطَرِمٍ ... شَوْقًا، عَلَى سَابِحٍ كَالْبَرْقِ مُضْطَرِمِ
لَوْ صادَفَ الدَّهْرَ يَبْغِي نَقْلَةً، فَرَمَ ... بِعَزْمِهِ فِي رِحَالِ الدَّهْرِ لَمْ يَرِمِ
بِيضٌ، مَفَالِيلُ مِنْ فِعْلِ الحُرُوبِ بِهِمْ ... مِنْ أَسْيُفِ اللهِ، لَا الْهِنْدِيَّةِ الْخُذُمِ
كَمْ فِي التُّرَابِ إِذَا فَتَّشْتَ عَنْ رَجُلٍ ... مَنْ مَاتَ بِالْعَهْدِ، أَوْ مَنْ مَاتَ بِالْقَسَمِ
لَوْلَا مَوَاهِبُ فِي بَعْضِ الْأَنَامِ لَمَا ... تَفَاوَتَ النَّاسُ فِي الْأَقْدَارِ وَالْقِيَمِ
شَرِيعَةٌ لَكَ فَجَّرْتَ الْعُقُولَ بِهَا ... عَنْ زَاخِرٍ بِصُنُوفِ الْعِلْمِ مُلْتَطِمِ
يَلُوحُ حَوْلَ سَنَا التَّوْحِيدِ جَوْهَرُهَا ... كَالْحَلْيِ للسَّيْفِ أَوْ كَالْوَشْيِ لِلْعَلَمِ
غَرَّاءُ، حَامَتْ عَلَيْهَا أَنْفُسٌ، وَنُهًى ... وَمَنْ يَجِدْ سَلْسَلًا مِنْ حِكْمَةٍ يَحُمِ
نُورُ السَّبِيلِ يُسَاسُ الْعَالَمُونَ بِهَا ... تَكَفَّلَتْ بِشَبَابِ الدَّهْرِ وَالْهَرَمِ
يَجْرِي الزَّمَانُ وَأَحْكَامُ الزَّمَانِ عَلَى ... حُكْمٍ لَهَا نَافِذٍ فِي الْخَلْقِ، مُرْتَسِمِ
لَمَّا اعْتَلَتْ دَوْلَةُ الْإِسْلَامِ وَاتَّسَعَتْ ... مَشَتْ مَمَالِكُهُ فِي نُورِهَا التَّمَمِ
وَعَلَّمَتْ أُمَّةً بِالْقَفْرِ نَازِلَةً ... رَعْيَ الْقَيَاصِرِ بَعْدَ الشَّاءِ وَالنَّعَمِ
كَمْ شَيَّدَ الْمُصْلِحُونَ الْعَامِلُونَ بِهَا ... فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مُلْكًا بَاذِخَ الْعِظَمِ
لِلْعِلْمِ وَالْعَدْلِ وَالتَّمْدِينِ مَا عَزَمُوا ... مِنَ الْأُمُورِ وَمَا شَدُّوا مِنَ الْحُزُمِ
سَرْعَانَ مَا فَتَحُوا الدُّنْيَا لِمِلَّتِهِمْ ... وَأَنْهَلُوا النَّاسَ مِنْ سَلْسَالِهَا الشَّبِمِ
سَارُوا عَلَيْهَا هُدَاةَ النَّاسِ فَهْيَ بِهِمْ ... إِلَى الْفَلَاحِ طَرِيقٌ وَاضِحُ الْعِظَمِ
لَا يَهْدِمُ الدَّهْرُ رُكْنًا شَادَ عَدْلُهُمُ ... وَحَائِطُ الْبَغْيِ إِنْ تَلْمَسْهُ يَنْهَدِمِ
نَالُوا السَّعَادَةَ فِي الدَّارَيْنِ وَاجْتَمَعُوا ... عَلَى عَمِيمٍ مِنَ الرِّضْوَانِ مُقْتَسَمِ

دَعْ عَنْكَ رُومَا وَآثِينَا وَمَا حَوَتَا ... كُلُّ الْيَوَاقِيتِ فِي بَغْدَادَ وَالتُّوَمِ
وَخَلِّ كِسْرَى، وَإِيوَانًا يَدِلُّ بِهِ ... هَوًى عَلَى أَثَرِ النِّيرَانِ وَالْأُيُمِ
وَاتْرُكْ رَعَمْسِيسَ، إِنَّ الْمُلْكَ مَظْهَرُهُ ... فِي نَهْضَةِ الْعَدْلِ لَا فِي نَهْضَةِ الْهَرَمِ
دَارُ الشَّرَائِعِ رُومَا كُلَّمَا ذُكِرَتْ ... دَارُ السَّلَامِ لَهَا أَلْقَتْ يَدَ السَّلَمِ
مَا ضَارَعَتْهَا بَيَانًا عِنْدَ مُلْتَأَمٍ ... وَلَا حَكَتْهَا قَضَاءً عِنْدَ مُخْتَصَمِ
وَلَا احْتَوَتْ فِي طِرَازٍ مِنْ قَيَاصِرِهَا ... عَلَى رَشِيدٍ وَمَأْمُونٍ وَمُعْتَصِمِ
مِنَ الَّذِينَ إِذَا سَارَتْ كَتَائِبُهُمْ ... تَصَرَّفُوا بِحُدُودِ الْأَرْضِ وَالتُّخُمِ
وَيَجْلِسُونَ إِلَى عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ ... فَلَا يُدَانَوْنَ فِي عَقْلٍ وَلَا فَهَمِ
يُطَأْطِئُ الْعُلَمَاءُ الْهَامَ إِنْ نَبَسُوا ... مِنْ هَيْبَةِ الْعِلْمِ لَا مِنْ هَيْبَةِ الْحُكُمِ
وَيُمْطِرُونَ، فَمَا بِالْأَرْضِ مِنْ مَحَلٍ ... وَلَا بِمَنْ بَاتَ فَوْقَ الْأَرْضِ مِنْ عُدُمِ
خَلَائِفُ اللهِ جَلُّوا عَنْ مُوَازَنَةٍ ... فَلَا تَقِيسَنَّ أَمْلَاكَ الْوَرَى بِهِمِ
مَنْ فِي الْبَرِيَّةِ كَالْفَارُوقِ مَعْدَلَةً؟ ... وَكَابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْخَاشِعِ الْحَشِمِ؟
وَكَالْإِمَامِ إِذَا مَا فَضَّ مُزْدَحَمًا ... بِمَدْمَعٍ فِي مَآقِي الْقَوْمِ مُزْدَحِمِ
الزَّاخِرُ الْعَذْبُ فِي عِلْمٍ وَفِي أَدَبٍ ... وَالنَّاصِرُ النَّدْبُ فِي حَرْبٍ وَفِي سَلَمِ؟
أَوْ كَابْنِ عَفَّانَ وَالْقُرْآنُ فِي يَدِهِ ... يَحْنُو عَلَيْهِ كَمَا تَحْنُو عَلَى الْفُطُمِ
وَيَجْمَعُ الْآيَ تَرْتِيبًا وَيَنْظِمُهَا ... عِقْدًا بِجِيدِ اللَّيَالِي غَيْرَ مُنْفَصِمِ؟
جُرْحَانِ فِي كَبِدِ الْإِسْلَامِ مَا الْتَأَمَا ... جُرْحُ الشَّهِيدِ، وَجُرْحٌ بِالْكِتَابِ دَمِي
وَمَا بَلَاءُ أَبِي بَكْرٍ بِمُتَّهَمٍ ... بَعْدَ الْجَلَائِلِ فِي الْأَفْعَالِ وَالْخِدَمِ
بِالْحَزْمِ وَالْعَزْمِ حَاطَ الدِّينَ فِي مِحَنٍ ... أَضَلَّتِ الْحِلْمَ مِنْ كَهْلٍ وَمُحْتَلِمِ
وَحِدْنَ بِالرَّاشِدِ الْفَارُوقِ عَنْ رَشَدٍ ... فِي الْمَوْتِ، وَهْوَ يَقِينٌ غَيْرُ مُنْبَهِمِ
يُجَادِلُ الْقَوْمَ مُسْتَلًّا مُهَنَّدَهُ ... فِي أَعْظَمِ الرُّسْلِ قَدْرًا كَيْفَ لَمْ يَدُمِ؟
لَا تَعْذِلُوهُ إِذَا طَافَ الذُّهُولُ بِهِ ... مَاتَ الْحَبِيبُ فَضَلَّ الصَّبُّ عَنْ رَغَمِ
يَا رَبِّ صَلِّ وَسَلِّمْ مَا أَرَدْتَ عَلَى ... نَزِيلِ عَرْشِكَ خَيْرِ الرُّسْلِ كُلِّهِمِ
مُحْيِي اللَّيَالِي صَلَاةً، لَا يُقَطِّعُهَا ... إِلَّا بِدَمْعٍ مِنَ الْإِشْفَاقِ مُنْسَجِمِ
مُسَبِّحًا لَكَ جُنْحَ اللَّيْلِ، مُحْتَمِلًا ... ضُرًّا مِنَ السُّهْدِ أَوْ ضُرًّا مِنَ الْوَرَمِ
رَضِيَّةً نَفْسُهُ لَا تَشْتَكِي سَأَمًا ... وَمَا مَعَ الْحُبِّ إِنْ أَخْلَصْتَ مِنْ سَأَمِ

وَصَـلِّ رَبِّـي عَـلَـى آلٍ لَـــهُ نُـخَـبٍ ... جَـعَلْتَ فِيهِمْ لِوَاءَ الْبَيْـــتِ وَالْـــحَرَمِ
بِيضُ الْوُجُوهِ، وَوَجْهُ الدَّهْرِ ذُو حَلَكٍ ... شُمُّ الْأُنُوفِ، وَأَنْفُ الْحَادِثَـاتِ حَمِي
وَأَهْدِ خَـيْـرَ صَـلَاةٍ مِـنْـكَ أَرْبَـعَــةً ... فِي الصَّحْبِ، صُحْبَتُهُمْ مَرْعِيَّةُ الْحُرَمِ
الـرَّاكِـبِـينَ إِذَا نَـادَى الـنَّـبِـيُّ بِـهِـــمْ ... مَـا هَـالَ مِـنْ جَـلَلٍ، وَاشْـتَـدَّ مِنْ عَـمَمِ
الـصَّـابِـرِينَ وَنَـفْـسُ الْأَرْضِ وَاجِـفَـةٌ ... الـضَّـاحِـكِـينَ إِلَـى الْأَخْـطَـارِ وَالْـقُـحَـــمِ
يَـا رَبِّ، هَـبَّـتْ شُـعُـوبٌ مِـنْ مَـنِـيَّـتِـهَـا ... وَاسْـتَـيْـقَـظَـتْ أُمَـمٌ مِـــنْ رَقْـدَةِ الْـعَـــدَمِ
سَـعْـدٌ وَنَـحْـسٌ وَمُـلْـكٌ أَنْـتَ مَـالِـكُـــهُ ... تُـدِيـلُ مِـنْ نِـعَـــمٍ فِـيـهِ، وَمِـنْ نِـــقَـمِ
رَأَى قَـضَـاؤُكَ فِـيـنَـــا رَأْيَ حِـكْـمَـتِـــهِ ... أَكْـرِمْ بِـوَجْـهِـكَ مِـــنْ قَـاضٍ وَمُـنْـــتَـقِـمِ
فَـالْـطُـفْ لِأَجْلِ رَسُولِ الْـعَـالَـمِـينَ بِـنَـا ... وَلَا تَـزِدْ قَـوْمَـهُ خَـسْـــــفًا وَلَا تَـسُـــمِ
يَـا رَبِّ أَحْـسَـنْـتَ بَـدْءَ الْـمُـسْـلِـمِـينَ بِـهِ ... فَـتَـمِّـمِ الْـفَـضْـلَ وَامْـنَـحْ حُـسْـنَ مُـخْـتَـتَـمِ

قصيدة "الهمزيّة النبيويّة":

وُلد الهُـــدى فالكـائنـاتُ ضياءُ ... وفمُ الزمـــان تبسُّـــمٌ وثنـاءُ
الرُّوحُ والمـــلأُ المَلائـكُ حـــولَهُ ... للدِّيــن والدنيـا بـــه بُشـراءُ
والعـــرشُ يزهُو والحظيـرةُ تَزدهي ... والمُنتـهى والسّـدِرةُ العَصـماءُ
وحديقةُ الفُرقـــان ضاحكـةُ الرُّبـا ... بالترجـمـان شـــذيَّةٌ غنَّـــاءُ
والوحيُ يَقطر سلسلًا مِن سلســلٍ ... واللَّـــوحُ والقـلمُ البديـع رُواءُ
نُظِمَت أسامي الرُّسْل فهْي صحيفةٌ ... في اللَّوح واسـمُ محمـــدٍ طُغراءُ
اسمُ الجلالة في بديـــــع حروفهِ ... ألِفٌ هنالـك واسـمُ «طه» الباءُ

•••

يا خيرَ مَـن جـاء الوجودَ تحيةً ... من مُرسَلِين إلى الهدى بك جاءُوا
بيتُ النبيـــين الذي لا يلتـقي ... إلا الحنائـــفُ فيـه والحُنفـاءُ
خيرُ الأُبوَّة حازَهـم لـك «آدمٌ» ... دُون الأنـــام وأحـــرزَت حـوَّاءُ
همْ أدرَكـوا عِز النبـوَّة وانتهَت ... فيها إليـك العِـزةُ القعســـاءُ
خُلِقَت لبَيتـكَ وهْـو مخلوقٌ لها ... إن العظـائم كُفـؤُها العُظـماءُ
بِك بشَّر اللهُ السمـاءَ فزُيِّنَـــت ... وتضوَّعَـت مِسكًا بـك الغَبـراءُ
وبـــدا مُحيَّـاك الذي قسَـمـاتُهُ ... حـقٌّ وغُـرَّتُه هُـدًى وحيـاءُ
وعليه مِن نُـور النبـوَّة رَونـــقٌ ... ومِن الخليل وهَديِـه سِيمـــاءُ
أثنى «المسيحُ» عليه خلفَ سمائِـهِ ... وتهلَّلَـت واهـتزَّت «العـذراءُ»
يومٌ يَتيهُ علـى الزمـان صباحُـهُ ... ومَســاؤه بـ «محمدٍ» وضَّـاءُ
الحقُّ عالي الرُّكن فيـــه مُظـفَّر ... في المُلـــك لا يعلُو عليه لواءُ
ذُعِرَت عروشُ الظالمـين فزُلزِلَـت ... وعلَت على تِيجـــانهم أصداءُ
والنارُ خاويةُ الجوانب حولهـــــم ... خمَدَت ذوائبُها وغـــاضَ الماءُ
والآيُ تَتـرَى والخـــوارقُ جـمَّة ... «جبريلُ» روَّاحٌ بـــها غـــدَّاءُ
نِعمَ اليتيمُ بدَت مَخـايلُ فضـــلِهِ ... واليُتـمُ رزقٌ بعضُـه وذكـاءُ

في المَهد يُستسقى الحيـــا برجائِهِ وبقصده تُستدفَــع البأســـاءُ
بسوى الأمانة في الصِّبا والصدق لم يعرفه أهلُ الصـدق والأُمنـاءُ
يا مَن له الأخلاقُ ما تهـوى العُلا منها ومـا يتعشَّــق الكُبــراءُ
لو لم تُقِم دِينًا لقـــامت وحدهـــا دينًا تُضــيء بنُــوره الآنـــاءُ
زانَتك في الخُلق العظيـــم شمائلٌ يُغرى بهنَّ ويُولَــع الكُرمـــاءُ
أما الجَمـــال فأنت شمسُ سمائِـــهِ وملاحةُ «الصدِّيق» منك أياءُ
والحسنُ مـن كرَمِ الوجـــوه وخيـرُهُ ما أُوتـــيَ القُوادُ والزُّعمـــاءُ
فإذا سخَوتَ بلَغتَ بالجود المَـدى وفعلتَ ما لا تفعــل الأنــواءُ
وإذا عفَوتَ فقـــادرًا ومــقــدَّرًا لا يَستـهين بعَفـوِك الجُهــلاءُ
وإذا رحِمـــتَ فأنـــت أمٌّ أو أبٌ هذانِ في الدنيا هما الرُّحمـــاءُ
وإذا غضِبتَ فإنما هي غضبـــةٌ في الحق لا ضِغنٌ ولا بغضـاءُ
وإذا رضيتَ فذاك في مرضـــاتِهِ ورِضا الكثير تحلّـــمٌ ورِيـــاءُ
وإذا خطَبـــتَ فلِلمنـــابرِ هِـزَّةٌ تعرُو النَّديَّ ولِلقلـــوب بُكـاءُ
وإذا قضَيتَ فلا ارتيـــابَ كأنمـــا جاءَ الخصومَ من السماء قضاءُ
وإذا حميتَ المـــاءَ لم يُورَد ولـو أن القياصر والملـــوك ظِمـــاءُ
وإذا أجَرتَ فأنـــت بيتُ الله لـم يدخُل عليــه المُستجـــيرَ عداءُ
وإذا ملَكـــتَ النفسَ قُمـــتَ ببِرِّها ولوَ انَّ ما ملَكتَ يداك الشـــاءُ
وإذا بنيـــتَ فخيـــرُ زوجٍ عِشرةً وإذا ابتنيـــتَ فدُونـــك الآبـــاءُ
وإذا صحِبتَ رأى الوفاءَ مجسّـمًا في بُردِك الأصحابُ والخُلطـاءُ
وإذا أخذتَ العـهدَ أو أعطيتَـــه فجميعُ عهدِك ذِمّـــةٌ ووفـــاءُ
وإذا مشيتَ على العِدا فغضـــنفرٌ وإذا جريتَ فإنـــك النكبـــاءُ
وتمُدُّ حِلمَك للسفيـــــه مُداريًـــا حتى يضيق بعِرضـك السُّفهاءُ
في كلِّ نفسٍ من سُطاك مَهابـــةٌ ولكلِّ نفسٍ في نـــداك رجـــاءُ
والرأيُ لم يُنضَ المهنَّـــدُ دُونـــهُ كالسيف لـــم تُضرَب به الآراءُ

•••

يا أيها الأُميُّ حسبُــك رتبــةً في العلم أنْ دانت بك العلمــاءُ
الذِّكرُ آيةُ ربِّك الكبــرى التي فيها لباغي المعجــزات غَنــاءُ
صَدْرُ البيان له إذا التقَت اللُّغَى وتقدَّم البُلغــتاءُ والفُصحــاءُ
نُسِخَت به التوراةُ وهْي وضيئـة وتخلَّف الإنجيــلُ وهْـو ذُكــاءُ
لمَّا تمشَّى في «الحجاز» حكيمُه فُضَّت «عكاظُ» بــه وقــام حِراءُ
رى بمَنطق أهلــه وبيــانِهــم وحيٌ يُقصِّــر دُونــه البُلغــاءُ
حسدوا فقالوا شاعـرٌ أو ساحــرٌ ومِن الحسودِ يكـون الاستهــزاءُ
قد نال بـ «الهادي» الكريم وبـ «الهُدى» ما لم تنَل من سؤددٍ سينــاءُ
أمسى كأنــك من جلالك أُمــةٌ وكأنــه مــن أُنســه بَيــداءُ
يُوحَى إليك الفوزُ في ظلماتِــهِ مُتتابعًا تُجلــى بــه الظَّلمــاءُ
دِيــنٌ يُشيِّــد آيــةً في آيــة لَبِناتُــه السُّوراتُ والأضــواءُ
الحق فيه هو الأساسُ وكيف لا واللهُ جل جلاله البنَّــاءُ
أما حديثك في العقول فمَشـرَعٌ والعِلمُ والحِكــمُ الغوالي المــاءُ
هو صِبغةُ الفُرقان نفحةُ قُدسِـهِ والسِّيــنُ من سُوراتِــه والمــراءُ
جرَت الفصاحةُ من ينابيعِ النُّهى مِن دَوحِـه وتفجَّــر الإنشــاءُ
في بَحرِه للسابحيــن بـه على أدبِ الحيــاة وعِلمِهـا إرســاءُ
أتَت الدهورُ على سُـلافته ولم تفنَ السُّلافُ ولا سَـلا النُّدمــاءُ

•••

بِك يا ابنَ عبدِ الله قامت سمحةٌ بالحق مِن مِلَلِ الهُـدى غرَّاءُ
بُنِيَت على التوحيد وهْي حقيقـةٌ نادَى بها سقـراطُ والقُدمــاءُ
وجَد الزُّعافَ من السُّموم لأجلها كالشَّهد ثم تَتــابَع الشُّهــداءُ
ومشى على وجه الزمان بنُورها كُهَّانُ وادي النيل والعُرفــاءُ
إيزيسُ ذاتُ المُلك حين توحَّدَت أخذَت قِوامَ أمــورها الأشياءُ
لمَّا دعَوتَ الناسَ لبَّى عــاقلٌ وأصمَّ منك الجــاهلين نداءُ

أبَوُا الخروجَ إليك من أوهـامهم ... والناسُ في أوهـــامهم سُجنـاءُ
ومِن العقول جداولٌ وجلامــدٌ ... ومِن النفوس حـرائرٌ وإمـــتاءُ
داءُ الجماعة مِن أرسطاليسَ لم ... وصَف له حتـى أتيـــتَ دواءُ
فرسمتَ بعدك للعباد حكومــةً ... لا سُوقـةٌ فيها ولا أُمـــــــراءُ
اللهُ فوقَ الخَلق فيها وحـــــدَهُ ... والناسُ تحتَ لِوائـــها أكْـــفاءُ
والدِّينُ يُسرٌ والخلافةُ بيعـــةٌ ... والأمرُ شُورى والحـقوقُ قضاءُ
الإشتراكيون أنت إمامُـــــهم ... لــولا دعـاوى القــوم والغُلـواءُ
داويتَ مُتَّئِدًا وداوَوا طـــفرةً ... وأخَفُّ من بعــض الدواء الداءُ
الحربُ في حق لديك شـريعةٌ ... ومِن السُّمـــوم الناقـعات دواءُ
والبِرُّ عندك ذمةٌ وفريضـــةٌ ... لا مِنَّـــةٌ مـــمنونـةٌ وجِبـاءُ
جاءَت فوحَّدَت الزكاةُ سبيلَـته ... حتى الْتقى الكُرماءُ والبُـخلاءُ
أنصَفتَ أهلَ الفقر مِن أهل الغِنى ... فالكلُّ في حــق الحـياة سواءُ
فلوَ انَّ إنسانًا تخـــيَّر مِلــةً ... ما اخـتار إلا دِيـنَك الفـقراءُ

•••

يا أيها المُسرى به شَرفًا إلى ... ما لا تَنالُ الشـمسُ والجَـوزاءُ
يتساءلون وأنتَ أطهَرُ هيكلٍ ... بالرُّوح أم بالهيكــل الإســراءُ
بهِما سمَوتَ مُطهَّرَين كلاهما ... نـــــورٌ وريحانيـــةٌ وبَـهـــاءُ
فضلٌ عليك لِذي الجلال ومِنَّةٌ ... واللهُ يفعل ما يَرى ويشاءُ
تغشى الغُيوبَ من العوالم كُلَّما ... طُوِيَت سماءٌ قُلِّدَتك سماءُ
في كلِّ مِنطقـةٍ حواشـي نورها ... نونٌ وأنتَ النقــطةُ الزهراءُ
أنتَ الجَمالُ بها وأنتَ المُجتلـى ... والكفُّ والمِـرآةُ والحسنـــاءُ
الله هيَّأ مِن حظـــــيرةِ قُدسـِهِ ... نُزُلًا لِذاتِــك لم يجُـزه عَلاءُ
العــرشُ تحــتك سُدَّةً وقوائمًـا ... ومَناكبُ الرُّوح الأمين وِطاءُ
والرُّسْلُ دون العرش لم يُؤذَن لهم ... حاشــا لغـيرِك مَوعدٌ ولقاءُ

•••

الخيل تأبى غيرَ «أحمدَ» حاميًا وبها إذا ذُكِر اسمُه خُيــلاءُ
شيخُ الفوارس يعلَمــون مكانَــهُ إنْ هيَّجَت آسادَها الهَيــجاءُ
وإذا تــصــدَّى للظُّبــا فمُهــنَّدٌ أو للرماح فصَعـدةٌ ســمراءُ
وإذا رمـــى عن قوســِهِ فيمــينُهُ قَدَرٌ وما ترمي اليمينُ قضاءُ
من كل داعي الحق همَّةُ سيــفِهِ فلِسَيفِه في الراسيات مَضاءُ
ساقي الجريحِ ومُطعِم الأَسرى ومَن أمِنَت سَنابكَ خَيلِه الأشلاءُ
إنَّ الشجاعةَ في الرجال غلاظــةٌ ما لم تَزِنهــا رأفةٌ وسخـــاءُ
والحربُ من شَرَفِ الشعوب فإن بغَوا فالمَجـدُ مـمَّا يدَّعــون بَراءُ
والحــربُ يبعثُهـا القــويُّ تجـبُّرًا ويَنوءُ تحت بَلائها الضُّعفاءُ
كــم مــنِ غَزاةٍ للرســولِ كريــمةٍ فيها رضًــا للحــقِّ أو إعلاءُ
كانـــت لجُــندِ الله فـــيها شِـدَّةٌ في إثرِهــا للعالَمِــين رَخــاءُ
ضرَبوا الضلالةَ ضربةً ذهبَت بهـا فعَلى الجَهالة والضلال عَفاءُ
دعَموا على الحرب السلامَ وطالما حقَنَـت دماءً في الزمان دِماءُ

•••

الحــقُّ عِرضُ اللهِ كــلُّ أبيَّــةٍ بين النفوسِ حِمًى له ووِقــاءُ
هل كان حوْلَ «محمدٍ» من قومِهِ إلا صــبيٌّ واحــدٌ ونســاءُ
فدَعا فلبَّى في القبائــل عُصـبةٌ مُستضعَفون قلائـلٌ أنضــاءُ
ردُّوا بِيأسِ العَزمِ عنه مــن الأذى ما لا تَردُّ الصخــرةُ الصمَّاءُ
والحقُّ والإيمــانُ إن صُــبَّا على بردٍ ففيــه كتــيبــةٌ خَرســاءُ
نسـفوا بِناءَ الشِّرك فهْو خرائــبٌ واستأصَلوا الأصنامَ فهْي هَباءُ
يَمشون تُغضِي الأرضُ منهم هيبةً وبهِــم حِيالَ نعيمِها إغضاءُ
حتى إذا فُتِــحت لهــم أطرافُهــا لم يُطغِــهم تـرَفٌ ولا نَعمــاءُ

•••

يا مَن له عِزُّ الشفاعة وَحـــدَهُ وهُو المُنزَّه ما له شُفعـــــاءُ
عرشُ القيامة أنتَ تحت لوائـــهِ والحَوضُ أنـتَ حِيالَه السَّقــاءُ
تروي وتسقي الصالحين ثوابَــهم والصالحاتُ ذخائرٌ وجـــزاءُ
أَلِمِثلِ هذا ذُقتَ في الدنيــا الطَّوى وانشقَّ مِن خلَقٍ عليــك رِداءُ
لي في مديــحك يا رسولُ عرائسٌ تُيِّمنَ فيك وشاقَهنَّ جـــلاءُ
هُنَّ الحِسانُ فإن قبِـــلتَ تكـرُّمًا فمُهـــورُهنَّ شفاعةٌ حَسنـــاءُ
أنتَ الذي نظَـم البريَّةَ دينُـــــهُ ماذا يقول ويَنـظم الشُّـــعراءُ
المُصلِحون أصابعٌ جُمِـــعت يدًا هي أنتَ بَل أنتَ اليدُ البيضاءُ
ما جئتُ بابَــك مادحًا بل داعيًــا ومِن المديح تضرُّعٌ ودُعـــاءُ
أدعُوك عن قومي الضِّعافِ لأزمةٍ في مِثلها يُلقَى عليـك رجـاءُ
أدَرى رســـولُ الله أنَّ نُفوسَـــهم ركِبَت هواها والقلوبُ هـــواءُ
مُتفكِّكـون فما تضـــمُّ نُفوسَـــهم ثقةٌ ولا جمَع القلوبَ صـــفاءُ
رقَدوا، وغرـــــَّهمُ نعيمٌ بـــاطلٌ ونعيمُ قومٍ في القُيود بـــلاءُ

•••

ظلَموا شريعتَك التي نِلْنـــا بهـــا ما لم ينـــل في رومةَ الفُقهاءُ
مشَتِ الحضارةُ في سَناها واهتدى في الدِّين والدنيا بها السُّعـداءُ
صلَّى عليك اللهُ ما صحِبَ الدُّجى حـــادٍ وحنّـَت بالفلا وَجْنـــاءُ
واستقبل الرضوانَ في غُرُفاتِهـم بجِنانِ عَدنٍ آلُكَ السُّمـــحاءُ
خيرُ الوسائل مَن يقع منهم على سببٍ إليك فحســبِيَ «الزهراءُ»

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

✓ القرآن الكريم: برواية ورش عن نافع.

قائمة المصادر:

- أحمد شوقي: الشّوقيات، ج1، مؤسسّة هنداوي للتّعليم والثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2012م.

قائمة المراجع:

الكتب العربيّة:

1- إبراهيم أنيس: موسيقى الشّعر، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، مصر، ط2، 1952م.

2- إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ج1، تح: إبراهيم مدكور، المكتبة الإسلاميّة، القاهرة، مصر، ط2، 1972م.

3- ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة،دار ابن حزم،بيروت ،لبنان،ط1، 2012م.

4- ابن الكلبي: كتاب الأصنام، تح: أحمد زكي باشا، دار الكتب المصريّة، القاهرة، مصر، ط2، 1925م.

5- ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، تح: محمود محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د،ط)، 1974م.

6- أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي: مروج الذّهب ومعادن الجوهر، راجعه: كمال حسن مرعي، ج2، المكتبة العصريّة، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.

7- أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري:صحيح مسلم، تح:رائد بن صبري ابن أبي علفة، دار طويق،الرياض، ط2008،1م.

- صحيح مسلم، شرح: محمد فؤاد عبد الباقي، ج1، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1991م.

8ـ أبو داوود سليمان بن الأشعث السّجستاني: سنن أبي داود، دار الأفكار الدّوليّة، الرّياض، السعوديّة، (د،ط)، (د،ت).

9ـ أبو رياش أحمد بن إبراهيم القيسي: شرح هاشميّات الكميت ابن زيد الاسدي، تح: داوود سلّوم ونوري حمّودي القيسي، مكتبة النّهضة العربيّة، بيروت، لبنان، ط2، 1986م.

10ـ أبو زكريّا يحي بن شرف النّووي: كتاب الأربعين النّوويّة، شرح: أحمد عبد الرّازق البكري، دار السّلام، القاهرة، مصر، ط4، 2007م.

11ـ أبو العبّاس بن محمد يزيد المبرّد: الكامل في اللغة والأدب، تح: أبو الفضل إبراهيم، ج4، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط3، 1997م،

ـ الكامل في اللغة والأدب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم،ج3، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر،ط1998،3م.

12ـ أبو عبد الرحمن عبد الله بن الإرياني: حديث متّفق عليه مختارة من كتاب رياض الصّالحين، دار الآثار، صنعاء، اليمن، ط1، 2010م.

13ـ أبو العتاهيّة: ديوان، دار بيروت، بيروت، لبنان، (د، ط)، 1986م.

14ـ أبوعلي الحسن بن رشيق القيرواني:العمدة في صناعة ، الشعر ونقده، ج1، دار السعادة، مصر،ط2، 1952م.

15ـ أبو عمر يوسف بن عبد البّر القرطبي النمري:الإستيعاب في معرفة الأصحاب، صحّحه وخرجّه:عادل مرشد،دار الإعلام،عمان، الأردن،ط2002،1م.

16ـ أبو نواس: ديوان أبي نواس برواية الصّولي، تح: بهجت عبد الغفور الحديثي، دار الكتب الوطنيّة، أبوظبي ، الإمارات العربية المتحدة،ط1، 2010م.

17ـ أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين (الكتاب والشّعر)، تح: علي محمد الجاوي وآخرون، دار إحياء الكتب العربيّة،(د،ب)، ط1، 1952م.

18ـ إحسان عبّاس: شعر الخوارج، دار الثّقافة، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت).

19ـ أحمد حسين الزيّات: تاريخ الأدب العربي (للمدارس الثّانويّة والعليا)، دار النهضة، القاهرة، مصر،(د،ط)،(د،ت).

20ـ أحمد الزّعبي: التّناص نظريا وتطبيقيّا، مؤسّسة عمّون، عمّان، الأردن، ط2، 2000م.

21ـ أحمد الشّايب: تاريخ الشّعر السياسي، دار القلم، بيروت، لبنان، ط5، 1976م.

22ـ أحمد كشك: الزّحاف والعلّة (رؤية في التجّريد والأصوات والإيقاع)،مكتبة النّهضة المصريّة ،القاهرة، مصر، (د،ط)، (د،ت).

23ـ أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبديع والبيان، تد: يوسف الصميلي، المكتبة العصريّة، بيروت، لبنان،(د،ط)،(د،ت).

24ـ امرؤ القيس: ديوان امرئ القيس، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، (د، ب)، ط5، 1984م.

25ـ أميّة بن أبي الصّلت: الديوان، جمع وتح ودراسة: عبد الحفيظ السّلطي، المطبعة التّعاونيّة، دمشق، سوريا، (د، ط)، 1974م.

26ـ جلال الدّين السيوطي: الجامع الصّغير في أحاديث البشير النّذير،ج1،دار الكتب العلميّة،لبنان،ط4،(د،ت).

27ـ جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام،ج6، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1993م.

28ـ حسّان بن ثابت الأنصاري:ديوان،تح:عبد الله سنده،دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1 ،2006م.

29ـ حسن حسين: ثلاثيّة البردة (بردة الرّسول صلى الله عليه وسلم)، مكتبة مدبولي، مصر،(د، ط)، 1987م.

30ـ حسين شوقي: أبي شوقي، النّهضة المصريّة، القاهرة، مصر،(د،ط)، 1947م.

31ـ الخطيب التّبريزي: الكافي في العروض والقوافي، تح: الحساني حسن عبد الله، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1994م.

32ـ الخنساء: ديوان، شرح: حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2004م.

33ـ زكي مبارك: المدائح النّبويّة في الأدب العربي، المكتبة العصريّة، بيروت، لبنان، ط1، 1935م.

34ـ سامي مكي العاني:الإسلام والشعر،دار المعرفة،الكويت،(د،ط) ،1996م.

35ـ سامي يوسف أبو زيد: الأدب العربي الحديث(الشّعر)، دار المسيرة، عمّان، الأردن، ط1، 2014م.

36ـ سعاد عبد الوهّاب عبد الكريم: إسلاميّات أحمد شوقي، تق ومرا: سهير القلماوي، دار أهرام الجيزة الكبرى، مصر،(د، ط)، (د،ت).

37ـ سعيد بن علي بن وهف القحطاني: مناسك الحج والعمرة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنّة، مكتبة الملك فقد الوطنيّة، الرّياض، السّعوديّة، ط2، 2010م.

38ـ سميح دغيم: أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام،موسوعات الوافي،دار الفكر اللّبناني، بيروت،لبنان،ط1،1990م.

39ـ سهير القلماوي: أدب الخوارج في العصر الأموي: مطبعة لجنة التأليف والتّرجمة، القاهرة، مصر، 1645م.

40ـ شرف الدّين أبي عبد الله محمد بن سعيد البوصيري: ديوان البوصيري، تح: محمد سيد كيلاني، دار مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر، ط1، 1955م.

41ـ شوقي ضيف: ـ الأدب العربي المعاصر في مصر،دار المعارف،القاهرة،مصر،ط13، (د،ت).

ـ العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط11، (د، ت).

ـ العصر العبّاسي الأوّل، دار المعارف، القاهرة ، مصر، ط8، (د، ت).

ـ العصر العبّاسي الثّاني، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، (د، ت).

ـ شوقي شاعر العصر الحديث، دار المعارف، القاهرة ، مصر، طبعة خاصّة، 2010م.
ـ التّطور والتّجديد في الشّعر الأموي،دار المعارف، القاهرة، مصر، ط8،(د، ت).
ـ العصر الإسلامي،دار المعارف،القاهرة،مصر،ط7،(د، ت).

42ـ صفي الدّين الحلي: ـ شرح الكافية البديعيّة(في علوم البلاغة ومحاسن البديع)، تح: نسيب نشاري، دار صادر، بيروت، لبنان، ط2، 1992م،

ـ قطب شعراء عصري المغول والمماليك،دار الكتاب اللّبناني،لبنان،(د، ط)، 1971م.

43ـ الطّبري:تاريخ الطّبري، تح: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1971م.

44ـ عباس حسن: المتنبي و شوقي(دراسة ونقد و موازنة)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ،ط1، 1951م.

45ـ عبد القادر القط:في الشّعر الإسلامي والأموي،دار النّهضة العربيّة، بيروت، لبنان،(د، ط)، 1987م،

46ـ عبده الراجحي: التّطبيق النّحوي، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، مصر، ط2، 1998م.

47ـ عبيد الله بن قيس الرّقيات: الدّيوان، تح: محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، لبنان، (د،ط)، 2009م.

48ـ علي البطل: الصُّورة في الشّعر العربي (حتّى آخر القرن الثّاني الهجري دراسة في أصولها وتطوّرها)، دار الأندلس، ط2، 1981م.

49ـ عمر إبراهيم توفيق: الوافي في الشّعر العربي الحديث، مرا: عبد اللطيف يوسف عيسى، دار غيداء، عمّان ، الأردن، ط1،2012م.

50ـ عنترة بن شدّاد الخطيب التبريزي: ديوان عنترة: تح: محمد سعيد مولوي، المكتبة الإسلاميّة، القاهرة، مصر،(د، ط)،1963م.

51ـ كعب بن مالك الأنصاري:ديوان،تح:سامي مكي العاني،دار المعارف،بغداد،العراق،ط1، 1966م.

52ـ مأمون بن محي الدّين الجنّان: الكميت بن زيد الأسدي الشّاعر السّياسي، دار الكتب العلميّة،بيروت، لبنان، ط1، 1994م.

53ـ محمد جميل زينو: قطوف من الشّمائل المحمديّة، دار الشّهاب، الجزائر، ط3،(د،ت).

54ـ محمد الزحيلي: وظيفة الدّين في الحياة وحاجة النّاس إليه، منشورات جمعيّة الدّعوة الإسلاميّة العالميّة، دمشق، سوريا، ط1، 1976م.

55ـ محمد عبد المنعم خفاجي: الآداب العربيّة في العصر العبّاسي الأوّل، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1992م.

56ـ محمد عزّام: النصّ الغائب تجليات التّناص في الشّعر العربي ـ دراسة ـ ، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، سوريا،(د،ط)،2001م.

57ـ محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشّعري(إستراتيجيّة التّناص)، المركز الثّقافي العربي، بيروت، لبنان، ط4، 2005م.

58ـ محمد لطفي جمعة: الشّهاب الرّاصد، مطبعة المقتطف والمقطم، مصر، ط1، 1926م.

59ـ محمد مصطفى هدّارة: دراسات في الأدب العربي الحديث، دار العلوم العربيّة، بيروت، لبنان، ط1، 1990م.

60ـ نبيل خالد أبو علي: البوصيري شاهد على العصر المملوكي، دار المقداد، غزّة، فلسطين، ط4، 2005م.

61ـ ولي الدين عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، تح: عبد الله محمد درويش، ج1، دار يعرب ، دمشق، سوريا، ط1، 2004م.

62- وليد قصاب:ديوان عبد الله بن رواحة ودراسة في سيرته وشعره،دار العلوم، الرياض، السعودية،ط1 ،1981م.

63- ياسين الأيّوبي:آفاق الشّعر العربي في العصر المملوكي، دار جروس برس، طرابلس، ليبيا،ط1 ، 1995م.

64- يحي الجبوري:الإسلام والشعر،تق: يوسف عز الدين،مكتبة النهضة، بغداد، العراق، (د،ط)،1964م.

65- يوسف خليف: حياة الشّعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثّاني للهجرة، المكتبة العربيّة، مصر، ط2،(د،ت).

67- يونس طركي سلّوم البجّاري: المعارضات في الشّعر الأندلسي(دراسة نقديّة موازنة)، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 2008م.

الكتب المترجمة:

68- جون كوين: النّظرية الشّعريّة (لغة الشّعر اللغة العليا)، تر: أحمد درويش، دار غريب، القاهرة، مصر، (د،ط)، 1966م.

المعاجم:

69- أبو الفضل جمال الدّين محمد ين مكرم ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 2004م.

المقالات والمجلّات:

70- ميلود عبيد منقور: <القيم الأخلاقيّة في شعر الزّهد عند أبي العتاهية>، مجلّة حوليّات التّراث، ع1، 2004م، جامعة مستغانم، الجزائر.

71ـ ميلود قنّاني: <مقاربة أسلوبيّة لقصيدة ولد الهدى في مدح الرّسول صلى الله عليه وسلم لأمير الشّعراء أحمد شوقي>، مجلّة الباحث، ع10، أوت 2012، جامعة الجلفة، الجزائر.

72ـ يحيى معروف و بهنام باقري: <المعجم الشّعري عند يحيى السّماوي ديوان"نقوش على جذع نخلة"نموذجا>، مجلّة اللغة العربيّة وآدابها، ع2 صيف1436هـ، جامعة الرّازي، إيران.

الرّسائل الجامعيّة:

73ـ عبد الله بن محمد العضيبى: أثر الإسلام في موضوعات الشّعر الأموي،(رسالة ماجستير)، الدّراسات العليا العربيّة عبد الله بن سليمان الجربوع، جامعة أمّ القرى، السّعوديّة، 1985م.

المواقع الإلكترونيّة:

74ـ بتول حسين حمود مباركي: الشّعر العبّاسي، ع23 أفريل2020، جامعة جازان، السّعوديّة،

arishiaa@hotmail.com

75ـ حافظ إبراهيم ونعيم محمد عبد الغنيم: عندما ينخدع الشّعراء بألاعيب السّياسة شوقي وأتاتورك نموذجا، مجلة حماسة، نوفمبر 2016، 23:42،

www.hamassa.com

76ـ زهير سالم: أدب وسياسة: أحمد شوقي، مركز الشّرق العربي، 12 أفريل2019م، 11:19،

www.asharqalarabi.org.uk.

77ـ سعد بن زيد أل محمود: الهمزيّة النّبويّة...في مدح الرّسول صلى الله عليه وسلم، 01:07.

www.midad.com

78ـ فرحان علي القضاة: القيمة الموسيقيّة للتّكرار في شعر الصّاحب بن عبّاد، جامعة العلوم والتكنولوجيا، 7فبراير 2013م، 13:00،

http://afafdqqhk.blogspot.com

79- فريد أمعضشو: أوجه التّعالق بين الشّعري والسّياسي على عهد بني أميّة، مجلّة رسائل الشّعر، ع8 تشرين الأوّل 2016 م، مؤسّسة رسائل، 11:27،

www.poetryletters.com

80- محمد الدّابولي: الإحباط الحضاري... أسباب الحنين إلى مجد الخلافة المزعوم، مجلّة المرجع، السبت 21 يوليو 2018، باريس، 10:49،

www.almarjie-paris.com

81- مصطفى أبو كريشه: من وحي الحجّ في الشّهر الإسلامي الحديث، ، أفريل 2021م.

https ://islamonline.net

82- هيثم أبو زيد: شوقيّات أم كلثوم...ذلك الغناء الباذخ، مجلّة العربي الجديد، 14 أكتوبر 2019،

https://www.alaraby.co.uk

فهـرس الموضوعات

فهرس:

شكر وعرفان

إهداء

مقدمة.....من أ إلى ج.

مدخل.....من6 إلى 16.

الفصل الأول:تاريخ الشعر الديني.....من17 إلى 70.

أولا: الحياة الدينية في العصر الجاهلي.....من 19 إلى 23.

الأغراض االشعرية في العصر الجاهلي.....من 23 إلى 26.

ثانيا: العصر الإسلامي.....من 26 إلى .37

1 . الشعر في صدر الإسلام.....من 26 إلى 28.

2 . الشعر في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم.....من 28 إلى 29.

3 . الأغراض الشعرية في العصر الإسلامي.....من 29 إلى 37.

ثالثا: العصر الأموي.....من 37 إلى .52

1 . شعر الشيعة.....من37 إلى .43

2 . شعر الخوارج.....من 43 إلى .48

3 . شعر الزبيريين.....من 48 إلى 52.

رابعا: العصر العباسي.....من 52 إلى 60.

خامسا: العصر المملوكي.....من60 إلى 70.

همزية البوصيري .....من 60 إلى 63.

قصيدة البردة.....من 63 إلى 70.

الفصل الثاني: الشعر الديني عند أحمد شوقي.....من 71 إلى 141.

أولا: الشّعر الديني في العصر الحديث.....من 73 إلى 74.

ثانيا:أحمد شوقي .....من 75 إلى 79.

ثالثا: موضوعات أحمد شوقي.....من79 إلى .141

1.موقفه من الخلافة.....من 79إلى 83.

2.موقفه من الحج.....من 83 إلى 85.

ـ قصيدة إلى عرفات .....من 85 إلى 98.

المديح النبوي..... من 98 إلى 139.

ـ قصيدة نهج البردة.....من 99 إلى 124.

ـ الهمزية النبوية.....من 124 إلى 139.

ـ أم كلثوم وأحمد شوقي.....من 140 إلى 141.

خاتمة.....من 142 إلى 143.

ملاحق.....من 144 إلى 160.

قائمة المصادر والمراجع.....من 161 إلى 170.

فهرس.....من 171 إلى 173.